

التشيع في مصر



المسبار

www.edfimesbar.net

التشيع في مصر

المسبار 

الكتاب: **التشيع في مصر**
المؤلف: **مجموعة باحثين**
الناشر: **مركز المسبار للدراسات والبحوث**
التصنيف: **دين وسياسة-تاريخ معاصر-جماعات وأحزاب**
الطبعة الأولى، سبتمبر (أيلول) 2013
الرقم الدولي المتسلسل للكتاب: **ISBN 978-9948-496-12-0**
طبعت في مطابع المتحدة للطباعة والنشر **United Printing & Pulishing**

الكتاب متوفر على الإنترنت:

مكتبة ورقات

www.warqat.com



مركز المسبار للدراسات والبحوث

Al Mesbar Studies & Research Centre

www.almesbar.net

ص.ب: 333577

دبي الإمارات العربية المتحدة

هاتف: +971 4 380 4774

فاكس: +971 4 380 5977

info@almesbar.net

مركز المسبار للدراسات والبحوث هو مركز مستقل متخصص في دراسة الحركات الإسلامية والظاهرة الثقافية عموماً، ببعديها الفكري والاجتماعي السياسي، يولي المركز اهتماماً خاصاً بالحركات الإسلامية المعاصرة، فكراً وممارسة، رموزاً وأفكاراً، كما يهتم بدراسة الحركات ذات الطابع التاريخي متى ظل تأثيرها حاضراً في الواقع المعيش.

يضم مركز المسبار مجموعة مختارة من الباحثين المتخصصين في الحركات الإسلامية المعاصرة والتاريخية والظواهر الثقافية والاستراتيجية، ويتعاون المركز في هذا الاتجاه مع الباحثين والمراكز والمؤسسات المختلفة التي تتقاطع اهتماماتها مع اهتمامه، وهو ما يضمن تبادل الخبرات وتطوير المهارات الذي يتم عبر تشييط الحوار بين المتخصصين وتدوير الأفكار بين مختلف الآراء والاتجاهات.

جميع حقوق الطبع وإعادة الطبع والنشر والتوزيع محفوظة لمركز المسبار للدراسات والبحوث. لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه، أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال، دون إذن خطي مسبق من مركز المسبار.

الدراسات والبحوث التي يحويها الكتاب تعبر عن آراء كتابها لا عن رأي المركز.



مركز المسبار للدراسات والبحوث

Al Mesbar Studies & Research Centre

- 5 _____ تقديم
الأزهر والتشيع .. من لحظة التأسيس إلى زيارة نجادا
- 7 _____ أحمد عبد الرحيم
التقريب بين المذاهب مصر الواقع والمأمول
- 69 _____ خالد محمد عبده
التشيع.. إثبات وجود وجهود للتوسع
- 89 _____ ماهر فرغلي
الشيعة والمسألة المذهبية في خطاب الإفتاء الرسمي والسلفي في
مصر
- 135 _____ فاطمة حافظ
شهادة: التشيع في مصر بين السياسة والاجتماع
- 169 _____ سالم الصباغ
التصوف والتشيع في الواجهة. بليوجرافية سردية
- 221 _____ محمد حلمي عبد الوهاب
الصوفية والشيعة من منظور سياسي معاصر
- 255 _____ بلال مؤمن
التشيع الممنوع وإستراتيجية المنطقة
- 289 _____ محمود جابر
حوار: جدلية الولاء بين المذهب والمواطنة.. مع محمد الدريني
- 321 _____ محمد حلمي
- 341 _____ المشاركون في الكتاب

تقديم

الكتاب يطرح مسألة أبناء الطائفة الشيعية في مصر، وهو موضوع لم يَنَلْ حَظَّهُ الكافي من البحث. ولعل هذا الكتاب، يَسُدُّ النقصَ في هذا الجانب، ويمثل تأسيساً يُبنى عليه في أبحاث أكثر تفصيلاً وأشمل استيعاباً.

بعد الثورة المصرية في يناير (كانون الثاني) 2011، وما استتبع ذلك من تقارب مصري - إيراني ملحوظ، تعالت أصواتٌ تُحذّر من الامتداد الشيعي داخل مصر، مع بدء تغيّر في مواقف مؤيدي التقارب. وفي المقابل، لم تتغيّر رؤية آخرين، بينما حاول آخرون إمساك العصا من المنتصف، واتخاذ موقف أكثر حذراً.

صدر الكتاب قبل يومين من مقتل شيعة مصريين في حادثة مؤلمة، لم تشهد لها مصر مثيلاً في تاريخها، وقبل أسابيع من ثورة 30 يونيو (حزيران) 2013، التي أطاحت بحكم الإخوان المسلمين، الذين اتُّهموا بفتح الأبواب على مصراعيها للتبشير الشيعي.

رئيس المركز



الأزهر والتشيع: من لحظة التأسيس إلى زيارة نجّاد!

أحمد عبد الرحيم (*)

كان بمصر قبل الحكم الفاطميّ ثلاثة مساجد جامعة: جامع عمرو بن العاص (منذ سنة 21 هـ / 641م): وكان يُطلق عليه عهدَ ازدهاره «تاج الجوامع»، ثمّ غدا لقبه «الجامع العتيق». و«مسجد العسكر»: بناه، جوارَ دار الإمارة، والي مصر العباسيّ الفضلُ بن صالح (169 هـ / 785م). و«مسجد أحمد بن طولون: والذي بناه ابن طولون، (263هـ)، بعد أن استقل بولاية مصر، في ما سُمّي «الدولة الطولونيّة». وكانت هذه المساجد الثلاثة رموزاً لسيادة الإسلام الروحيّة، ومنابرَ علميّة ودعويّة، بما استقر عليه - عقيدةً وعلمًا - أهلُ مصر السنيّون منذ دخل الإسكندريّة عمرو بن العاص رضي الله عنه الجمعة أوّل جمادى الآخرة سنة 20 هـ / 18 مايو 640م⁽¹⁾.

(*) باحث وكاتب مصريّ.

(1) انظر: تاريخ الدولة الفاطميّة، د. محمد جمال الدين سرور، دار الفكر العربيّ/ القاهرة، ط1/ 1995. ص66-67.

الأزهر والتشييع .. من لحظة التأسيس إلى زيارة نَجادا

وعندما وضع قائد جيش الدولة الفاطمية جوهر الصَّقْلِيُّ أساس مدينة القاهرة⁽²⁾ (ليلة دخوله الفسطاط: 17 شعبان 358 هـ/ 20 يونيو 968م)، عوّل على بناء مسجد جامع يكون رمزاً لسيادة الدولة الفاطمية، فشرع في بناء «الجامع الأزهر». سُمِّيَ، بادئ الأمر، جامع الفاطميين الجديد في عاصمتهم الجديدة «جامع القاهرة»، وعُرف بهذا سنين، ويذكره به معظم مؤرخي مصر والدولة الفاطمية، حتى عصر الخليفة/ الإمام الثاني العزيز بالله (365 - 386م/ 952 - 996م)⁽³⁾ الذي أطلق عليه «بمشورة وزيره المحنك يعقوب بن كَلَس»⁽⁴⁾ الجامع الأزهر، نسبةً إلى السيِّدة فاطمة الزهراء بنت النبي محمد صلى الله عليه وسلم. واستمر الاسم القديم «جامع القاهرة» مقروناً بهذا الجديد حتى أوائل القرن التاسع الهجري، حيث بدأ تقلص الاسم القديم، وتمحّض استخدام اسم «الجامع الأزهر»⁽⁵⁾.

ويذهب بعض الباحثين إلى أن جوهر رأى ألا يفاجئ أهل مصر

(2) أطلق عليها جوهر الصَّقْلِيُّ أولاً «المنصورية»، إحياءً لذكرى والد خليفته الفاطمي المعز لدين الله، وظلت تُعرف بهذا الاسم حتى قدم إليها المعز أول مرة بعد أربع سنوات وسماها «القاهرة»، انظر: أتماظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، تقى الدين المقرئ، تحقيق د. جمال الدين الشيبال (الجزء الأول) ود. محمد حلمي أحمد (الجزءان الثاني والثالث)، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية/ القاهرة، ط 2/ 1416م - 1996، 1/ 111، 112 (بدلالة: تاريخ الدولة الفاطمية، د. محمد جمال الدين سرور، ص 65).

(3) هذه التواريخ المتصلة بخلفاء/ أئمة الفاطميين بمصر هي تواريخ مدة حكمهم، لا ميلادهم ووفايتهم.

(4) أبو الفرج يعقوب بن يوسف بن كَلَس: وزير الخليفة/ الإمام الثاني العزيز بالله، وكان عراقياً الأصل يهودياً، وأسلم، وكان من كبار رجال الدولة الفاطمية. وهو صاحب «الرسالة الوزيرية» التي أرادها مناصرة لكتاب القاضي ابن النعمان الأشهر «دعائم الإسلام»، التي ذكره والمعتمد تدريسياً في أصول الفاطميين العلمية، (ت 381م/ 991).

(5) انظر: تاريخ الدولة الفاطمية، د. محمد جمال الدين سرور، ص 67، 68. وأيضاً: الدولة الفاطمية في مصر: تفسير جديد، د. أيمن هُواد سيد، مكتبة الأسرة/ مهرجان القراءة للجميع 2007م/ القاهرة (الناشر الأصلي: الدار المصرية اللبنانية/ القاهرة). ص 576.

أحمد عبد الرحيم

السُّنِّيِّينَ فِي مَسَاجِدِهِم بِالشَّعَائِرِ الْفَاطِمِيَّةِ، خَشِيَّةٌ إِثَارَةٌ حَفِيظَتُهُمْ، وَرَغْبَةٌ فِي اسْتِمَاتِهِمْ إِلَى الْمَذْهَبِ الْجَدِيدِ وَالْحُكَّامِ الْجَدِيدِ⁽⁶⁾. وَمَهْمَا كَانَ مِنْ غَرَضٍ وَرَاءَ الْإِسْرَاعِ بِتَأْسِيسِ رَمَزِ الْفَاطِمِيِّينَ الدِّينِيِّ الْخَاصِّ.. فَقَدْ تَمَّ بِنَاءُ الْمَسْجِدِ فِي سَنَتَيْنِ تَقْرِيْبًا (22 جُمَادَى الْأُولَى 359 هـ / أَوَّلُ أْبْرَيْلِ 790م - 9 أَوْ 17 رَمَضَانَ 361 هـ / 14 أَوْ 22 يُولْيُو 972م)⁽⁷⁾. وَأَوَّلُ صَلَاةٍ أُقِيمَتْ فِيهِ كَانَتْ صَلَاةَ عِيدِ الْفَطْرِ سَنَةِ 361 هـ / 16 يُولْيُو 972م، بِإِمَامَةِ الْمُعَزِّدِ لِدِينِ اللَّهِ⁽⁸⁾.

وَوَقَّفَ الْحُكَّامُ الْفَاطِمِيُّونَ وَوَزَرَائِهِمُ الْأَوْقَافَ عَلَى جَامِعِهِمُ الْكَبِيرِ، وَأَحَاطُوهُ بِعِنَايَتِهِمْ طَوَالَ فِتْرَةٍ سَيَطَّرْتُهُمْ عَلَى مِصْرَ، وَلَمْ يَزَالُوا يَجْدُدُونَ بِنَاءَهُ وَيَزِيدُونَ فِيهِ عِبْرَ السُّنَيْنِ..

فَفِي الْعَامِ 400 هـ / 1009م جَدَّدَ فِي بِنَاءِ الْأَزْهَرِ الْخَلِيفَةُ / الْإِمَامُ الثَّلَاثُ الْحَاكِمُ بِأَمْرِ اللَّهِ (386 - 411 هـ / 996 - 1020م)، وَوَقَّفَ عَلَيْهِ مَالًا كَثِيرًا، ثُمَّ تَبَعَهُ غَيْرُهُ، حَتَّى أَصْبَحَ يَعْتَمِدُ عَلَى أَوْقَافٍ عَظِيمَةٍ. وَفِي

(6) انظر: تاريخ الدولة الفاطمية، د. محمد جمال الدين سرور، ص 67.

(7) انظر: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (سيشار إليه لاحقاً باسم: خُطَطُ الْمُقْرِيزِيِّ)، تَقَى الدِّينِ الْمُقْرِيزِيِّ، تَحْقِيقُ د. مُحَمَّدِ زَيْنِهِمْ وَمَدِيحَةُ الشَّرْقَاوِيِّ، مَكْتَبَةُ مَدْبُولِي / الْقَاهِرَةِ، ط1، 1998م، 3 / 213. وَفِيهِ ذِكْرُ أَنَّ بِنَاءَهُ تَمَّ فِي 9 رَمَضَانَ «وَجُمِعَ فِيهِ»، أَي صَلِّيتِ الْجُمُعَةَ. أَمَّا فِي أَمَّاظِ الْحَنْفَا (1 / 130، 131)، فَهَلَمْ يَذْكَرُ الْمُقْرِيزِيُّ افْتِتَاحَ الْجَامِعِ الْأَزْهَرِيِّ فِي أَحْدَاثِ سَنَةِ 361 هـ. ثُمَّ كَانَ أَوَّلُ ذِكْرٍ مِنْهُ لِلصَّلَاةِ فِيهِ (وَإِنْ كَانَ قَدْ سَمَاهُ «مُصَلَّى الْقَاهِرَةِ») فِي عِيدِ فَطْرِ السَّنَةِ ذَاتَهَا، بِإِمَامَةِ الْمُعَزِّدِ لِدِينِ اللَّهِ: 1 / 137.

ومهما يكن من أمر... فإن تحديد الأيام أمرٌ تقريبيٌّ في معظم وقائع تلك العصور، والله أعلم.

(8) ذَكَرَ بَعْضُ الْكُتَّابِ (الْأَزْهَرُ فِي أَلْفِ عَامٍ، د. أَحْمَدُ مُحَمَّدُ عَوْفٍ، مَطْبُوعَاتُ مَجْمَعِ الْبَحْثِ الْإِسْلَامِيَّةِ / مَشِيخَةُ الْأَزْهَرِ، ط1 / 1970، ص 20) أَنَّ أَوَّلَ صَلَاةٍ أُقِيمَتْ فِيهِ كَانَتْ جُمُعَةَ 7 رَمَضَانَ 361، وَالظَّاهِرُ أَنَّهُ خَلَطَ بَيْنَ هَذِهِ الْمُنَاسِبَةِ وَمُنَاسِبَةِ دُخُولِ الْمُعَزِّدِ لِدِينِ اللَّهِ الْقَاهِرَةَ أَوَّلَ مَرَّةٍ، حَيْثُ كَانَتْ فِي هَذَا التَّارِيخِ، وَلَمْ يُذَكَّرْ أَنَّهُ صَلَّى الْجُمُعَةَ يَوْمَهُ بِالْأَزْهَرِ. وَكَيْفَ يَصَلِّي فِيهِ سَابِعَ رَمَضَانَ وَلَمْ يَتَمَّ بِنَاؤُهُ إِلَّا فِي 17 مِنْهُ (أَوْ فِي التَّاسِعِ مِنْهُ، كَمَا سَبَقَ) 19؟ فَالتَّحْقِيقُ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - أَنَّ أَوَّلَ صَلَاةٍ فِيهِ كَانَتْ صَلَاةَ عِيدِ الْفَطْرِ سَنَةِ 361.

الأزهر والتشييع .. من لحظة التأسيس إلى زيارة نجادا

427 هـ / 1035م جُدد الجامع الأزهر مرّة أخرى في خلافة الخليفة/ الإمام الخامس المستنصر بالله بن الظاهر (427 - 487هـ / 1035 - 1094م)، ثم اقتضى أثره حفيده الخليفة/ الإمام السابع الأمر بأحكام الله (495 - 523هـ / 1101 - 1130م) فأجرى سنة 495هـ / 1101م في الأزهر تجديدًا شاملاً وكذلك صنع سنة 524هـ / 1129م الخليفة/ الإمام الثامن الحافظ لدين الله (524 - 544هـ / 1130 - 1149م)⁽⁹⁾. ثم بدأت فترة إهمال للأزهر مع بداية حكم الأيوبيين، حتى استعاد مكانته في دولة المماليك.. وهو ما سيرد لاحقًا بإذن الله.

الدور التعليمي الفاطميّ / الإسماعيليّ

كان طبيعيًا ألا يقتصر دور الجامع الأزهر على أداء الشعائر والصلوات، وأن يعمل الفاطميّون/ الإسماعيليّون على جعله مركزًا علميًا لمبادئهم وقبلّة لقاصديهم من أنحاء دولتهم. ولكن الأمر لم يكن على نحو ما كان متوقّعًا من دولة نشأت على مذهب يولي جانب «الدعوة» و«الدعاة» أهميّة فائقة. صحيح أنّ الجامع الأزهر اضطلع منذ بداياته الأولى بدور رئيسي في سياق «الدعوة الفاطميّة/ الإسماعيليّة» بوصفه مؤسسة «تعليميّة»، غير أنّ ما كان يجري تدريسه فيه بشكل أساسي لم يكن العقيدة الإسماعيليّة الباطنيّة «أو ما يسميه الإسماعيليّة الحكمة/ باطن الشريعة»، وإنما الفقه الإسماعيليّ (أو المذهب/ ظاهر

(9) انظر: حُطّط المقرئ، 3/ 213: 216.

وأيضًا: الجامع الأزهر.. وما أدراك ما الجامع الأزهر! مادة منشورة بلا توقيع في:

<http://read.all-forum.net/t965-topic>.

ويبدو أنّ هذا الاختصار على «ظاهر» المذهب لم يكن تورّعاً من الدولة العقائديّة، الراغبة في نشر مذهبها -بظاهره وباطنه جميعاً - في كلّ شبر يصل إليه نفوذها، بل هو متفقٌ وطبيعيّة «التراتبية» المحكّمة التي عُرفت بها الدعوة الإسماعيليّة منذ كانت وأين وُجِدت، تلك التي كان سلمها يتدرج من «التفرُّس»، إلى «التأنيس»، إلى «التشكيك»، إلى «التعليق»، إلى «التدليس»، إلى «التأسيس»، وصولاً إلى «الخَلع».. وهي المرحلة السابعة والأخيرة التي يصل فيها «الداعي» بالمدعو إلى الحظيرة الإسماعيليّة بعد أن يكون قد خلع عنه ربقة عقيدته السّابقة بالكلية⁽¹¹⁾.

وقد يتفق هذا مع «كتاب الأمان» الذي التزم فيه جوهر الصّقليّ - أوّل قدومه مصر - إطلاق الحرّيّة للمصريّين في مجال المعتقدات الدينيّة. قبل أن يتحلل خلفاء / أئمة الفاطميّين من مقتضى هذا البيان تدريجيّاً، ويوغلوا في محاولة تحويل المصريّين إلى المذهب الإسماعيليّ، بدرجاتٍ متباينة من الشدة واللين عبر ما يزيد عن مائتي

(10) انظر: الفاطميّون وتقاليدهم في التعليم The Fatimids and Their Traditions of Learning، هاينز هالم Heinz Halm، نسخة إلكترونيّة من إعداد صحيفة «صوت الأخدود»، في: <http://www.okhdood.com/?act=artc&id=475>.

وأيضاً: الدولة الفاطميّة في مصر: تفسير جديد، ص 579 وما بعدها.

(11) انظر: حُطَط المقرّبي، 2/ 123: 136.

وأيضاً: الإسماعيليّة النزارية الشرقيّة: الحشاشون، أحمد عبد الرحيم، بضميمة: موسوعة الفرق والمذاهب في العالم الإسلاميّ، تحرير د. حسن الشافعي وزميليه، المجلس الأعلى للشؤون الإسلاميّة، ط2/ 2009م، ص 76، 77.

الأزهر والتشييع .. من لحظة التأسيس إلى زيارة نَجادا

سنة استمرت فيها دولتهم بمصر⁽¹²⁾.

ففي المرحلة الأولى من الحكم الفاطميّ/الإسماعيليّ كان المصريّون السنة في مرحلة بين «التقرُّس» و«التأنيس»، فناسب أن تكون الدروس العامّة في الجامع الأزهر في ظواهر الشريعة بحسب القراءة الإسماعيليّة التي لا تصدم متلقيها صدمة أسرارها الباطنيّة! وكانت هذه الدروس ذات الطبيعة الفقهيّة مختلفةً تمامًا عن «مجالس الحكمة» التي كانت حصرًا لـ«المستجيبين» الملقّنين الذين سبق لهم أن قطعوا العهد للإمام/ الخليفة. ومن أجل الضبط التام لدخول تلك المجالس، كانت تقام داخل قصر الخليفة فقط⁽¹³⁾.

كانت بداية التدريس في الجامع الأزهر سنة 365 هـ / 975م، بجلوس القاضي أبو الحسين عليّ بن أبي حنيفة النعمان (ت 374م/ 984م)، بأنّ شرح في مجالسه العامّة كتاب أبيه⁽¹⁴⁾ الشهير «دعائم الإسلام»⁽¹⁵⁾، وأملّى عليّ مختصره «الاقتصار»، بحضور جمع من العلماء والكبراء⁽¹⁶⁾. كما حُصِّص فيه مجلسٌ آخر للنساء يُلقنّ فيه

(12) انظر: تاريخ الدولة الفاطميّة، د. محمد جمال الدين سرور، ص 76.

(13) انظر: الفاطميّون وتقاليدهم في التعليم (النسخة الإلكترونيّة السّابق ذكرها).

(14) أبو حنيفة النعمان محمد بن منصور بن حيّون التميميّ المغربيّ «هو، بالطبع غير الإمام السّنيّ الأشهر، صاحب المذهب الفقهيّ الأوّل» قاضي القضاة، وداعي دعاة الإسماعيليّة في عصره، وأحد أبرز الشخصيات العلميّة في تاريخ المذهب الإسماعيليّ، وأورث أسرته من بعده مثل مكانته الرفيعة فيه. توفّي سنة 351م/ 962م.

(15) عنوانه الكامل «دعائم الإسلام وذكر الحلال والحرام والقضايا والأحكام عن أهل بيت رسول الله عليه وعليهم أفضل السلام»، وهو من أقدم الأصول الإسماعيليّة الكبيرة وأهمّها، وقد طبع أكثر من مرّة بالقاهرة (منذ سنة 1379م/ 1959م) في مجلدين بمناية وتحقيق أصف بن علي أصغر فيضي. ولأبي حنيفة ذاته قراءة باطنيّة أخرى لظواهر» دعائم»، ضمنها كتابه «تأويل الدعائم».

(16) حُطّط المقرزي، 3/ 383.

وبعد أكثر من عشر سنين، وفي سنة 378 هـ / 988م كان الوزير المحنك يعقوب بن كلس هو أول من أسس مركزاً منتظماً، وإن لم يكن ذا تقاليد متبعة بدقة، لتدريس الفقه في محيط الجامع الأزهر. وبهذا يمكن اعتباره مؤسساً للأزهر مركزاً تعليمياً مقصوداً من أنحاء مصر ومن خارجها أيضاً. فقد استأذن ابن كلس الخليفة/ الإمام الثاني العزيز بالله (365 - 386 هـ / 952 - 996م) في تعيين جماعة من الفقهاء بالجامع، كان عددهم سبعة وثلاثين فقيهاً برئاسة «قاضي الخندق» أبي يعقوب.. فكانوا يتحلقون كل يوم جمعة في الجامع بعد الصلاة إلى وقت العصر. ورثب لهم العزيز بالله أرزاقاً و«جرايات» شهرية، وأقام لهم داراً للسكنى بجوار الجامع، كما أجرى لهم الوزير ابن كلس أرزاقاً أيضاً من ماله الخاص، وكانت هذه أول مرة - كما يقول المقرئزي - يقام في مصر درسٌ بـ«معلوم» جارٍ من قبل السلطان⁽¹⁸⁾.

وفي عهد الخليفة/ الإمام الثالث الحاكم بأمر الله كان التوسع الكبير في دور الجامع، وتكريسه مدرسةً علميةً ذات تقاليد. كما أسس إلى جواره مكتبةً باذخةً زوّدها بالمصنفات الفريدة والمخطوطات النادرة، حتى غدت بما حوت من أمهات التأليف أغنى المكتبات

(17) انظر: أتعاط الحنفأ، 1/227.

و: المقص الكبير (تراجم مغربية ومشرقية من الفترة العبيدية)، تقي الدين المقرئزي، اختيار وتحقيق محمد اليملاوي، دار الغرب الإسلامي/ بيروت، ط 1/ 1987م، ص 395، 396.

والدولة الفاطمية في مصر: تفسير جديد، ص 584.

وأيضاً: الفاطميون وتقاليدهم في التعليم (النسخة الإلكترونية).

(18) خطط المقرئزي، 3/ 384، 437. (بدلالة جزئية من: الدولة الفاطمية في مصر: تفسير جديد، ص 585).

الأزهر والتشيع .. من لحظة التأسيس إلى زيارة نجادا

وأعظمها في العالم الإسلامي بعد مكتبة قرطبة التي أنشئت قبلها بعدة سنين (19).

كُمون الأزهر: عقود من خفوت الأثر!

زادت السنون وتراكم الخبرات - طوال نحو قرنين من الزمان - من مكانة الجامع الأزهر، حتى آذنت دولة الفاطميين بالزوال على يد صلاح الدين الأيوبي، وزير خليفته/ إمامها الحادي عشر والأخير بمصر العاضد (555 - 567 هـ / 1160 - 1171 م)، حيث نُصبت على منابر القاهرة الأعلام السوداء شعار الدولة العباسية، وأزيلت جميع المظاهر الشيعية التي حاول الفاطميون تكريسها - مادياً ومعنوياً - في المجتمع المصري خلال قرنين من الزمان (20).

ومن هذا الباب، باب تقفية آثار «التشيع» الفاطمي العلمية والعملية بالمحو والإبطال.. جاء إهمال صلاح الدين - والأيوبيين من بعده (567 - 648 هـ / 1171 - 1250 م) - الدور التعليمي للجامع الأزهر، بل إنه اتخذ من مذهبه الشافعي «الذي يمنع تعدد الجمعة في البلدة الواحدة» (21) تَكأةً لأنَّ يمنع إقامة الجمعة فيه أصلاً، مكتفياً بإقامتها في مسجد الحاكم.

(19) انظر: الفاطميون وتقاليدهم في التعليم (نسخة إلكترونية).

وأيضاً: الجامع الأزهر.. وما أدراك ما الجامع الأزهر! (مادة إلكترونية).

(20) انظر: حُطَّط المقريري، 3/ 212، 382، 389، 437.

(21) أفاته بذلك قاضي القضاة الشافعي صدر الدين عبد الملك بن درباس.

انظر: الأزهر في ألف عام، د. محمد عبد المنعم خفاجي، عالم الكتب/ بيروت ومكتبة الكليات الأزهرية/ القاهرة، ط2/ 1988م، 1/ 84، 2/ 280.

ولم يكن قصدُ صلاح الدين الأيوبيّ، ومن بعده، من تعطيل الجامع/ المدرسة الأزهرية خافياً. بل كان شديد الوضوح: إغلاق أكبر مدرسة «داعية» للتشيع، في نسخته الإسماعيلية الموغلة في التطرف الفكريّ والعقائديّ، وتهيئة المجال لإنشاء مراكز علمية تعيد الوجه السنّي إلى مصر⁽²²⁾.

ومن هنا ينظر بعض الباحثين إلى صلاح الدين باعتباره أوّل مؤسس للمدرسة السنّية الرسمية في مصر، وأنه بدأ هذه الخطة قبل الإجهاز النهائيّ على الحكم الفاطميّ، أثناء وزارته وقبل إعلان نهاية الدولة الفاطمية، حيث أنشأ أوّل مدرسة في مدينة الفسطاط سنة 566هـ / 1171م⁽²³⁾.

ويذكر المقرئزي أنّ صلاح الدين بدأ منذ هذه السنة 566 هـ/ 1171م، أي قبل نحو عام من الإنهاء الفعليّ والرسميّ للدولة الفاطمية، في استبدال القضاة الشيعة بالفقهاء الشافعية والمالكية: «وفيها اختفى مذهب الإمامية والإسماعيلية، وبطل من حينئذ مجلس الدعوة بالجامع الأزهر وغيره»⁽²⁴⁾، «واختفى مذهب الشيعة والإسماعيلية والإمامية.. حتّى فقد من أرض مصر كلها»⁽²⁵⁾.

(22) انظر: حُطَط المقرئزي، 3/ 389، 390.

(23) انظر: الدولة الفاطمية في مصر: تفسير جديد، ص 593. ويحدّد. أيمن فؤاد سيد مصطلح «المدرسة» حدّاً دقيقاً بقوله: هي «المكان الذي يُتخذ لتلقي العلم على أيدي شيوخ موقوفين عليه، ملحقاً به مكان لسكن المدرسين والطلاب، مع وجود معالم/ رواتب» (حاشية ص 590).

(24) أتماظ الحنفا، 3/ 319، 320.

(25) حُطَط المقرئزي، 3/ 389.

على أن تعطيل الجمعة في الأزهر لم يَعمِ إغلاقه بالكلية طوال ذلك القرن، فقد بقيَ التدريس والقراءة فيه، لكن دون أيِّ رعاية رسمية من الحكام الأيوبيين⁽²⁶⁾. واستمر هذا التعطيل نحوًا من قرن، إلى أن أُعيدت الجمعة فيه سنة 665م/ 1257م في عهد السلطان الظاهر بيبرس⁽²⁷⁾، بعد أن أخذ فتاوى العلماء بذلك⁽²⁸⁾. وكان الأمير عزّ الدين أيدير الحلبي (نائب السلطنة) قد سعى في إعادة الجمعة بالجامع الأزهر بعد عمله في ترميمه وإعمارهِ، وشرع في استفتاء علماء العصر حول مدى جواز إقامة الجمعة فيه، فأفتى بعضهم بجوازها. ولكن قاضي القضاة الشافعيّ يومذاك، تاج الدين ابن بنت الأعزّ، أصرَّ على الفتوى الشافعية القديمة. ومع هذا عمل الأمير أيدير بفتوى المحبّذين.

وهكذا أقيمت صلاة الجمعة بالجامع الأزهر لأول مرّة منذ نهاية حكم الفاطميين يوم الجمعة 18 ربيع الآخر سنة 665م/ 6 مايو 1257م، في حفل من الأمراء والكبراء، ولم يحضر السلطان ولا قاضي القضاة احترامًا - فيما يبدو - للفتوى الشافعية التقليدية، ولكنه كان يومًا مشهودًا استعاد فيه الأزهر مركزه الديني القديم.. حيث أجلس الأمير جماعة من الفقهاء لتدريس المذهب الشافعيّ، ومحدثًا لقراءة الأحاديث النبوية، وخصَّص أوقافًا كافيةً لحسن سير العملية التعليمية

(26) انظر: الأزهر في ألف عام، 1/ 86، 87، 2/ 280.

(27) انظر: حُطَط المقريري، 3/ 389.

(28) انظر: الأزهر في ألف عام، 1/ 95.

فيه على مذهب أهل السنّة⁽²⁹⁾.

الأزهر «السني» والشيعية في العصر الحديث

رأي محمد عبده بعد طول انقطاع من علماء الأزهر

يبدو، من خلال المصادر المتوفرة، أنّ أمور الأزهر في تأسيسه الثاني السنّي، عصر المماليك، قد استقرت على اعتماد المذاهب الفقهية السنّية الأربعة: الحنفي والمالكي والشافعي والحنبلي، دون سواها من مذاهب الفرق الأخرى الفقهية، وعلى اعتماد المذهب السنّي في صيغته الأشعرية بصورة أساسية، وفي صيغته الماتريدية بصورة ثانوية، دون غيره من صيغ المذاهب الكلامية: شيعية أو غيرها⁽³⁰⁾.

وبهذا غدا المذهب الشيعي الفقهّي والكلامي (في صيغته كافة): إمامية، أو إسماعيلية، أو سواهما) مجرد فقرة، تطول أو تقصر، في كتب أصول الفقه وعلم الكلام والفرق، بعد أن كان هو أساس إنشاء الأزهر الشريف! ومضت على هذا القرون، ولم أقع - في حدود هذه الدراسة - على شيء ذي بال يدل على احتكاك مباشر ومؤثر بين المدرسة الأزهرية السنّية - بتنوعاتها - وبين سواها من المدارس العلمية خارج إطار المذهب السنّي. حتّى كان العصر الحديث⁽³¹⁾.

(29) انظر: السلوك في دول الملوك، تقي الدين المقرئ، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية/بيروت، ط1/1418م - 1997م، 2/42.

(30) انظر: حُطَّط المقرئ، 3/399، 390.

(31) حدود «العصر الحديث» في هذه الدراسة تبدأ من عصر الأفغاني وعبده (أي من النصف الثاني من القرن الثالث عشر الهجري/ النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي)، وينتهي بتاريخ صدور العدد الأخير رقم 60

الأزهر والتشيع .. من لحظة التأسيس إلى زيارة نجادا!

حيث وفد إلى مصر المصلح الثائر السيّد جمال الدين الأفغاني⁽³²⁾، والتقاء نخبة أهل مصر، من العلماء والمفكرين والأدباء، واختص به من بينهم الشيخ الأزهرى، الثائر أيضاً على حال الأمة المسلمة والأزهر وأهله في عصره، «الأستاذ الإمام» محمد عبده.

وتشير بعض الكتابات، المتأخرة عن عصر الأفغاني، إلى أنّ جمال الدين أخفى أصله الإيراني عمداً، ليُعْمَى على انتمائه إلى الشيعة الإمامية⁽³³⁾. ولا يعيننا في هذا المقام تحقيق المسألة، قدر ما يهمنا مجرد ذكرها، إشارةً إلى الحساسية التي كانت تحيط التعامل بين أعلام السنة والشيعة تلك الفترة. ومن هذه الزاوية يمكن أن يُعدَّ «الأستاذ الإمام» من أوائل كبار رجالات الأزهر في العصر الحديث ممن يمكن رصدُ كلام لهم حول مسألة السنة والشيعة طائفيًا و«تقريبياً».. حيث ينقل بعض الباحثين عن الشيخ محمد رشيد رضا أنّ

(الصادر في: 17 رمضان 1392م/ 26 أكتوبر 1972م) من أعداد مجلة «رسالة الإسلام»، لسان حال «دار التقريب بين المذاهب الإسلامية» منذ سنة 1368م/ 1949م. وكان عددها الأول قد صدر في 17 رمضان 1368م/ 10 يونيو 1949م، بعد نحو ثلاث سنوات من إنشاء «دار التقريب».

وهذا مجرد تحديد إجرائي، لا يُقصد منه أكثر من التمييز العمليّ الراجع إلى طبيعة موضوع الدراسة. ويمكن أن يضاف إلى القصد الإجرائي أنّ هذا التاريخ (1392م/ 1972م) مثلّ النهاية العملية لعمل «دار التقريب»، حيث دخلت بعده حال كمون، تخللتها أزماتٌ سياسيةٌ ومذهبيةٌ متكررةٌ في عدد من جهات العالم الإسلامي.. حتى كانت محاولات إحيائها ونشاطها من قِبَل الجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة، برعاية شخصيّة من مرشد الثورة الإسلاميّة السيّد علي الخامنئي، وبتأسيسها «المجمع العالميّ للتقريب بين المذاهب الإسلاميّة» منذ 1410م/ 1991م. وأعيد، عبر هذا المجمع، إصدار المجلة باسم «رسالة التقريب» منذ 1413م/ 1993م، ثمّ انضمت إليها مجلة «ثقافة التقريب» منذ جمادى الثانية 1428م/ يوليو 2007م.

(32) مكث الأفغاني في مصر نحو ثماني سنين: 1288 - 1296 / 1871 - 1879.

(33) انظر في تلخيص بعض الجدل حول هذه المسألة وأسبابه: جمال الدين الأفغاني المفترى عليه، د. محمد عمارة، دار الشروق/ القاهرة، ط 1/ 1984م، ص 127: 152. والطريف في الأمر أنه قد اجتمعت على الطعن في الأفغاني أطرافٌ بينها أقدارٌ متفاوتةٌ من التفاضل.. بدءاً من شيخ الإسلام العثمانيّ مصطفى صبري ولويس عوض، وانتهاءً بمحمد حسين ومحمود محمد شاكر وعلي شلش ومحمد سعيد رمضان البوطي.. وغيرهم.

أحمد عبد الرحيم

للأستاذ الإمام رأياً سلبياً في المسألة، وهو أنّ «طائفة الشيعة من أحوج الفرق إلى التقريب إلى الحق»، وأنّ محمد عبده كان يحكم عليها - كما يقول رشيد - بحكم أشد من حكم شيخ الإسلام ابن تيمية عليهم. ولم يفصح رشيد عن ذلك الحكم، لأنّ محمد عبده استكتمه إيّاه⁽³⁴⁾. وهذا خبرٌ بالغ الأهميّة والدلالة إنّ صحّ عن الأستاذ الإمام⁽³⁵⁾!

ومعلوم أنّ محمد عبده أولى «نهج البلاغة»⁽³⁶⁾ منذ شبابه غايته، حتّى أنّه وضع عليه - كاملاً - شرحاً وطبعه سنة 1303هـ / 1885، وهو بعدُ في الخامسة والثلاثين من عمره. كما أنه كان من أكبر دعاة وحدة الأُمَّة المسلمة في مواجهة تحديات زمانه الهائلة.

لكن المفاجئ هنا (إنّ صحّ ما نقله عنه رشيد رضا) أنه يلتقي في رأيه التقريبَ وغلاةَ الطرفين، الذين يرى الفريق منهم أنّ الحق المطلق معه، وأنّ التقريب الحقّ معناه أن يقترب الفريق الآخر إليه حتّى يندمج فيه!

الإمام الأكبر سليم البشري وقصّة «المراجعات»

ثم تأتي الشخصية الأزهريّة الأبرز التي بدأ الكلام عليها

(34) مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة، د. ناصر بن عبد الله القفاري، دار طبية/ الرياض، ط2/ 1413هـ، 193 / 2. وهو ذكر أنه نقلها من: تاريخ الأستاذ الإمام محمد عبده، محمد رشيد رضا، مطبعة المنار/ القاهرة، ط1/ 1350 هـ، 1 / 934.

35.

(36) هو ما «جمعه» السيّد الشريف المرتضى ممّا يُنسب إلى أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، وهو كتاب عظيم القدر عند الشيعة من قديم.

الأزهر والتشيع .. من لحظة التأسيس إلى زيارة تجادا

بخصوص الملف الطائفي وموقف الأزهر منه ودوره فيه.. وهي شخصية الإمام الخامس والعشرين للأزهر الشريف، منذ بدء نظام «مشيخة الأزهر» في العصر العثماني⁽³⁷⁾، الشيخ سليم البشري المالكي⁽³⁸⁾ (1243 - 1335 هـ / 1827 - 1917 م)⁽³⁹⁾. توفّي الشيخ البشري السنة 1335 هـ - 1916، عن سنّ قاربت التسعين، ولم يكن موضوع السنة والشيعية في مصر مثاراً حتى وفاته.

وبعد أكثر من عشرين سنةً من وفاة الشيخ البشري طبع شيخٌ شيعيُّ اسمه عبد الحسين شرف الدين الموسوي⁽⁴⁰⁾ كتاباً سماه

(37) كان الفاطميون يطلقون على شيخ الجامع الأزهر لقب «المشرف»، ثمّ لقب «الناظر». واستمر هذا حتى بعد زوال الدولة الفاطمية، وصولاً إلى القرن السابع عشر حيث أسس السلطان العثماني سليم الأول نظام «مشيخة الأزهر»، وأصبح «شيخ الجامع الأزهر» لقباً رسمياً يستحقه من يصدر القرار الرسمي من الدولة بتعيينه في هذا المنصب، ليقوم بصفة رسمية بالإشراف شؤون الأزهر وعلمائه وطلابه: علمياً وإدارياً. وأول من عُيّن بهذه الصفة وذلك اللقب هو الشيخ محمد عبد الله الخراشي المالكي سنة 1101 هـ/1690م.
انظر: الأزهر في ألف عام، د. أحمد محمد عوف، مصدر سابق، ص 109، 110.

(38) تولى الشيخ البشري مشيخة الأزهر مرتين: 1317 - 1320 هـ / 1899 - 1903 م، و: 1327 - 1335 هـ / 1909 - 1916 م. وتخللتهما فترة إبعاد له بسبب بعض مواقفه التي لم تُرقّ لخدويي مصر عباس حلمي الثاني.

(39) في أغلب ما رأيتُ من مصادر يذكر أن ميلاد البشري كان سنة 1248 هـ / 1832 م، وأن وفاته كانت سنة 1916، والتحقيق - والله أعلم - أنه ولد حوالي سنة 1243 أو 1244 هـ / 1827 أو 1828، وأنه توفّي في الضحوة الكبرى من يوم الجمعة لأربع خلون من شهر ذي الحجة الحرام قبيل ظهر يوم الجمعة 21 سبتمبر 1917 كما قال السيّد محمد رشيد رضا (مجلة المنار، المجلد 20، ذوالحجة - 1335 هـ/ سبتمبر - 1917 م).

(40) ولد في الكاظمية بالعراق 1290 هـ / 1872 م (تقريباً)، وتوفّي سنة 1377 هـ / 1957 م، ودفن في «النجف الأشرف». وقد زار مصر أول مرة أواخر سنة 1329 هـ / 1911 م، حيث التقى الشيخ البشري أول مرة. ولم أقت على تاريخ مفادته مصر بعد زيارته الأولى هذه، غير أن مترجمه آية الله مرتضى آل ياسين (في مقدمة طبعة حسين الراضي للمراجعات، وجددير بالذكر أن أصل هذه الترجمة كتبت في حياة الشيخ عبد الحسين: 1365 هـ - 1946 م) ذكر أنه رجع إلى مصر سنة 1337 هـ / 1919، أي بعد وفاة البشري بنحو ثلاث سنين، ولم يمكث في مصر هذه المرة طويلاً إذ غادرها العام التالي 1338 هـ / 1920.

ومن مطبوعاته (بالإضافة إلى «المراجعات»): الفصول المهمة في تأليف الأمة، أجوبة مسائل موسى جار الله، الكلمة الغراء في تفضيل الزهراء، أبو هريرة، فلسفة الميثاق والولاية، ثبّت الأثبات في سلسلة الرواة، مسائل خلافية - في بعض الفروع، مسألة كلامية - حول الرؤية.

وقد ذكره رشيد رضا غير مرة في «المنار»، مادحاً مرةً وقادحاً مرات، وبين المدح والقدح سنوات عديدة. ثمّ جمع رضا ما يتصل بمناظراته وسجلاته مع الموسوي ومع غيره من بعض شيعة الشام في كتابه «السنة والشيعية، أو

«المراجعات»⁽⁴¹⁾، قال إنّه حصاد مراسلات، حول مذهبِي السنة والشيعية، جرت بينه وبين شيخ جليل «كان علمَ مصر وإمامها بعقل واسع، وخلق وادع، وفؤاد حيّ، وعلم عيِّلم، ومنزل رفيع، يتبوّؤه بزعامته الدينيّة، بحق وأهليّة»⁽⁴²⁾.

اجتمع السيّد عبد الحسين ورفيقه «العالم المبرّز» هذا على همّ البحث عن «سبيلٍ سويٍّ يوقف المسلمين على حدٍّ يقطع دابر الشغب بينهم، ويكشف هذه الغشاوة عن أبصارهم، لينظروا إلى الحياة من ناحيتها الجديدة، راجعين إلى الأصل الدينيّ المفروض عليهم، ثمّ يسيروا معتصمين بحبل الله جميعاً تحت لواء الحق إلى العلم والعمل، إخوةً بررة يشدّ بعضهم أزر بعض»⁽⁴³⁾. والتقى أواخر سنة 1329 هـ - حسب رواية عبد الحسين - في اجتماعات متوالية.. تجاذبا فيها أطراف الحديث، وتداولوا جوانب النظر في أمهات المسائل الكلامية والأصولية، ثمّ كان من نتاج تلك الاجتماعات الكريمة مشروع هذه «المراجعات».

الوهابية والرافضة: حقائق دينية تاريخية اجتماعية إصلاحية، مطبعة المنار، ط2/ 1366 هـ - 1947.

(41) «قيل» إن طبعته الأولى صدرت سنة 1355 هـ / 1937م، عن مطبعة العرفان بصيدا/ لبنان. وقد تُرجم إلى الإنجليزية والفارسية والأردية. وتتابع طبعه، ولا يزال حتّى اليوم، بمئات الآلاف من النسخ، إذ هو من معتمّات سياسة نشر التشييع بين غير الإمامية، لاسيما أهل السنة العرب. والمعتمد في هذه الدراسة نسختان منه:

نسخة أ: بتحقيق وتعليق حسين الراضي، نشر مؤسسة دار الكتاب الإسلامي، دون مكان ولا تاريخ نشر.
نسخة ب: بتقديم حسن الشيرازي، نشر مؤسسة الوفاء، دون مكان ولا تاريخ نشر. غير أنّ تقديم الشيرازي بتاريخ 1393هـ / 1973.

(42) من الملاحظات المهمة أن السيّد عبد الحسين لم يسمّ مشاركته في مراجعاته هذه، إلا مرة واحدة، وباسمه الأوّل فقط، دون لقبه أو بقية اسمه، قال مشاركته المزعوم: «سيكون توقيمي في أسفل مراجعاتي كلها «س»، فليكن توقيمك «ش»، ثمّ علق عبد الحسين بقوله: «ولا يخفى لطف الرمزين «س» و«ش» ومناسبيتهما.. فإن السين إشارة إلى اسمه سليم وكونه سنياً، والشين إشارة إلى لقبى «شرف الدين» وكوني شيعياً.

(43) المراجعات: نسخة أ، ص 3. نسخة ب، ص 2.

الأزهر والتشيع .. من لحظة التأسيس إلى زيارة نجادا

واتفقا على أن يتقدم رفيقه بالسؤال خطأ عما يريد الاستفسار عنه، «فأقدم له الجواب بخطي على الشروط الصحيحة، مؤيِّداً بالعقل أو بالنقل الصَّحيح عند الفريقين»⁽⁴⁴⁾.

وانتهى شريكا الحوار في نهاية «المراجعات» إلى أن أعلن الطرفُ الأوَّل المستفيدُ/ السائلُ إلى التسليم لمن بدا، من سياق المراسلات، أنه معلِّمه ومرشده بقوله: «أشهد أنكم في الفروع والأصول على ما كان عليه الأئمة من آل الرسول. وقد أوضحت هذا الأمر فجعلته جلياً، وأظهرت من مكنونه ما كان خفياً، فالشك فيه خبال، والتشكيك تضليل. وقد استشففته فراقتي إلى الغاية، وتمخَّرت رِيحَه الطيبة فأنعشني قُدسي مَهَبها بشذاه الفَيَّاح. وكنْتُ - قبل أن أتصل بسببك - على لبسٍ فيكم، لما كنت أسمعُه من إرجاف المرجفين، وإجحاف المجحفين.. فلما يسرَّ الله اجتماعنا، أويتُ منك إلى عَلم هُدَى، ومصباح دُجَى، وانصرفتُ عنك مُفْلِحاً مُنْجِحاً. فما أعظم نعمةَ الله بك عليّ! وما أحسنَ عائدتك لديّ! والحمد لله رب العالمين»⁽⁴⁵⁾.

مسائل في انتقاد صحَّة نسبة «المراجعات» إلى شيخ

الأزهر البشري

وإذ لا يتعلق بهذه الدراسة فحصُ مقولات «المراجعات»، ولا موازنتها بثوابت السنة والشيعية، كما لا يتعلق كذلك بالكلام على

(44) المراجعات: نسخة أ، ص 5. نسخة ب، ص 4.

(45) المراجعات: نسخة أ، ص 537، 538. نسخة ب، ص 337، 338 (مع اختلافات يسيرة بين النصين، أرجح أن سببها أخطاء طباعية).

منتقديها، فإن الكلام سينحصر هنا حول مدى صدق نسبة مشاركة الكتاب إلى شيخ الأزهر الأسبق. والحق أن هذه النسبة، بعد طول تأمل وثبتت، تتعاورها عدّة من سهام النقد أهمها:

1. لم ينشر السيّد عبد الحسين الكتاب إلاّ سنة 1355 هـ/ 1937، أي بعد نحو عشرين سنةً من وفاة الشيخ البشري (توفي: 1335هـ/1917). ولم تصلنا قبل صدور الكتاب أيّ إشارات عنه أو عن خبر هذه المراجعات، وهي - إن حصلت - واقعةٌ علميّةٌ مهمّةٌ، ممّا لا يُسكّت عن ذكرها عادةً. ولم يبرز الموسوي أيّ دليلٍ خطيٍّ (أو غيره) يثبت أنه كانت بينه وبين البشري أيّ مراسلات.

2. بين طرّف في «المراجعات» أكثر من ستّ وأربعين سنةً، فقد ولد البشري سنة 1243 أو 1244 هـ/ 1827 أو 1828، وولد الموسوي سنة 1290 هـ/ 1873، أي إنّ البشري من طبقة أشياخ الموسوي، إن لم يكن من طبقة شيوخ أشياخه. هذا من جهة العمر فقط. أمّا من جهة المكانة العلميّة والوظيفية، فبينهما بونٌ شاسع: البشري هو شيخ الإسلام المالكيّ وإمام الأزهر الشريف، والموسوي شابٌّ لم يتمّ الأربعين بعد، وقد جاء إلى مصر لأسباب غير معلومة⁽⁴⁶⁾. وقد يكون حين جاء

(46) ذكر د. علي أحمد السالوس أن الموسوي جاء مصر طريدًا لاجئًا.. لكني لا أعلم مستنده في هذا، فضلًا عن أسباب طرده - إن صح - . انظر كتابه: عقيدة الإمامية عند الشيعة الإثني عشرية، دار الاعتصام/ القاهرة، ط1/ 1987، ص 179.

ثم وجدت إشارة إلى أنّ التجاه إلى مصر كان بعد أن أحرق الاحتلال الفرنسي بيته ومكتبته الضخمة ببيروت غادر لبنان إلى دمشق، ثمّ إلى فلسطين، ومنها إلى مصر. انظر: التقريب في القرن الماضي، د. محمد علي آذرشب، مقال بموقع المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلاميّة:

http://www.taqrīb.info/arabic/index.php?option=com_content&view=article&id=987:139007-19-18-25-06-&catid=76:138937-22-06-25-05-&Itemid=240

مصرَ أولَ مرّةٍ ذا اطلاعٍ وعلى معرفة، لكنه قطعاً لم يكن يمثل - ذلك الوقت - مرجعيةً ما في مذهبه وبين قومه.

إذاً، فكيف يمكن أن يُراد إقناع القارئ بأنّ شيخ الإسلام في زمانه وإمام الجامع الأزهر البالغ وقتها من العمر واحداً وثمانين عاماً هو الطرفُ المستفيدُ/ السائلُ بكل تواضع طالب العلم المبجل أستاذة.. وأنّ الطرفُ المفيدُ/ المجيبُ بكل حُنوِّ العالم المرَبِّي الحريصِ على إفادة طالبه هو شابٌ في شرح شبابه لم يصل بعدُ إلى الأربعين من عمره؟!

3. أثبت بعض الباحثين المدققين نفيَ عددٍ من معاصري الموسويّ والبشري نسبةَ الكتاب (أو، تدقيقاً، شطره) إلى البشري نفسه، منهم نجلُ البشري ذاته الشيخ محمد بن سليم الذي قال لمن سأله عن هذه المراجعات: «قرأت الحديث على أبي ثلاثين سنة.. فما ذكر لي شيئاً عن الشيعة، وما كان يخفي عني أي شيء». وأكد هذا النفيَ الشيخُ محمد أبو زهرة رحمه الله⁽⁴⁷⁾.

4. دون التطرق إلى تفاصيل موضوعية في ثنايا الكتاب، ليس هنا محلّ استعراضها فضلاً عن مناقشتها.. لا يظهر الشيخ البشري، عبر

ومن هنا يظهر تناقض بعض الكاتبين (انظر: لماذا اعتنق شيخ الأزهر سليم البشري المذهب الشيعي؟، مقال دون ذكرٍ لكاتبه في هذا الموقع:

<http://forum.maktoob.com/t240232.html>).

حين يملون عدم وجود أي وثيقة بخط البشري تثبت حصول هذه المراجعات بأن جميع أصول عبد الحسين وكتبه ووثائقه أحرقتها الاحتلال الفرنسي، في حين أن هذه الواقعة - إن صحت أيضاً - كانت قبل مجيئه مصر والتقاءه - المزعوم - الشيخ البشري!

(47) انظر: الفرية الكبرى: نقض المراجعات لعبد الحسين الموسوي، د. علي أحمد السالوس، دار الثقافة/ قطر ومكتبة دار القرآن/ مصر، ط2/ 2008 ص 3: 5.

استفساراته المتواضعة الحيّية، ممعناً في إبراز الجهل التامّ بمذهب الشيعة وحسب، بل بالمذهب السنّي ومدوّنته الحديثيّة أيضاً، حتّى إنه يقول بتواتر أحاديث ضعيفة وموضوعة، وتغيب عنه المسائل التي لا يُعقل غيابها عنه وهو المحدث الفقيه المفني عمره في العلم والتعليم!

فضلاً عن أن هذه ليست «مراجعات».. «إذ إنّ الشيخ البشري لم يراجع الموسوي المدّعي ولو مرّة واحدة، ولم يورد ولو حديثاً واحداً من أحاديث أهل السنة يبين بها عطل هذه الأسانيد المفتراة، ولا سرد دليلاً واحداً على صحّة مذهب السنّة، وهو القائل: «والله لو هُدمَ مذهب مالك لأقمته» لتبحره في العلم الشرعيّ، وفي علم الحديث خاصة!»⁽⁴⁸⁾.

5. لا يكفي تصريح الموسوي بأنه صاحب صوغ الكتاب النهائيّ، بما فيه كلام البشري⁽⁴⁹⁾، في أن يعفيه من تهمة التدليس ونسبة الزور إلى البشري. وبغض النظر - مجدداً - عن مضمون هذه المراجعات، وبغض النظر عن حقيّة هذه الوقائع وصدقها.. فإن من السائغ لدى أيّ قارئ أن يستوعب مثل هذه المراجعات من شخصين متقاربين في المستوى، أو من شخص يضع بقلمه موضوعات شائكة متوسلاً طريقة السّؤال والجواب، جرياً على أسلوب أدبيّ مقبول.

6. بعد هذا كله.. لا يكفي مجرد احتمال اللّقاء العقليّ دليلاً على

(48) بيان عائلة الشيخ سليم البشري «ردّ عائلة الشيخ سليم البشري على بهتان الشيعة في كتاب المراجعات، عن عائلة الشيخ سليم بن أبي فراج البشري: د. طارق عبد الحليم، بالموقع الشخصي للدكتور طارق عبد الحليم: <http://www.tariqabdelhaleem.com/new/Artical-201>.

(تاريخ الدخول: 23 فبراير 2013م).

(49) انظر: المراجعات: نسخة أ، ص 5، 6. نسخة ب: ص 4، 5.

ثبوتها بين متعاصرين. ولا يكفي ثبوتها دليلاً على أنّ ثمة حواراً طويلاً استغرق نحواً من ستة أشهر⁽⁵⁰⁾، لاسيما أنه لا دليل، أي دليل، على حصول هذا الحوار الطويل الممتد!

7. ولا يريد الباحث، مراعاةً لنطاق هذه الدراسة، التطرق لمسألة نحل الشيعة الإمامية عددًا من كتبهم المهمة إلى غير أصحابها، استجازةً منهم هذا النحل لمجرد أنه «موضوع لغرض صحيح»⁽⁵¹⁾ في ما يعتقدون.. بدءاً من «نهج البلاغة» المنحول للإمام علي رضي الله عنه، ومروراً بكتاب «أبجد» المنحول لسليم بن قيس وكتاب «سرّ العالمين» المنحول لأبي حامد الغزالي، وانتهاءً بكتاب «المراجعات» المنحول شطره لشيخ الأزهر⁽⁵²⁾، فبمعية هذه السوابق يجدر تأمل قول الشافعي رحمه الله: «ما من أهل الأهواء أشهد بالزور من الرافضة»، واعتبار ما نصّ عليه كثير من المحدثين من جواز رواية الحديث عن مثل الخوارج، لأنهم يتشدّدون في التحرز من المعاصي (ومنها الكذب طبعاً)، دون الإمامية، لأنهم يجيزون الكذب تقيّةً ومصلحةً!

8. ثم، وختاماً، أطرح شكاً حاك في صدر الباحث، لكن لم يتيسر له حتى الآن تأكيده أو نفيه، وخلاصته: أنه يُشاع أن طبعة كتاب «المراجعات» الأولى قد صدرت سنة 1355 هـ / 1937، عن مطبعة

(50) تاريخ «المراجعة» الأولى: 6 ذو القعدة 1329هـ، والأخيرة (رقم 112): 2 جمادى الأولى 1320م.

(51) قال هذا نصّاً أبو الحسن الشعراني في تعليقه على كتاب «الكافي» مع شرحه للمازندراني، المكتبة الإسلامية/ طهران، 2/ 273، 274 (بدلالة: مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة، د. ناصر بن عبد الله القفاري، 2/ 213).

(52) انظر: مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة، 1/ 68، 70، 209: 241، 2/ 213، 214. وأيضاً: نقد المراجعات، آية الله العظمى السيّد أبو الفضل البرقي قمّي، تحقيق عبد الله سلمان، نسخة إلكترونية بموقع البرقي، ص 11، 21، 22.

أحمد عبد الرحيم

العرفان بصيدا/ لبنان. والشكّ من جهة أنه لم يرد له أيُّ ذكر في ما تيسّر لي مراجعته من صحف ذلك الزّمان ودورياته، على الرغم من أن «مجلة الرسالة»، على سبيل المثال، نشرت العام 1947 سجلاً بين الموسوي وعبد المتعال الصعيدي، بمناسبة صدور كتابه الأوّل «أبو هريرة»، وضجيجه أهون - نسبياً - من الضجيج المفترض من نسبة التشيّع بهذا التفصيل الممل إلى إمام الأزهر الشريف، لاسيما أن أبناءه وتلامذته المباشرين لا يزالون أحياءً سنة 1937! وقبل ضجيج كتاب «أبو هريرة»، كان ثمة ضجيجٌ آخر بين الموسوي ومحمد رشيد رضا (على سبيل التمثيل) سنتيّ 1922⁽⁵³⁾ و1930⁽⁵⁴⁾.

والسؤال الذي يطرحه الباحث هنا، ويحتاج فضل تحقيق تاريخي: متى صدرت الطبعة الأولى من «المراجعات»؟

الردود على «المراجعات»

من بين ما كتب في نقد «المراجعات»، أو نقضه بالكليّة، تهمنا في سياق الحديث عن الأزهر والتشيّع الإشارةُ إلى ردِّ واحدٍ فقط من هذه الردود، لخصوصيته في سياقنا هذا.. وهو ردُّ الدكتور علي أحمد السالوس، «الفرية الكبرى: نقض المراجعات لعبد الحسين الموسوي»، وذلك أنه وضعه بناءً على طلب من شيخ الأزهر الأسبق جاد الحقّ علي جاد الحقّ، وفي هذا يقول السالوس: «... وفي لقاء مع الإمام

(53) انظر: مجلة المنار، ربيع الآخر 1341م / ديسمبر 1922م.

(54) انظر: مجلة المنار، ذو الحجة 1348م / مايو 1930م.

وتجدر الإشارة إلى أنه لم يرد في هاتين المناسبتين (السجال بين رشيد رضا وعبد الحسين) أيُّ ذكرٍ لهذه المراجعات!

الأزهر والتشيع .. من لحظة التأسيس إلى زيارة نجادا

الأكبر الشيخ جاد الحقّ علي جاد الحقّ، شيخ الجامع الأزهر آنذاك، تحدثنا عن خطر الكتاب (المراجعات)، وذكر لي أنه في أسفاره يحدثه المسلمون عن تقصير الأزهر في عدم الردّ على «المراجعات»، ويطالبونه بإصدار ردّ كافٍ شافٍ. وأضاف فضيلته: لقد كلفتُ من يقوم بالردّ، غير أنني لم أرضُ عما كتب، وأريدك أنت أن تكتب ردًّا»⁽⁵⁵⁾.

واللّافت في الأمر، أن انتباه مؤسّسة الأزهر الشريف إلى ضرورة الردّ على كتابٍ يصرّح بتشيع أحد كبار أئمته تأخر عدّة عقود منذ صدور الكتاب (إذا صح أنه نُشر أول مرّة سنة 1937م). وعندما انتبعت المؤسسة لم يأت الرد في صورة بيان رسميٍّ مثلاً، مفصّلاً كان أم مختصراً، بل في طلب خاصٍّ من الإمام الأكبر وجهه إلى أحد معارفه ممن لهم اختصاصٌ بملفّ الشيعة الإمامية!

ولا أعلم، حتّى الآن، أنّ ثمة بياناً رسمياً صدر عن مشيخة الأزهر الشريف بخصوص هذه القضية الخطيرة، التي تُستغل بكتابٍ كبيرٍ تُرجم إلى الإنجليزية والفارسيّة والأردنيّة وغيرها، ويتتابع طبعه، طوال العقود الماضية وحتى الآن، بمئات الآلاف من النسخ، إذ هو من معتمّدت سياسة نشر التشيع بين غير الإمامية، لاسيما أهل السنة العرب.. كما سبقت الإشارة في إحدى حواشي هذه الدراسة⁽⁵⁶⁾.

(55) الفرية الكبرى: نقض المراجعات لعبد الحسين الموسوي، سبق ذكره، ص 4.

(56) وكنّت أتساءل أيضاً: لمّ لم تردّ - طوال عقود عدّة - عائلة البشري العريقة على هذه الفرية البقّاء؟! حتى وقفتُ على بيان كتبه باسم العائلة، بتاريخ الثلاثاء 23 أكتوبر 2007، أحد أسباب البشري، ابن بنت الشيخ الأديب الكبير عبد العزيز سليم البشري، وهو د. طارق عبد الحليم، قال فيه: «ليس لهذا الكتاب صلة بالشيخ البشري رحمه الله، هو لم يكتبه ولا سأل سؤالاً ورد فيه ولا اطلع عليه، إذ إن الكاذب أثر (هكذا) الموسوي قد نشر أوهامه بعد سنوات من وفاة البشري ليضمن انتشار كذبه دون مراجعة صادقة لمراجعاته الكاذبة. ولو كان لهذا الوهم المكذوب أثرٌ، لوجده أولاده، وهم تسعة أولاد، وفيهم من هو في مقام من العلم

وهل يكفي قرارٌ قديمٌ - عديمٌ الجدوى - بمنع تداول الكتاب في مصر⁽⁵⁷⁾ جواباً عليه، لاسيما في زمنٍ لا تُمكن فيه السيطرة - بأي صورة كانت - على الفكر وتداوله بشتى الصور؟!

والغريب أنّ أحد كبار العلماء والمسؤولين الآن بالأزهر الشريف⁽⁵⁸⁾ تطرّق يوماً إلى هذه «المراجعات» عرضاً، وفي سياقٍ لا يناسبه ما قال، فأسهب في وصف طرفيها بـ«العظيمة»، ممتدحاً «حرص الرجلين العظيمين على التأكيد من هكذا أنّ تلك المراجعات لا تهدف إلى إخراج الشيعة عن مذهبهم، ولا إخراج أهل السنة عن مذهبهم، فهذا تكليف بغير المقدور.. كما تقول نصوص المراجعات».. رغم أنّ نصوص «المراجعات» تدلّ على عكس هذا تماماً، وتبيّن أنّ نتيجتها «الباهرة» هي إخراج شيخ الأزهر من السنة إلى التشيع! واكتفى

لا يُضامى كجدي الشيخ عبد العزيز البشري إمام العربية وجاهظ العصر، أو لوجده من بعده أحفاده، كما وجد أخوالي حسين وعبد الحميد عبد العزيز البشري مسؤولات كتاب الشيخ عبد العزيز بعد وفاته فحقّقوها وطبعوها في كتاب «قطوف»، أو الأستاذ الجليل خالنا المستشار طارق عبد الفتاح البشري الذي نشأ في منزل الشيخ سليم ونقّب فيها ترك من ورائه منذ طفولته، أو من بعد أولاد أحفاده ممن اهتم بالعلم الشرعيّ ونقّب فيه عما خبئ من آثار. تعاقبت الأجيال الثلاثة ولم يسمع أحد لهذا الأثر من ركز، إلا من طريق من شهدت عليه أحجار الأرض بالكذب والوضع! ونعجب.. إن كان دين هؤلاء الرافضة هو تكفير الصحابة رضوان الله عليهم والكذب عليهم، وهم أعلام هذه الأمة وأسيادها، كيف يستغرب كذبهم ووضعهم على شيخ الإسلام سليم البشري؟ (...) ونحن نبرأ إلى الله من هذا الكتيب (هكذا) الموضوع، ونردّ كل من سؤلت له نفسه نسبة هذا الهرء إلى الشيخ الإمام سليم البشري رحمة الله عليه». انظر نص البيان، الذي سبقت الإشارة إليه، بالموقع الشخصي للدكتور طارق:

<http://www.tariqabelhaleem.com/new/Artical-201>

(تاريخ الدخول: 23 فبراير 2013).

(57) انظر: الشيعة في مصر: من الإمام عليّ حتّى الإمام الخميني، صالح الورداني، مكتبة مدبولي الصغير/ القاهرة، ط 1/ 1993م، ص 128، 159.

(58) د. محمد عبد الفضيل القوصي، نائب رئيس جامعة الأزهر وقت نشر مقاله، ثم - الآن - أحد أبرز مساعدي شيخ الأزهر الدكتور أحمد الطيب ونائبه في رئاسة «الرابطة العالمية لخريجي الأزهر الشريف»، وعضو «هيئة كبار العلماء»، ووزير الأوقاف الأسبق. ومقاله بعنوان «الأزهر والتشيع: مراجعات ومكاشفات»: جريدة الأهرام: 1 أكتوبر 2008. وكان بسبب السجالات الكبير الذي حصل سنة 2008 بسبب إعلان د. يوسف القرضاوي رأياً سلبياً في مسار «التقريب»، وهو ما سيرد لاحقاً بإذن الله.

طبقةً مستنيرةً ناشئةً في إيران صارت تعرف للصحابة أقدارهم. ويذكر الأستاذ محب الدين الخطيب - دون أسانيد مقنعة - أن إيران أرسلت هذا الزنجاني لأغراض غير معلنة، وأنه لما أخفق في تحقيقها، وكاد يميل إلى فكر الاعتدال بسبب نقاشاته مع علماء أزهريين ومنتقفيين مصريين، أنهت إيران انتدابه، وأعادته إلى دياره⁽⁵⁹⁾.

بعد هذا الزنجاني الأول أرسلت إيران سنة 1355م / 1936 زنجانياً آخر - بتعبير محب الدين الخطيب - هو الشيخ عبد الكريم بن محمد رضا الزنجاني⁽⁶⁰⁾ (1304 - 1388م / 1887 - 1968)، الذي احتفى به - فيمن احتفى - الإمام الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغي (1298 - 1365م / 1881 - 1945)، وكتبت عن هذا الاحتفاء جريدة «البلاغ»: «هذه هي المرة الأولى، بعد أكثر من ألف سنة، التي يجتمع فيها كبار علماء السننيين برئاسة أكبر زعيم ديني، وهو شيخ الأزهر، لتكريم كبير علماء الشيعة، وهو الإمام الزنجاني»⁽⁶¹⁾.

وقد راسل الشيخ عبد الكريم الزنجاني في فبراير 1937، بعد نحو عام من زيارته هذه، الإمام الأكبر الشيخ المراغي، عارضاً عليه فكرة تأسيس مجلس إسلامي أعلى هدفه التقريب بين المذاهب

(59) انظر: مجلة الفتح، 17/709 (بدلالة: مسألة التقريب... 2/167، 168).

(60) ولد في مدينة «زنجان» ونشأ بها، ثم غادرها إلى «طهران»، قبل أن يهاجر إلى النجف الأشرف بالعراق ويتلمذ في حوزتها العلمية. وفي النجف توجّه، ودُفن في «الصحن الحيدري». وله عشرات المصنفات، منها كتابه الشهير «الوحدة الإسلامية والتقريب بين المذاهب». انظر ترجمته في: الفصل في تاريخ النجف الأشرف، د. حسن عيسى الحكيم، المكتبة الحيدرية/ قُم، ط1/ 2007م، 8/ 41: 54.

(61) نقلًا عن: الفصل في تاريخ النجف الأشرف، 8/ 46.

الأزهر والتشيع .. من لحظة التأسيس إلى زيارة نجادا

الإسلامية⁽⁶²⁾. ويبدو أنّ هذه الفكرة هي نواة «جماعة التقريب» التي نشطت للدعوة إليها المبعوث الإيراني، الثالث والأهم، الشيخ محمد تقّي القمّي⁽⁶³⁾ (1289 - 1410م / 1910 - 1990م)⁽⁶⁴⁾.

مراحل تأسيس «دار التقريب»

ذكر الشيخ القمّي أنّ دعوته التقريبية مرت، منذ زار مصر أول مرّة 1357م / 1938، بثلاث مراحل: مرحلة تمهيد خلال زيارته الأولى مصر، ومرحلة تكوين بعد عودته مرّة ثانية إلى مصر 1358م / 1939، ومرحلة تنفيذ منذ استقر بمصر 1365م / 1946.

(62) السابق، 8 / 48.

(63) ولد في طهران لعائلة ميسورة الحال، وهو حفيد سبعة أجداد من علماء الدين، وكان والده حجة الإسلام (أعلى لقب ديني وقتها) أقام أحمد القمّي كبير القضاة الشرعيّين بطهران. انشغل منذ شبابه الباكر بمشكلات الخلاف والقطيعة بين المسلمين. ومنذ 1937 بدأ رحلته الطويلة خارج طهران ضدّ التعصب والتخلف، وتشاور مع علماء الشيعة في العراق ولبنان وهو في طريقه إلى مصر التي اختارها منطلقاً لنشر فكرته حول التقريب بين المذاهب الإسلامية. وكان آية الله العظمى الإمام البروجردي مؤيداً له وداعماً في هذه السبيل، ونسّق القمّي المراسلات بين آية الله وشيخ الأزهر عبد المجيد سليم. وساهم، أواخر حياته، في تأسيس «تجمع علماء المسلمين بلبنان» (1410 هـ - 1989 م). تُوّيء ودفن في طهران.

انظر: العلامة محمد تقّي القمّي رائد للتقريب والنهضة الإسلامية، مقال بموقع المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية، بتاريخ 28 مارس 2010م:

http://www.taqrub.info/arabic/index.php?option=com_content&view=article&id=405:138915-38-07-08-01-&catid=45:138824-04-08-23-06-&Itemid=245

(64) من الشخصيات المهمة من علماء الشيعة التي زارت مصر، والتقت أئمة الأزهر ومشايخه تلك الفترة: آية الله السيّد هبة الدين الحسيني الشهرستاني (1301 . 1386 هـ / 1884 . 1967م)، وجاب كثيراً من البلدان العربية والإسلامية.

آية الله محمد حسين بن علي آل كاشف الغطاء (1294 - 1373م / 1877 - 1954) وكانت بينه، وكذلك ابنه آية الله عليّ (1331 - 1411م / 1913 - 1991م)، وبين الشيخ المراغي مراسلات حول موضوع الوحدة الإسلامية. انظر: المفصل في تاريخ النجف الأشرف، 7/ 307: 325، وأيضاً: 8/ 156: 165، وأيضاً: 6/ 131: 158.

أحمد عبد الرحيم

وذكر أنّ أكبر داعميه وأهمّهم كانوا، منذ 1357هـ/ 1938، من كبار أهل الأزهر، بدءاً من أئمتّه: الشيخ محمد مصطفى المراغي (سابق)، الشيخ عبد المجيد سليم (1299 - 1375هـ/ 1882 - 1954)، والشيخ مصطفى عبد الرازق (1304 - 1366هـ/ 1885 - 1947)، والشيخ محمد الخضر حسين (سابق)، والشيخ محمود شلتوت (1310 - 1383 هـ/ 1893 - 1963)، وكلهم تولى مشيخة الأزهر، ووصولاً إلى الشيخ الكبار⁽⁶⁵⁾: الشيخ محمد محمد المدني (1325 - 1388هـ/ 1907 - 1968)، والشيخ عبد العزيز عيسى (1326 - 1415هـ/ 1908 - 1994)، والشيخ عبد المتعال الصعيدي (1311 - 1386هـ/ 1894 - 1966)، والدكتور محمد عبد الله دراز (1311 - 1378هـ/ 1894 - 1958)، والشيخ محمد أبوزهرة (1315 - 1394هـ/ 1897 - 1974). ثمّ التحق بهم الشيخ أحمد حسن الباقوري (1325 - 1407هـ/ 1907 - 1985) والشيخ محمد الغزالي (1335 - 1416هـ/ 1917 - 1996)⁽⁶⁶⁾.

اعتراضات على المشروع

على الرغم من هذا الدعم الرسميّ من المؤسسة الأزهرية.. اعترض على بعض توجهات الدار بعض شيوخ الأزهر.. حتّى أنّ بعضهم اعتبرها سياسات استعماريّة من صنع الإنجليز، بل لقد ظنّ بعضهم أنّ الدار تعمل سرّاً لصالح الطائفة الإسماعيلية بقصد إرجاع

(65) نهتمّ في سياق هذه الدراسة بالمشايخ الأزهريين وحسب، واللا.. فإنّ الفكرة والدار كان لهما أيضاً أعلامٌ من غير الأزهريين.

(66) انظر: قصّة التقريب: أمة واحدة.. ثقافة واحدة (محطات من أفكار وآراء المصلح الكبير الشيخ محمد تقي القميّ)، سيد هادي خسروشاهي، مطبوعات المجمع العالميّ للتقريب بين المذاهب الإسلامية/ طهران، ص 21: 23، 132: 134.

الحكم الفاطميّ إلى مصر، فضلاً عن اتّهامها بأنّ عرضها الخفيّ تحويل السنّين إلى المذهب الشيعيّ⁽⁶⁷⁾.

ومن أبرز من ناصبوا «دار التقريب» العدا، وبعضهم كانوا عاملين في سياق دعوات الوحدة ونشاط الدار، غير أنّهم اختاروا النأي عنها لما بدا لهم من عوج في الأداء: مفتي الديار المصريّة الشيخ حسنين محمد مخلوف (1307 - 1410 هـ / 1890 - 1990)، والشيخ عبد اللطيف محمد السبكي، والشيخ محمد عرفة، والشيخ طه محمد الساكت (1321 - 1403 هـ / 1903 - 1983)، والدكتور محمد البهي (1323 - 1402 هـ / 1905 - 1982)⁽⁶⁸⁾.

وقد نجح هؤلاء المشايخ المعارضون في تعطيل مشروع يجعل للشيعّة نصيباً مقسوماً في مناهج الأزهر الشريف في علوم الفقه وأصوله وتاريخه ومصطلح الحديث ورجاله⁽⁶⁹⁾. وبعد خمس سنوات من تأسيس الدار نرى افتتاحيّة مجلّتها تشير إلى «أفراد في كلّ طائفة لا همّ لهم إلاّ أن ينبشوا عن الهنات، ويضخّموا الهفوات، ويأخذوا أرباب المذاهب بأقوال عامّتهم، ضاربين صفحاً عن تحقيق خاصّتهم، كفعل ذوي المأرب من المستشرقين، يحكمون على الإسلام عامّة بما يرونه من الآراء الشاذة في بعض الكتب». ويتحدث رئيس التحرير في هذه الافتتاحيّة لأول مرّة بعد صدور المجلة عن «ذوي القلوب الجاحدة،

(67) انظر: السابق، ص 135.

(68) انظر: مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعّة 2/ 183، 184.

(69) انظر: مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعّة، 2/ 179، 180. وقد حكى المؤلّف هذه الواقعة سماعاً عن مفتي مصر الأسبق الشيخ حسنين مخلوف، ونشر وثيقة بخط الشيخ تؤكد الواقعة: 2/ 355: 358.

والمقول الجامدة، والأقلام الشاردة، والنفاثين في العُقد، والمصدّرين
هن الضغينة والحسد»⁽⁷⁰⁾.

ومما نجح المعارضون في تعطيله أيضاً من مقاصد الدار أنّ
الشيخ عبد المجيد سليم شيخ الأزهر يومها كان قد عزم على إصدار
فتوى بجواز التعبد بفقهِ الشيعة⁽⁷¹⁾. فقد كان الشيخ قد سنحت له
الفرصة للاطلاع على فقهِ الشيعة، إذ إنّ آية الله السيّد البروجردي
(1292 - 1380م) في ضمن مراسلاته له قد أرسل له نسخة كاملة
من كتاب المبسوط في فقهِ الإمامية للشيخ الطوسي، وقد أعجب بها
الشيخ عبد المجيد سليم إعجاباً كبيراً، حتّى كان يقول: «متى ما أردتُ
أن أشارك في جلسة استفتاء أراجع كتاب المبسوط»⁽⁷²⁾.

ولما استعدّ لإصدار فتوى بجواز التعبد بفقهِ الشيعة حاول تهيئة
أذهان جماعة التقريب لهذا الأمر، وتقرّر في غضون ذلك دراسة صيغة
الفتوى في جلسة تعيّن وقتها، لكن قبل أسبوع من موعد انعقاد تلك
الجلسة المقرّرة حدث ما لم يكن بالحسبان. يقول الشيخ القمي عن
هذه الواقعة: «هياً الشيخ عبد المجيد سليم أذهان جماعة التقريب
وأفكارهم لهذا الأمر. وتقرر دراسة صيغة الفتوى في جلسة تعيّن وقتها.
وقبل أسبوع من تلك الجلسة المقرّرة وصلت إلى جميع أعضاء جماعة
التقريب طرود بريدية مبعوثة من عواصم أوروبية مختلفة، أرسلت على

(70) انظر: مجلة رسالة الإسلام، السنة الخامسة، العدد الأول، ربيع الثاني 1373م.

(71) كان ذلك قبل عشر سنوات من صدور فتوى الشيخ محمود شلتوت بهذا الشأن، التي سيرد ذكرها بعد قليل.

(72) قصة التقريب: أمة واحدة.. ثقافة واحدة، سيد هادي خسروشاهي، ص 25.

الأزهر والتشيع .. من لحظة التأسيس إلى زيارة نجادا

عناوينهم في محلّ عملهم، وأرسل نظيرها على عناوينهم في بيوتهم، وهي تحمل ما ينسف فكرة إصدار الفتوى.

حضر الأعضاء في الجلسة المقررة وهم يحملون تلك الطرود، والغضب بادٍ على وجوههم، وجلس الشيخ عبد المجيد في مقدمة المجلس. وإذا بالأعضاء يرفعون صوتهم دفعة واحدة، ويتحدثون بلهجة غاضبة قائلين: أتريدون أن نصدر فتوى في جواز العمل بفقهِ الشيعة وهم يعادون الصحابة؟! ثمّ فتح كلّ منهم طرده وأخرج منه كتاباً منسوباً إلى أحد علماء الشيعة يتحامل فيه على الخليفتين الأوّل والثاني، وقالوا: هذه وثيقة تبين طبيعة الشيعة وأفكارهم تجاه الخلفاء.. فماذا تقولون؟ (...) ثمّ تناول الشيخ سليم الحديث، وقال باتزان ووقار: هلاًّ سألتكم أنفسكم من أين جاءت هذه الطرود؟ وما هو هدف مرسلها؟ ولماذا أرسلوها في هذا الوقت بالذات؟

ثم استرسل في الحديث قائلًا: لو أنّ الشيعة والسنة لم يكن بينهما اختلاف، لما احتجنا إلى التقريب وإلى جماعة التقريب ودار التقريب ومجلة رسالة الإسلام! لكننا بعد علمنا بوجود الاختلاف نهضنا بهذا المشروع، كي نركز على المشتركات، ونقل الاختلافات، ونزيل الشبهات. (...) هداً الجو، ولكن صدور الفتوى تأخر عشر سنوات حين أقدم الشيخ محمود شلتوت على تنفيذ المشروع»⁽⁷³⁾.

(73) ذكريات الشيخ محمد تقيّ القميّ عن مسيرة دار التقريب، برويها عبد الكريم بي آزار شيرازي، ص 130، وما بعدها (نقلاً عن: التقريب في القرن الماضي، د. محمد علي آذرشب، مقال بموقع المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلاميّة:

مبادئ «دار التقريب»

أوضح مؤسسو الدار أنّ الغرض من حركتها أن تكون مركزاً إسلامياً لهذه الفكرة لجهود جميع المعنيين بها في أنحاء العالم، وتتبادل بحوثهم وأفكارهم وعلومهم في رفق وحسن تقبّل، فيتهاً لها جوً من البحث العلمي الخالص في ضوء القواعد الإسلامية الصحيحة. وولخصوا أهم مبادئها في الآتي⁽⁷⁴⁾:

1. لا تريد جماعة التقريب بين المذاهب الإسلامية المساسَ بالفقه الإسلامي ولا إدماج بعضها في بعض. بل هي ترى في هذا الاختلاف الفقهية مفخرةً للمسلمين، لأنه دليل على خصوبة في التفكير وسعة في الأفق، واستيفاء، وحسن تقدير للمصالح التي أنزل الله شريعته لكفالتها وصونها.

2. لا تمد الجماعة يدها إلا إلى أقرب المذاهب الإسلامية التي تعتقد العقائد الصحيحة للإسلام والتي يجب الإيمان بها.

3- الآراء والأفكار التي لا صلة لها بالعقائد الصحيحة لا تؤدي، ولا تدفع، إلى التقاطع والتناحر، وإنما يعذر بعضنا بعضهم في ما اختلفنا فيه.

(id=240).

وانظر أيضاً: مقدمة قصة التقريب، للإمام الأكبر محمود شلتوت، بضميمة: «نحو مجتمع إسلامي موحد. مسألة التقريب بين المذاهب الإسلامية: أسس ومنطلقات»، دار التقريب بين المذاهب الإسلامية، ط2/ بيروت، 1997م، ص 17، 18. وأيضاً: قصة التقريب: أمة واحدة.. ثقافة واحدة، سيد هادي خسروشاہي، ص 24: 26.

(74) انظر: نحو مجتمع إسلامي موحد. مسألة التقريب بين المذاهب الإسلامية: أسس ومنطلقات، دار التقريب بين المذاهب الإسلامية، ص 99.

الأزهر والتشيع .. من لحظة التأسيس إلى زيارة نجادا

4- العمل على تبصير المسلمين بدينهم وقطع أسباب الخلاف والتفريق بينهم.

5- بيان ما هو عقيدةٌ يجب الإيمان بها وما هو معارفٌ لا يضُرُّ الخلاف فيها، وأنَّ من بين هذه المعارف ما يُظنُّ أنه من العقائد وهو ليس منها عند التحقيق.

أهداف «دار التقريب»

تتلخص أهم أهداف «دار التقريب» كما أرادها أهلها في الآتي⁽⁷⁵⁾:

1. العمل على جمع كلمة كلِّ من أرباب المذاهب الإسلاميَّة والطوائف الإسلاميَّة الذين باعدت بينهم آراء لا تمسُّ العقائد التي يجب الإيمان بها.

2. نشر المبادئ الإسلاميَّة باللغات المختلفة وبيان حاجة المجتمع إلى الأخذ بها.

3. السعي إلى إزالة ما يكون من نزاع بين شعبين أو طائفتين من المسلمين والتوفيق بينهما.

4. العمل على تحقيق أهداف الجماعة عبر:

(75) انظر: مجلة رسالة الإسلام (لسان حال دار التقريب)، العدد 14، ص 223.

- نشر الكتب والرسائل.

- الدعوة بطريق الصحف والمحاضرات والإذاعات اللاسلكية.

- تبادل النشرات مع الجماعات الدينية والثقافية في مختلف الهيئات الإسلامية.

- عقد مؤتمرات إسلامية عامة تجمع زعماء الشعوب الإسلامية في الأمور الدينية والاجتماعية.

- العمل على أن تقوم الجامعات الإسلامية في جميع الأقطار بتدريس فقه المذاهب الإسلامية حتى تصبح جامعات إسلامية عامة.

أهم منجزات «دار التقريب»

1. إصدار مجلة رسالة الإسلام: صدر العدد الأول منها في ربيع الأول سنة 1368 هـ/ يناير 1949، وتواصل صدورها كل ثلاثة أشهر، وتمثرت في الصدور بعض الأعوام، ثم صدر عددها الستون والأخير في رمضان 1392 هـ/ أكتوبر 1972⁽⁷⁶⁾.

(76) نمة دراسة مهمة وموضوعية في تحليل أداء المجلة ونقده: المقاربات التقريبية في مجلة «رسالة الإسلام»، د. حسن سلهب، بموقع المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية، الأربعاء، 14 إبريل 2010:
http://www.taqrub.info/arabic/index.php?option=com_content&view=article&id=430-q-q&catid=76.138937-22-06-25-05-&Itemid=240.

وقد كتب فيها، تلك الفترة

كبار علماء الشيعة من أمثال: الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء، والشيخ عبدالحليم كاشف الغطاء، والشيخ محمد رضا الشيببي، والسيد صدر الدين شرف الدين، والسيد هبة الدين الشهرستاني، والشيخ محمد تقي القمي، ومحمد صادق الصدر وغيرهم..

وكبار علماء السنة ومفكرها من أمثال: الشيخ عبد المجيد سليم، والشيخ محمود شلتوت، والشيخ محمد محمد المدني (رئيس تحرير المجلة)، والشيخ محمد أبو زهرة، والدكتور محمد البهي، والأستاذ محمود فياض، والشيخ محمد علي علويه باشا، والشيخ محمد عبد الله دراز، والشيخ عبد المتعال الصعيدي، والأستاذ محمد فريد وجدي، والأستاذ أحمد أمين، والأستاذ علي عبد الواحد وايفي، والأستاذ عباس محمود العقاد وغيرهم كثير.

2. طباعة تفسير مجمع البيان لعلوم القرآن للعلامة الطبرسي (1372 هـ / 1952): وقد أشار بطبعة الإمام الأكبر عبد المجيد سليم، وصُدرت الطبعة بمقدمة للشيخ محمود شلتوت، وضح فيها أنه قد يتفق مع بعض جوانب هذا التفسير وقد يختلف في جوانب أخرى، إلا أنه يؤكد ضرورة أن يقرأ المسلمون بعضهم لبعضهم، وأن يقبل بعضهم على علم بعض، ومما قاله في هذا الصدد: «وقد يكون في الكتاب بعد هذا ما لا أوافق أنا عليه، أو ما لا يوافق عليه هؤلاء أو أولئك من قارئيه أو دارسيه، ولكن هذا لا يغض من عظمة هذا البناء الشامخ الذي بناه الطبرسي،

فإنّ هذا شأن المسائل التي تقبل أن تختلف فيها وجهات النظر. فليقرأ المسلمون بعضهم لبعض، وليقبل بعضهم على علم بعض، فإن العلم هنا وهناك، والرأي مشترك، ولم يقصُر الله مواهبه على فريق من الناس دون فريق، ولا ينبغي أن نظلّ على ما أورتتنا إياه عوامل الطائفيّة والعنصريّة من تقاطع وتدابُر وسوء ظنّ. فإنّ هذه العوامل مزوّرة على المسلمين، مسخّرة من أعدائهم عن غرض مقصود. لم يعد يخفى على أحد أن المسلمين ليسوا أربابَ أديانٍ مختلفة، ولا أُنجيلٍ مختلفة، وإنما هم أربابُ دين واحد، وكتاب واحد، وأصول واحدة. فإذا اختلفوا، فإنما هو اختلاف في الرأي مع الرأي، والرواية مع الرواية، والمنهج مع المنهج. وكلهم طلاب الحقيقة المستمدة من كتاب الله وسنة رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلم -، والحكمة ضالّتهم جميعاً ينشُدونها من أيّ أُمَّق. فأول شيء على المسلمين، وأوجبُه على قادتهم وعلمائهم: أن يتبادلوا الثقافة والمعرفة، وأن يقلعوا عن سوء الظنّ وعن التنايز بالألقاب، والتهاجُر بالظنن والسباب، وأن يجعلوا الحقّ رائدَهم، والإنصاف قائدهم، وأن يأخذوا من كلّ شيء بأحسنه»⁽⁷⁷⁾.

3. مشروع شلتوت - القمّي في علم الحديث: ويقوم هذا المشروع على جمع الأحاديث التي اتفق عليها الفريقان في مختلف أبواب الإيمان والعمل والأخبار والأخلاق، وغير ذلك من أبواب السنة المطهرة وبيّن مع كلّ حديث مصدره من كتب السنة ومن كتب الشيعة ودرجته عند كلّ من الفريقين. إلاّ أنه لم يقدر لهذا المشروع أن يتمّ، فقد تُوّيّف الشيخ

(77) انظر هذه المقدمة المهمة كاملة في: قصّة التقريب: أمة واحدة.. ثقافة واحدة، سيد هادي خسروشاهي، ص

الأزهر والتشيع .. من لحظة التأسيس إلى زيارة نجادا

شلتوت ثم الشيخ القمي فتوقف العمل فيه⁽⁷⁸⁾.

4. خصَّ الشيخ شلتوت كلَّ عدد من أعداد مجلة «رسالة الإسلام» بحلقة من التفسير يجمع فيها بين الوضوح والعمق والأصالة والمعاصرة. كان يكتب بروح الأزهر وبلغة العصر، ثمَّ جمعت هذه الحلقات في كتاب وطبع في ما بعد أكثر من مرّة.

5. بدأت دار التقريب أيضا بدراسة مشروع إعادة النظر في السيرة النبويّة المباركة دراسة منصفة عادلة مثبتة كاملة. ولكن المشروع لم يكتمل أيضا.

فتوى الشيخ محمود شلتوت بجواز التعبد على المذهب الجعفريّ الإثني عشريّ

تعد الفتوى بجواز التعبد على المذاهب الإسلاميّة كافةً، ومنها مذهب الشيعة الإماميّة الإثنا عشريّة، من أبرز ثمار حركة «دار التقريب» التي قادها الشيخ القمي ورفاقه.

صدرت هذه الفتوى في 1368م / 1959، وقد سبق أنّ الإمام الأكبر عبد المجيد سليم عزم على إصدارها قبل هذا التاريخ بنحو عشر سنين، إلاّ أنه لم يفعل بسبب الاعتراض القويّ الذي أبداه بعض مشايخ الأزهر وقتها.

(78) يذكر موقع «المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلاميّة»، أنه يعمل على إكماله في إطار «مركز البحوث والدراسات» التابع للمجمع في مدينة قم.

أحمد عبد الرحيم

سُئِلَ الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت: «إنَّ بعض الناس يرى أنه يجب على المسلم لكي تقع عباداته ومعاملاته على وجه صحيح أن يقلّد أحد المذاهب الأربعة المعروفة، وليس من بينها مذهب الشيعة الإمامية ولا الشيعة الزيدية.. فهل توافقون فضيلتكم على هذا الرأي على إطلاقه، فتمنعون تقليد مذهب الشيعة الإمامية الإثني عشرية مثلاً..»

فأجاب الشيخ بما نصه:

1. إنَّ الإسلام لا يوجب على أحد من أتباعه أتباع مذهب معين، بل نقول: إنَّ لكلِّ مسلم الحقَّ في أن يقلّد - بادئ ذي بدء - أيّ مذهب من المذاهب المنقولة نقلاً صحيحاً، والمدوّنة أحكامها في كتبها الخاصّة. ولمن قلّد مذهباً من هذه المذاهب أن ينتقل إلى غيره - أيّ مذهب كان -، ولا حرج عليه في شيء من ذلك.

2. إنَّ مذهب الجعفرية، المعروف بمذهب الشيعة الإمامية الإثني عشرية، مذهب يجوز التعبد به شرعاً.. كسائر مذاهب أهل السنة.

فينبغي للمسلمين أن يعرفوا ذلك، وأن يتخلصوا من العصبية بغير الحقِّ لمذاهب معيَّنة، فما كان دين الله وما كانت شريعته بتابعة لمذهب، أو مقصورة على مذهب، فالكُلُّ مجتهدون مقبولون عند الله تعالى، يجوز لمن ليس أهلاً للنظر والاجتهاد تقليدُهم والعملُ بما يقرّرونه في فقههم، ولا فرق في ذلك بين العبادات والمعاملات».

ثم ذُيلَ الشيخ شلتوت الفتوى - بعد توقيعه - بهذا التوجيه للشيخ القمي، ونصّه

«السيد صاحب الفضيلة العلامة الجليل الأستاذ محمد تقّي القمي السكرتير العام لجماعة التقريب بين المذاهب الإسلامية، سلام عليكم ورحمة الله. أما بعد، فيسرني أن أبعث إلى سماحتكم بصورة موقع عليها بامضائي من الفتوى التي أصدرتها في شأن جواز التعبد بمذهب الشيعة الإمامية، راجياً أن تحفظوها في سجلات دار التقريب بين المذاهب الإسلامية التي أسهمنا معكم في تأسيسها ووقفنا الله لتحقيق رسالتها. والسلام عليكم ورحمة الله». ثم توقيع الشيخ مرةً أخرى⁽⁷⁹⁾.

من الجانب الشيعي أعلن الفتوى الشيخ القمي في مدينة مشهد الإيرانية - لما لها من مكانة دينية وعلمية - في محفل علمي ضم كبار العلماء، وكان على رأسهم المرجع الديني الكبير آية الله السيد محمد هادي الميلاني⁽⁸⁰⁾. وكان من آثارها أن قرّر الأزهر دراسة المذهب الشيعي الإمامي الزيدي في «كلية الشريعة»، كما أنّ جامعة إيران

(79) انظر صورة طبق الأصل عن النسخة الأصلية للفتوى والتوجيه في: مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة، 309 /2.

وانظر حديث الشيخ شلتوت ذاته عنها في: نحو مجتمع إسلامي موحد. مسألة التقريب بين المذاهب الإسلامية: أسس ومنطلقات، دار التقريب بين المذاهب الإسلامية، ص 15، 16.

(80) انظر: قصة التقريب: أمة واحدة.. ثقافة واحدة، سيد هادي خسروشاهي، ص 26. وأيضاً: نحو مجتمع إسلامي موحد. مسألة التقريب بين المذاهب الإسلامية: أسس ومنطلقات، دار التقريب بين المذاهب الإسلامية، ص 98.

أدخلت دراسة فقه السنّة في «كليّة المعقول والمنقول» بها⁽⁸¹⁾.

ولم يسلم الشيخ شلتوت أيضاً، كما لم يسلم سلفه الشيخ عبد المجيد سليم، من معارضة بعض مشايخ الأزهر، حتّى إنّ بعضهم قال له: «إنّ الشيخ القميّ خدعك واستحصل منك الفتوى»، فأجابته: «لو كان الشيخ القميّ قد خدعني، فنعم ما فعل! فأنا مؤمن بإخلاصه، وأسأل الله سبحانه أن أحشر معه في يوم القيامة»⁽⁸²⁾.

وبعد وفاة الشيخ شلتوت حدثت محاولات من بعض هؤلاء المعارضين لإصدار فتوى تنقض فتواه، وأرادوا ذلك من الإمام الأكبر الشيخ محمد الفحام، لكنّه رفض، وأعلن تمسّكه بفتوى سلفه، قائلاً: «إنّ فتوى الشيخ محمود هي فتواي، وهو أستاذي»⁽⁸³⁾.

وبعيداً عن منطلق الخداع والاستدراج لاستصدار هذه الفتوى.. فإنّ ثمة تساؤلاً لا يزال عالماً منذ ذلك الحين: أكانت الفتوى صادرة عن فحص دقيق لمذهب الشيعة الإمامية في «العبادات والمعاملات» جميعاً أم أنها كانت بناءً على ما تداوله أهل التقريب (وبالخصوص الشيعة منهم) فيما بينهم من عموميّات؟!⁽⁸⁴⁾. وتأتي مشروعية السؤال من

(81) نحو مجتمع إسلاميّ موحد، السّابق، ص 98.

(82) والهمدة على القميّ ذاته في هذه الرواية. انظر: قصّة التقريب: أمة واحدة.. ثقافة واحدة، سيد هادي خسروشاهي، ص 26، 27.

وقارن بين هذه الرواية وما نقله د. ناصر القفاري سماعاً من الشيخ عبد الرزاق عفيفي بهذا الخصوص، في: مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة، 2 / 182.

(83) السّابق، ص 27.

(84) انظر في هذا: مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة، 2 / 186 : 191.

الأزهر والتشيع .. من لحظة التأسيس إلى زيارة نجادا!

تأمل كثير من مواقف الأزهر الشريف (مؤسسة، وعلماء أفراداً بلا صفة رسمية) الآتية على فحوى الفتوى بالبطلان.. إماماً نصاً، وإماماً التزاماً - بيئنا أحياناً -!

ويزيد هذه المشروعية تأكيداً ما يتساءل عنه معارضو الفتوى من قديم: لماذا لم تُصدر المرجعياتُ الشيعيةُ المؤثرةُ في مقلديها (سواءً العربيةُ منها أو الإيرانيةُ) فتوى مماثلةً، واضحةً صريحةً كهذه، تعترف بصحة التبعد على مذاهب أهل السنة الفقهية؟⁽⁸⁵⁾.

الأزهر والتشيع في العصر الراهن

قبل ثورة 25 يناير 2011م

منذ أوائل السبعينيات من القرن العشرين فتر أداء الأزهر الشريف في ملف التقريب (كما فتر في ملفات كثيرة أخرى!)، وتضاءل نشاط رموزه في فعاليات «دار التقريب» ومجلتها «رسالة الإسلام»، حتى انتهى الأمر إلى تجميد - غير رسمي في ما يبدو - لنشاط الدار، وإغلاق المجلة بصدور عددها الأخير رقم 60.

وطوال نحو أربعين سنةً (حتى يناير 2011م / 1432هـ) لم

(85) الحق أن الأمر بخلاف هذا نصاً! فثمة فتاوى لمراجع كبار، متصلين بقضية التقريب ومهمومون بها، تنص على عدم جواز التبعد إلا «بمذهب أهل البيت»! من هؤلاء: المرجع العربي السيد محمد حسين فضل الله (كتابه: مسائل عقديّة، ص 110)، والإيراني السيد محمد الخالصي (كتابه: التوحيد والوحدة، ص 33، 34). وعندما أصدر السيد علي الخامنئي ما «يقارب» فتوى شلتوت جاءت على هذا النحو: «تجاوز الصلاة جماعة خلفهم (السنة) إذا كانت للحفاظ على الوحدة الإسلامية»! انظر:

أحمد عبد الرحيم

يتحرك الأزهر في هذا الملف تحركاً ذا بال، إلا أن يكون زيارات رسميةً، أو «شبه رسمية» أحياناً، متبادلةً بين مصر وإيران، مثل مصر خلالها بعض رجالات الأزهر. ولعل أهم هذه الزيارات هي زيارة الإمام الأكبر الشيخ محمد الفحام، الذي كان أعلى من زار قم الإيرانية من قيادات الأزهر، في سابقة لم تتكرر على مستوى منصب «شيخ الأزهر» قبلها ولا بعدها⁽⁸⁶⁾.

وبعدها، سنة 1392 هـ / 1972، زار وفدٌ من علماء الحوزة العلمية الأزهر الشريف، منهم: آية الله الخسروشاهي، وآية الله محمد واعظ زادة، وحجة الإسلام محمد علي چرندابي وغيرهم، والتقى الوفد الإمام الأكبر محمد الفحام وقيادات الأزهر، ومنهم: الشيخ عبدالعزيز عيسى مساعد شيخ الأزهر، وأعضاء بارزين في دار التقريب بين المذاهب الإسلامية⁽⁸⁷⁾.

أما أكبر وفدٍ أزهريّ زار طهران، فقد كان في عهد الإمام الأكبر السابق الدكتور محمد سيد طنطاوي، ورأسه وكيل الأزهر الشيخ محمود عاشور نائباً عن الإمام الأكبر، وضمّ: مفتي الديار المصرية الأستاذ الدكتور نصر فريد واصل، والأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية، والأمين العام للمجلس الأعلى للأزهر، ورئيس قطاع المعاهد الأزهريّة، الأستاذ الدكتور رأفت عثمان عميد كلية الشريعة، والأستاذ الدكتور عبد المعطي بيومي عميد كلية أصول الدين، والأستاذ الدكتور عبد الله

86 - انظر تفاصيل حول هذه الزيارة «التاريخية» في:

قصة التقريب: أمة واحدة.. ثقافة واحدة، سيد هادي خسروشاهي، ص 330، 345.

87 - انظر المصدر السابق، ص 346، 347.

الأزهر والتشيع .. من لحظة التأسيس إلى زيارة نجّادا

النّجار عن كليّة الشريعة، والأستاذ الدكتور محمد رجب البيومي عن كليّة اللغة العربيّة، والأستاذ الدكتور محمد إبراهيم الفيومي عضو مجمع البحوث الإسلاميّة، والدكتور محمد عمارة عضو مجمع البحوث الإسلاميّة⁽⁸⁸⁾.

ومع هذه الزيارات القليلة والمتقطعة. لم تخلُ الساحة الأزهرية من بعض السّجال والتوتّر حول ملف الشيعة والسّنة.

الشيخ الشعراوي بين السّنة والشيعة

كان الشيخ الأزهرية، المفوّه والجماهيرية، محمد متولي الشعراوي (1911 - 1998) أحد «نجوم» الساحة الدينية في مصر والعالم العربيّ منذ أوائل سبعينيات القرن العشرين، وأدته هذه «النجوميّة» إلى كرسيّ الوزارة فترة قصيرة، حيث تولّى وزارة الأوقاف وشؤون الأزهر (نوفمبر 1976 - أكتوبر 1978). وحصل أنّه (في التاسع من صفر 1397م، 29 يناير 1977) خطب الجمعة في الجامع الأزهر بحضور الرئيس المصريّ الأسبق محمد أنور السادات، وقال فيها الشعراوي: «إن هذا الأزهر قدّر له أن يتحول إلى غير ما أسس من أجله! فلقد أسس من أجل تدريس المذهب الشيعيّ الفاطميّ، لكن الله استنقذه ليصبح معقلاً للمذهب السنّي النقيّ!»⁽⁸⁹⁾. وأثارت هذه

(88) انظر المصدر السابق، ص 370: 373.

(89) مجلة الاعتصام/ القاهرة، عدد مايو 1977م (نقلًا عن: الشيعة في مصر: من الإمام عليّ حتّى الإمام الخميني، ص 169، 170).

وأيضًا: قصّة التقريب: أمة واحدة.. ثقافة واحدة، سيد هادي خسروشاهي، ص 29.

الخطبة الصريحة غضباً لدى الدوائر الشيعية، ولدى أهل التقريب في مصر وغيرها. وجرت مراسلات ولقاءات لاحتواء الآثار السلبية لخطاب الشعراوي⁽⁹⁰⁾. ويبدو أنّ الأمر طوي، واستقطب الشيخ الشعراوي لينضمّ إلى دعاة التقريب⁽⁹¹⁾.

استدعى هذا «الاستقطاب» غضب المعارضين القدامى لمسيرة التقريب، بصورتها التي كانت بمصر منذ بداية «دار التقريب»، وقيل بهذه المناسبة: «إنّ الشيخ الشعراوي عالج تورطه سياسياً، بتورطه مذهبياً⁽⁹²⁾» وكتب له مفتي الديار المصرية الأسبق الشيخ محمد حسنين مخلوف رسالةً شديدة اللهجة، قال له فيها: «... كما أنه معلوم لفضيلتكم ما قام به هذه الداعية (تقيّ القميّ) من إنشاء «جماعة التقريب» وإنشاء مجلة لها بمصر، وانطواء الشيخ شلتوت لها مع نفر من المنحرفين عن أهل السنة والجماعة، وما حرص عليه من وجوب تدريس مذهب الشيعة الإمامية بالأزهر أسوة بالمذاهب الأربعة، وما تبع ذلك من أقوال وأعمال».

ثم قال: «أريد إكرام الضيف، لكن ليس على حساب أهل السنة والجماعة، ولا على حساب نشر مذهب التشيع الإمامي في بلادنا التي برأها الله من الضلال والابتداع في الدين. وإن مساعيه لإقامة مذهبه

(90) من هذه المراسلات رسالة عتاب طويلة كتبها الشيخ تقيّ القمي، أرسلها بعد ثلاثة أيام فقط من خطبة الشعراوي.. انظر نصها في: قصّة التقريب: أمة واحدة.. ثقافة واحدة، ص 250: 253.

(91) جريدة الأهرام/ مصر، 8 إبريل 1977م (نقلًا عن: مجلة الاعتصام/ القاهرة، عدد مايو 1977م).

(92) صدر غلاف مجلة الاعتصام (المشار إليه سابقًا) بمنابرين صارخة، منها: «هل استدرجت الشيعة الشيخ الشعراوي ببهرجها الفاقع وبريقها اللامع؟».

الأزهر والتشييع .. من لحظة التأسيس إلى زيارة نجّادا

بمصر في مشيخة الشيخ شلتوت للأزهر وترغيب بعض علماء الأزهر في الانضمام لجماعته ومجلته بما يرغب معروف للجميع. فنرجو أن تكون فضيلتكم - كما أنتم - داعياً إسلامياً قوياً تدعو إليه بما دعا إليه أهل السنة والجماعة، منكرًا ما ذهب إليه أهل البدع والأهواء. ومن الخير لكم، بل من الواجب عليكم، بعد كلّ هذا أن تبين للناس رأيكم في التشيع عامةً والتشييع الإمامي خاصةً، وأنكم لا زلتم نصير أهل السنة والجماعة قولاً وعملاً، والله يوفقك. وأخشي ما أخشاه أن يستغلّ الشيعة الإمامية موقفكم للدعوة إلى نحلّتهم، ويقولوا إنّ إماماً من أئمة المسلمين قد انضم إلى مذهبهم، وهو الداعية المعروف الشيخ الشعراوي»⁽⁹³⁾.

ولا يعنينا تتبع ما كان بين الشيخ الشعراوي ومنتقديه، وما آلت إليه الأمور نهاية المطاف، بل.. يعنينا هنا التنويه إلى حدّة لهجة انتقاد دعوة التقريب، والتنبيه إلى أنها تصبّ في مصلحة الشيعة، وتهدّد استقرار المجتمع السنّي.. كلّ هذا قبل نحو سنتين من الثّورة الإيرانيّة بقيادة آية الله الخميني!

التوتر المواقب ثورة الخميني 1400م / 1979

بعد سقوط شاه إيران الأخير محمد رضا بهلوي وقيام الجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة، سنة 1400م / 1979، دخل التوتر الطائفيّ مرحلة

(93) انظر نص الرسالة في: الشيعة في مصر: من الإمام عليّ حتّى الإمام الخميني، ص 198: 200. وأشارت إليها مجلة الاعتصام (العدد المشار إليه سابقاً) بأنها «نصيحة عالم جليل إلى تلميذ من تلامذته، وتوجيه من أبّ كريم إلى ابن من أبنائه»، كما لم تفتها الإشارة إلى أن الرسالة وقعت من الشيخ الشعراوي موقفاً غير مريح!

جديدة، فمن جهة: كان على رأس هذا التحول فقيهٌ شيعيٌّ قاد الشعب الإيراني من منطلق «ولاية الفقيه» نيابةً عن «الإمام الغائب» وباسمه. كان آية الله الخميني هو أوّل من أخرج هذه «الولاية» من كمون الفكرة إلى قوة الواقع، مقيمًا دولةً على أساس فكر مدرسة الشيعة الإمامية. ومن جهة أخرى: أثار هذا التحول مخاوف كثيرة لدى دوائر السياسة في الشرق والغرب من انتقال النموذج الإيراني إلى المنطقة، فاتخذت هياله كلّ السبل لتطويقه وتحجيمه.

وكان من تلك السبل إثارة عاصفة طائفية بوجه إيران، وطالت هذه العاصفة معظم الشيعة في البلدان المختلفة. واتخذت هذه العاصفة هناوین عدّة منها: التشكيك في نوايا الثورة الإسلامية تجاه أهل السنة، وإحياء قصص تأمر الفرس التاريخي على الإسلام والعروبة، وإثارة قضايا انحراف الشيعة عن القرآن والسنة، بل واتجهت هذه الموجة إلى الطعن حتّى في تواتر القرآن عند المسلمين، إذ أبرز القول بأنّ لدى الشيعة قرآنًا غير هذا المصحف، وأنهم يؤمنون بتحريف القرآن..⁽⁹⁴⁾.

وبالطبع.. كانت المؤسسات الدينية في عدد من الدول العربيّ (وعلى رأسها مصر والمملكة العربية السعودية) رأس الحربة في هذه الحملات، لاضدّ السياسة الإيرانية الجديدة وحسب، بل ضدّ المذهب الشيعي وأتباعه في البلاد العربيّة وفي إيران على حدّ سواء أيضًا.

(94) انظر: التقريب في القرن الماضي، د. محمد علي آذرشب، مقال بموقع المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية:

http://www.taqrrib.info/arabic/index.php?option=com_content&view=article&id=987;

139007-19-18-25-06-&catid=76. 138937-22-06-25-05-&Itemid=240.

الأزهر والتشيع .. من لحظة التأسيس إلى زيارة نجادا

وتصاعد هذا المدّ الانتقاديّ «المؤسّسي» للشّيعَة والتشيع، وإن أخذ معظم الوقت صورة نقد إيران وسياساتها، حتّى بلغ ذروةً من ذُراه في أحداث الحرم المكي (ذو الحجة 1408هـ/ يوليو 1987م)، حيث أصدر الأزهر بياناتٍ، ونشر كتاباً، مهاجماً الشّيعَة وإيران⁽⁹⁵⁾.

«عام انتصار الشّيعَة»!

من هذه الذّرى ما حصل السنة 1427هـ/ 2006. حيث ثار في المجتمع المصريّ والعربيّ جدال شديد حول الشّيعَة والتشيع، على خلفيّة حرب صيف 2006 التي شنّها الكيان الصهيونيّ على جنوب لبنان، وكانت «المقاومة الإسلاميّة» بقيادة «حزب الله» الشّيعيّ الموالي لإيران هي قائدة الانتصار الكبير الذي تحقّق بانكسار الهجمة الصهيونيّة الفاشمة.

ونشرت بعض الصحف، الحزبيّة والمستقلة، موادّ تنتصر للمذهب الشّيعيّ وتهاجم عدداً من كبار الصحابة⁽⁹⁶⁾، وبدا الأمر وكأنّ ثمة «لوبيّاً» شيعيّاً، أو مجموعةً من أصحاب النفوذ يفتحون الطريق أمام أفكار شيعيّة بمصر، فقد لوحظ مثلاً أنّ ثمة تطابقاً (نصياً أحياناً) بين النصّ الذي نشره عادل حمودة رئيس تحرير جريدة «الفجر» عن

(95) انظر: الشّيعَة في مصر: من الإمام عليّ حتّى الإمام الخميني، ص 139.

(96) نشرت صحيفة الغد (التابعة لحزب الغد) ملحقاً من ثماني صفحات بعنوان «من عائشة أم المؤمنين إلى عثمان الخليفة الراشد: أسوأ عشر شخصيّات في الإسلام»، ولم تكد ثلاثة أيام تمر حتّى نشرت صحيفة الفجر (المستقلة) ملحقاً آخر تناولت فيه على أم المؤمنين عائشة أيضاً، وتمادت الصحيفة فطلعت في الصحابي الشهرير خالد بن الوليد (الملقّب «سيف الله المسلول») ووصفته بأنه «مجرم حرب»، وانضمت جريدة الدستور (المستقلة) إلى ما بدا أنه «حملة منظمة، بالطنن في الصحابيّين عمر بن الخطاب والمغيرة بن شعبة.

أمّ المؤمنين عائشة والنصّ الذي نشرته جريدة «الغد»، الأمر الذي دفع للتساؤل: من الذي عمّم مثل ذلك النصّ بطريقة الإعلانات المدفوعة الثمن؟

واشتبك الأزهر مع هذه الوقائع. فقرر «مجمع البحوث الإسلامية»، الهيئة الأزهرية العلمية الأرفع وقتها، إعداد مذكرة للنائب العام يطالب فيها باتخاذ الإجراءات القانونية اللازمة تجاه ما نشرته هذه الصحف ممّا اعتبره إساءات مباشرة لمذهب أهل السنّة والجماعة. كما قرر الأزهر حينها منع تداول عدد من المطبوعات الشيعة (كتباً ومجلات) التي يتم تداولها بمصر، وقامت الجهات الأمنية وجهاز المطبوعات بالتعاون مع «مجمع البحوث الإسلامية» بعملية المصادرة والمنع. وأوضح تقرير الأزهر، في هذا الخصوص، أنه يجب عدم نشر أيّ من تلك المطبوعات أو تداولها حفاظاً على عقيدة أهل السنّة والجماعة.

وكانت «دار الإفتاء المصرية» قد أدانت في بيان مماثل لها تلك الإساءات، ودعت المسلمين في كلّ أنحاء العالم إلى مقاطعة ما أسمته بالكتابات المسمومة التي تحمل تحليلات يغلب عليها الإلحاد وإنكار الوحي، واصفةً انتقاد الصحابة بأنه فسق بيّن. وفي كلمته في ختام فعاليات الموسم الثقافي لـ«المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية»، التابع لوزارة الأوقاف، جدد شيخ الأزهر الدكتور محمد سيد طنطاوي (1928-2010م) هجومه العنيف على كلّ من يسبّ صحابة الرسول صلّى الله عليه وسلّم، مؤكّداً أنّ «من يقترف هذا الذنب العظيم كافرٌ

الأزهر والتشيع .. من لحظة التأسيس إلى زيارة نجادا

وخارج عن ملة الإسلام»، لافتاً إلى قيامه بتقديم بلاغ إلى النائب العام لوقف تناول أي صحيفة أو مجلة على الصحابة وتشديد العقوبة في ذلك.

ثم وقع عدد كبير من علماء الأزهر على بيان طالبوا فيه بملاحقة المجترئين على مقام الصحابة قانونياً وفكرياً، محذرين من أن هذه الحملة مراد منها «تشويه الصحابة الكرام، وإسقاط قيمتهم وموقعهم في حمل رسالة الإسلام»، واستغربوا تزامنها والحملة الأوسع التي تستهدف النبي الكريم صلى الله عليه وسلم وثوابت الإسلام في الغرب⁽⁹⁷⁾.

الإجهاز على مقولة التقريب!

شهدت سنة 1429هـ / 2008 بطولها أعنف حملة ضد الشيعة والتشيع و«التشيع». شارك فيها الأزهر: مؤسّسة، وأشخاصاً! كان مؤقد هذه الحملة هو الشيخ الأزهرى الذائع الصيت الدكتور يوسف القرضاوي⁽⁹⁸⁾، وبدائها العلنية ترجع إلى أوائل 1428هـ / 2007م بمؤتمر «تقريبى» عُقد في العاصمة القطرية الدوحة، وخلفيتها الأساسية اشتداد حدة الصراع الطائفي والقتل على الهوية الذي حصل في عراق

(97) انظر: الأزهر والشيعة.. الوجه الآخر: شقاق لا وفاق، شحاتة محمد صقر، دراسة بموقع

(98) للشيخ يوسف القرضاوي تمثلات وانتماءات كثيرة، لا يعنيها هنا، وفي حدود هذه الدراسة، سوى وجهه الأزهرى القديم بانتمائه إلى الأزهر منذ نموه أطفاره وحتى حصوله على شهادة «العالمية» / «الدكتوراه»، وصلته القديمة بأحد أبرز رجالات التقريب الأزهريين، وهو شيخ الأزهر محمود شلتوت. ثم - لاحقاً -: عضويته بمجمع البحوث الإسلامية، الهيئة العلمية الأعلى بالأزهر الشريف قبل إعادة تأسيس «هيئة كبار العلماء» (1434 هـ / 2012م) وحصوله على عضويتها أيضاً.

ما بعد صدام حسين، والذي وصل ذروة من ذراه المخيفة في سنتي 1426 - 1427هـ / 2005 - 2006.

وجّه الدكتور القرضاوي في افتتاح ذلك المؤتمر الحديث إلى آية الله محمد علي تسخيري (الأمين العام للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية) في إيران، ونائب القرضاوي في رئاسة «الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين» قائلاً: «لا يجوز أن يحاول مذهب نشر مذهبه في بلاد خالصة للمذهب الآخر». وتساءل: «ماذا ينفعكم أن تدخلوا بلدًا سنياً، مثل مصر أو السودان أو المغرب أو الجزائر وغيرها من بلاد خالصة للشافعية والمالكية، وأن تحاولوا أن تكسبوا أفراداً للمذهب الشيعي؟ هل ستكسبون 10 أو 20 أو 100 أو 200؟ لكن بعد ذلك تنجزون فتنة في البلد، وسيكرهكم الناس ويلعنونكم بعد ذلك!».

ثم تجدد الاشتباك في مقابلة للقرضاوي مع الصحيفة المصرية «المصري اليوم»⁽⁹⁹⁾، حيث أخذ على إيران والشيعية عدّة أمور، أهمّها العمل طوال السنوات الماضية على نشر التشيع منفقين الملايين والمليارات في أوساط أهل السنة والجماعة، واعتبر ذلك خطأ أحمر لا يجوز السكوت عليه. وقد أثارت مواقف القرضاوي المتتابعة حول هذا الملف، طوال سنتي 1428 - 1429هـ / 2007 - 2008، عواصف هوجاء، شارك فيها شيعة وسنة، وتبودلت فيها الحملات والبيانات والمقالات من الفريقين المؤيد والمعارض.. ولم يكن الأزهر الرسمي بعيداً عن هذا السجال العاصف، حيث نشر الدكتور محمد عبد الفضيل القوصي،

(99) الأعداد: 8 و9 سبتمبر 2008م، 12 أكتوبر 2008م.

الأزهر والتشيع .. من لحظة التأسيس إلى زيارة نجادا

نائب رئيس جامعة الأزهر وقتها الدكتور أحمد الطيّب (شيخ الأزهر في ما بعد) وساعده الأيمن، مقالاً شديد اللهجة عنوانه «الأزهر والتشيع: مراجعات ومكاشفات»⁽¹⁰⁰⁾، قال فيه: «إلى عهد جد قريب كان الأزهر الشريف، وهو الحصن العلميّ العتيد لأهل السنة، على صلوات وُتقى بمراكز التشيع الإماميّ الإثنيّ عشريّ، سواء في النجف الأشرف أو قم. وكان الأزهر ومراكز التشيع المذكورة على وعي تام بما بين أبنيتها الفكرية والمذهبية والفقهية من اختلاف، وكانا على الدرجة نفسها من اليقظة والوعي بأن هذا الاختلاف ينبغي ألا يبرح مكانه في قاعات الدرس، وأروقة البحث، وأن يظلّ محوطاً بدرجة عالية من الاحترام المتبادل والنقاش الرصين (...). بيد أن أمواج الفتنة المدمرة ما لبثت أن تدافعت على غير هدى.. فإذا بالاختلاف العلميّ يتحوّل إلى صراع جهير، وإذا بالنقاش الرصين يتحول إلى عراقٍ علنيّ، تتشابك فيه الطموحات السياسيّة والمشروعات الإقليميّة، وتحيط به موجات من النّشرات والكتابات التي لا تتورع عن النيل من أجلة صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم والسخرية منهم (...). إلى جانب القيام بمحاولات شتى من التسلل والاختراق التي تستهوي السذج والبسطاء».

وفي غضون هذه الحملات أعلنت السلطات المصريّة سنة 1431م/ 2009م القبض على «مبشرين» بالتشيع في أوساط الطلاب وغيرهم، ممّا أدى إلى إعلان الأزهر وقف أيّ تعامل بينه وبين «حزب الله» و«إيران»، ورفض استقبال أيّ أحد من قبّلهم بمشيخة الأزهر⁽¹⁰¹⁾.

(100) جريدة الأهرام: 1 أكتوبر 2008.

(101) انظر: موقف الأزهر الشريف من الشيعة الإثنيّ عشريّة، طه علي السواح، دار اليُسّر/ القاهرة، ط1/

أحمد عبد الرحيم

وفي هذا الموقف إشارة إلى «نفس سياسي وراء الصمت والكلام في المؤسسة الدينية الرسمية»، وهو ما كان قد دفع وزارة الأوقاف إلى أن تعلن عن تنظيم دورات مع الأجهزة الأمنية لمواجهة التشيع، ممّا قد يوحي بأنّ المعركة ليست مع «التبشير الشيعي»، بقدر ما هي مع المشروع السياسي الإيراني الصاعد في المنطقة، الذي يوظف «التشيع» لخدمة مصالحه الإستراتيجية، والذي ينافس المشروع الأمريكي والصهيوني على اقتسام الكعكة الشرق الأوسطية⁽¹⁰²⁾.

الإمام الأكبر الحالي بين «احترام» التشيع وتجريم التشيع»!

عندما تولى الدكتور أحمد الطيب منصب المشيخة، في ظلّ هذه الظروف، أكد في أوّل ظهور تلفزيوني له على أنّ «التقارب بين السنة والشيعية هو تقارب على المستوى الفكري وفي الحدود العلمية فقط»، وأنّ «الأزهر سيتصدى لأيّ محاولة لنشر المذهب الشيعي»، و«أنه سيكون يقظاً ومنتبهاً وسيعمل على إبطال أيّ أجندة سياسية لأيّ طالب شيعي يدرس في مصر، فهو لا يريد أن يتحول الأمر لـ«مصيدة» للشباب السنّي للتحول للمذهب الشيعي وتتحول بعدها إلى بؤرة، ثمّ مركز شيعي يعقبه قتال»⁽¹⁰³⁾.

2010م، ص 272، 273.

(102) انظر: حديث التشيع.. خطوة نحو المصارحة، مصطفى عاشور، مقال بموقع إسلام أون لاين: 9 أكتوبر 2008.

(103) انظر حديث الدكتور أحمد الطيب إلى قناة العربية، بتاريخ 4 إبريل 2010م:

<http://www.youtube.com/watch?v=40YyG2da8io>.

الأزهر والتشيع .. من لحظة التأسيس إلى زيارة نجادا

ورغم هذا التصعيد وحدة المواجهات الكلامية.. لم يخلُ الأمر من تأكيدات «تقليدية» من قِبَل شيخ الأزهر وقياداته على أن الفروق بين المذهبين «ليست جوهرية (...)، ويمكن أن نصلِّي خلف أئمتهم ويصلون خلف أئمتنا، والخلاف محصور في ترتيبهم لأمر الخلافة (...)، ويعتقدون في تسلسل الأئمة وصولاً إلى المهدي المنتظر»⁽¹⁰⁴⁾.

كما أنه قال في تصريح آخر: «أنا رجل أزهرِّي حتَّى النخاع، والأزهر هو الذي بدأ مهمة التقريب بين السنَّة والشيعه، وله في ذلك تاريخ قوي، واستطاع فعلاً أن يقضي على الحساسيات والتوترات التي نشأت الآن أو تنشأ الآن ونعاني منها الآن (هكذا). فنحن إن شاء الله سنواصل الطريق نفسه في التقارب - أو التقريب - الفكري بين المذهب السنِّي والمذهب الشيعي». بل إنه زاد بوضوح وحسم: «إنَّ الخلاف بيننا وبين الشيعة كالحلاف بيني أنا السنِّي كمالكي وبين الحنفي السنِّي والشافعي السنِّي. وهذا هو الذي نسير عليه ونحافظ عليه ونحميه من عبث السياسات»⁽¹⁰⁵⁾. ويبدو أن مؤسسه الأزهر لم تكن قد وصلت بعد إلى «حسم» في هذا الملف.. حسم علمي منضبط بضوابط المعرفة المستوعبة، ومتحرر من ضغط السياسة خشناً كان الضغط أو ناعماً وهو - أي الحسم - ما بدا أنها قد وصلت إليه أخيراً.. أعقاب ثورة 25

(104) حديث في العمق مع شيخ الأزهر، أجراه مكرم محمد أحمد، جريدة الأهرام: 10 يوليو 2010:

<http://www.ahram.org.eg/22310/07/2010/>

وانظر أيضاً: موقع العربية نت: شيخ الأزهر: تكفير فضائيات للشيعة مرفوض ونحن نصلي وراءهم 16 أكتوبر 2010م:

(105) انظر: الأزهر والشيعة.. عندما يتبين الخيط الأبيض من الأسود، أسامة الهتمي، مقال بموقع الراصد:

http://alrased.org/main/articles.aspx?selected_article_no=5944.

يناير المصريّة الأخيرة. لكن هل كان - الحسم - منضبطاً، متحرراً؟

بعد ثورة 25 يناير 2011م

بانتهاء الثورة المصريّة في موجتها الأولى (25 يناير - 11 فبراير 2011م)، التي تكللت بإزاحة الرئيس المخلوع محمد حسني مبارك ومعظم رؤوس نظامه الكبار، بدا للمراقبين أنّ المؤسّسة الأزهرية تتأهب لاستعادة زمام المبادرة على أكثر من صعيد⁽¹⁰⁶⁾. ومنها ملف «الربيع العربي» (كما استقرت تسميته من قبل معظم المعلقين) برُمته.

فقد تابعت التصريحات والبيانات من الإمام الأكبر ومن عدد من أبرز رجال المؤسّسة (لاسيما رئيس المكتب الفنيّ لشيخ الأزهر الدكتور حسن الشافعي)، تأييداً لحقّ الشعب الليبيّ، ثمّ الشعب اليمنيّ، ثمّ الشعب السوريّ في طلب حريّته وكرامته، وتغيير سلطاته الظالمة الباغية.. وذلك بعد تأييد الشعب التونسيّ، ثمّ الشعب المصريّ في المطالب ذاتها (بأثر لاحقٍ طبعاً في حالتيّ تونس ومصر!).

وفي أثناء ذلك كانت الاحتجاجات في مملكة البحرين (14 فبراير 2011)، ولم تلقَ صدًى مناسباً من قبلّ المؤسّسة الأزهرية. ونُظر إلى خفوت أثر الأحداث «البحرينيّة» على أنه تحفظ على سمّت احتجاجات البحرين الشيعيّة، وما يستتبعه من حساسيّات طائفية لها صلة وثيقة بموقف الجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة و«حزب الله»

(106) انظر: فوق المتوقّع.. دون المستحق! المؤسّسة الأزهرية منذ ثورة 25 يناير: دراسة تحليلية نقدية، أحمد عبد الرحيم، قيد النشر كاملة، ونُشر جزءٌ منها في معهد العربيّة للدراسات: موقع العربيّة نت: 15 أكتوبر 2012م:

<http://www.alarabiya.net/articles/2012243828/15/10/.html>

واكتفى شيخ الأزهر بإصدار بيان (8 أكتوبر 2011) وجه فيه كلمة إلى دول الخليج قائلاً: «في ضوء أحداث الخليج المقلقة التي تذر بشرٌ حَذَرٌ منه النبي صَلَّى اللهُ عليه وسلم، وهو إثارة النعرات الطائفية، ورفع رايات العصبية، مذهبية كانت أو عنصرية، والتي لا يقتصر خطرها على تهديد مجتمعاتنا العربية وتمزيق نسيجها الاجتماعي، وحياتها الآمنة وشائجها الوثيقة منذ مئات السنين، بل يُهدد كذلك بتدخل قوى مترصدة خارجية وإقليمية (في إشارة إلى إيران)، تتخذ الصراع المذهبي والخلل الاجتماعي، سبيلاً للتدخل والهيمنة، والاستبداد بمصير المنطقة (إشارة إلى الوضع بالسعودية والبحرين). (...) في ضوء هذا كله نحذر الجميع من تطورات ليست في صالح أحد، ويومها يندم الكل على ما فعلوه بأنفسهم. كما نُوصي باسم الأزهر الشريف، الذي يؤمله أشد الأمل ما يحدث الآن.. نُوصي بحلّ الخلافات والمشاكل عن طريق الحوار والمصارحة الرشيدة، ومن حكمة القيادة أن تتخذ من الحلول ما يحول دون الأخطار التي تهدد أوطاننا العربية. فاحرصوا أيها الإخوة على وحدتكم الاجتماعية حمايةً للحاضر والمستقبل. اللهم إنا نسألك رحمة تهدي بها قلوبنا، وتجمع بها شملنا، وتردّ بها الفتن، يا رب العالمين»⁽¹⁰⁷⁾.

(107) انظر: فوق المتوقّع.. دون المستحق! المؤسسة الأزهرية منذ ثورة 25 يناير، أحمد عبد الرحيم، مرجع سابق.

السلفيون يتقدمون المشهد في مشيخة الأزهر!

كان هذا الموقف المشوب بالسلبية من أحداث « شعبة البحرين » من مؤشرات بدأت تتضح في خطاب المؤسسة الأزهرية إزاء ملف الشيعة، وبسبب واضح جداً من انفتاح المؤسسة على أطراف من الفكر السلفي المصري: أشخاصاً، وتيارات، وأحزاباً ناشئة. ففي 20 مايو 2012 دعت مشيخة الأزهر إلى اجتماع حضره عدد من أعلام التيار السلفي، ومعهم الداعية محمد حسان الذي وكلت إليه المشيخة، دون غيره من علماء الأزهر وقيادات المؤسسة الأزهرية، تلاوة بيان شديد اللهجة ضد محاولات نشر التشيع و«اختراق» المجتمع المصري المحافظ على «عقيدة أهل السنة والجماعة من التحريف والانتحال».

في هذه الأثناء كان الأزهر يُعدُّ لما هو أكثر، في سياق الحملة على «التشيع».. وتمخض هذا السعي في قيام أكبر هيأتين علميتين بالأزهر، مجمع البحوث الإسلامية وهيأة كبار العلماء، ضامتين إليهما عددًا من العلماء السلفيين، بعقد سلسلة من المحاضرات اليومية طوال عشرة أيام لعدد كبير من الأئمة والوعاظ وأساتذة الأزهر الشريف وعلمائه ومشايخه للتحذير من المدّ الشيعي وخطره على مصر⁽¹⁰⁸⁾.

جاءت هذه المحاضرات في إطار الخطة التي وضعها الأزهر لمواجهة المدّ الشيعي في مصر، وذلك إثر دعوة الدكتور أحمد الطيب إلى اجتماع مغلق مع عدد كبير من الشخصيات والعلماء من مختلف

(108) انظر: الأزهر يعلن الجهاد على المدّ الشيعي في مصر، رامي رشدي، جريدة روز اليوسف 13 أكتوبر 2012م؛ <http://rosa-magazine.com/News/2956>.

الأزهر والتشيع .. من لحظة التأسيس إلى زيارة نجادا

التيّارات الإسلاميّة⁽¹⁰⁹⁾.. استمر الاجتماع 6 ساعات متواصلة، وانتهى إلى وضع خطة كبيرة (على مستوى الفكر والدعوة ومناهج التعليم والإعلام) من خلالها يتمكن أهل السنة والجماعة في مصر بمختلف انتماءاتهم الفكرية من مواجهة تغلغل الفكر الشيعي في مصر. وأعلن بيان هذا الاجتماع أنّ الأزهر الشريف ومن ورائه كلّ المسلمين من أهل السنة والجماعة ليسوا في حالة عداء مع هذه الدول أو تلك من الدول الإسلاميّة، وأعلن أيضا رفضه التام والقاطع لكل المحاولات التي تهدف إلى بناء دور عبادة لا تسمى باسم المسجد أو الجامع (إشارة إلى «الحسينيات» الشيعية، التي ظهر بعضها في نواح من مصر) لتزرع الطائفية وثقافة كره أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، والإساءة إليهم بتلك الثقافة التي لا تعرفها جماهير المسلمين في بلاد أهل السنّة والجماعة⁽¹¹⁰⁾.

هدايا مجلة الأزهر المتفجرة!

وكان من تجليات هذه الخطة إقدام رئيس تحرير مجلة الأزهر (مجلة المؤسسة الأزهرية الرسمية) الدكتور محمد عمارة على إعادة نشر ثلاثة كتب، هدايا مع ثلاثة أعداد، تصبّ صراحةً في خانة المواجهة الحادّة مع التشيع وأنصاره.

(109) منهم: الداعية محمد حسان، والدكتور جمال المراكبي الأمين العام لجمعية أنصار السنة المحمدية، والدكتور محمد المختار المهدي رئيس الجمعية الشرعية لتعاون العاملين بالكتاب والسنة المحمدية، والدكتور علي السالوس الأمين العام للهيئة الشرعية للحقوق والإصلاح، ومحمود الشريف نقيب الأشراف، والدكتور عبد الهادي القسبي شيخ مشايخ الطرق الصوفية.

(110) انظر المصدر السابق.

أحمد عبد الرحيم

الكتاب الأول: «صورتان متضادتان عند السنة والشيعية الإمامية» للداعية الهندي الكبير أبي الحسن الندوي⁽¹¹¹⁾. صدر هديةً مع عدد مجلة الأزهر: رمضان 1433 هـ / يوليو 2012.

والثاني: «الخطوط العريضة لدين الشيعة» للكاتب السوري/ المصري محب الدين الخطيب¹¹². صدر هديةً مع عدد: ذوالحجة 1433 هـ / أكتوبر 2012.

والثالث: «الأزهر والشيعة: تاريخ وفتاوى وآراء»، وهو جمع لعدد من آراء وفتاوى أعلام أزهريين (من الشيخ عبد المجيد سليم، حتى الدكتور محمد سيد طنطاوي). صدر هديةً مع عدد: المحرم 1434 هـ / نوفمبر 2012.

وصُدرت الكتب الثلاثة بتقديم ودراسة للدكتور محمد عمارة رئيس تحرير المجلة، أكد فيها جميعاً «سرايبية» النجاح في التقريب بين السنة والشيعة، وأنّ الغرض من الحوارات التي تتم منذ سنوات بين بعض قيادات الطرفين لا تهدف إلاّ لمساعدة الشيعة في القضاء على عزلتهم.. فكيف يمكن تحقيق الوحدة والشيعة قد أخرجوا جميع أهل السنة - منذ عصر الخلافة الراشدة وإلى يوم الدين - من أمة الإسلام ودين الإسلام! فهل هناك - مع هذه العقيدة الشيعية المعلنة -

(111) عنوانه الأصلي الكامل: «صورتان متضادتان عند السنة والشيعة الإمامية لنتائج جهود النبي صلى الله عليه وسلم الدعوية والتربوية وسيرة أصحابه رضي الله عنهم»، وكتبه الندوي بالأردنية، وترجمه إلى العربية سعيد الأعظمي الندوي، وصدرت طبعته العربية الأولى 1984، وطبع مراراً بعد ذلك.

(112) صدرت طبعته الأولى 1952، وطبع مراراً بعد ذلك.

الأزهر والتشيع .. من لحظة التأسيس إلى زيارة نجادا

أيّ مصداقيّة لدعوة الوحدة أو التقريب؟⁽¹¹³⁾.

وينتهي عمارة إلى هذه النتيجة القاسية: «إنّ الموقف الشيعيّ من الصحابة (وهم الجيل القرآنيّ الفريد، الذي أقام الدين، وأسّس الدولة، وفتح الفتوح وصنع الحضارة) إنما يستهدف - في الحقيقة - إلغاء تاريخ الأمة وتاريخ الإسلام. وإذا كان ذلك مستحيلًا ومستعصيًا على التحقيق، فإنّ النتيجة - بالاحتم - إخراج الشيعة من هذا التاريخ ومن هذه الحضارة التي ازدهرت عبر هذا التاريخ»⁽¹¹⁴⁾.

وقد حرص محمد عمارة على أن يوقع في بعض مقدماته هذه بذكر أنه «عضو هيئة كبار العلماء»، وهو أمر ذو دلالة كبيرة على تأكيد أنّ هذا التوجه ليس شخصيًا منه، بل إنه يعبر عن حال المؤسسة الأزهرية في الوقت الراهن. وبناءً على هذا.. فليس يعنينا كثيرًا الآن تحليل موقف الدكتور عمارة شخصيًا إزاء تحوله الفكريّ منذ بضعة أعوام، وانتقاله إلى معسكر «صقور السنّة» في مواجهة الشيعة والتشيع.

إحراج رأس «الدولة الشيعية» في قلب الأزهر!

في ذروة أخيرة، حتّى كتابة هذه الدراسة، كان مشهد إحراج الرئيس الإيرانيّ محمود أحمددي نجاد أثناء زيارته مشيخة الأزهر 5 فبراير 2013⁽¹¹⁵⁾. استقبل الإمام الأكبر الدكتور أحمد الطيب

(113) انظر: تقديم الخطوط العريضة، ص 16: 18.

(114) تقديم «صورتان متضادتان»، ص 14.

(115) هذه أول زيارة لرئيس إيرانيّ إلى القاهرة منذ ثورة الخميني 1979م. وقد جاء للمشاركة في مؤتمر قمة «منظمة التعاون الإسلامي».

أحمد عبد الرحيم

الرئيس نجاد والوفد المرافق له، وعُقد اجتماع موسّع حضرته قياداتٌ أزهريّة وأعضاء بهيئة كبار العلماء، وكان الطيب صريحاً ومباشراً في حديثه أمام الرئيس الإيراني، حيث تحدث عن أخطر الملفات الفكرية والسياسية بين السنة والشيعة وأعقدها⁽¹¹⁶⁾.

1. ذكر أن جُلّ مؤتمرات «التقريب» كانت تصبّ في مصلحة الشيعة الإمامية، على حساب أهل السنة وعقائدهم ورموزهم، مؤكداً أن «الأمر الجلل الذي يجب التركيز عليه هو الاختراق الشيعي لمذاهب أهل السنة والجماعة، فمصر مثلاً كانت ومازالت معقلاً لأهل السنة والجماعة، ونحن نرفض رفضاً قاطعاً هذا الاختراق من الشيعة، ولا نحب لشباب مصر وأهلها أن يتشيّعوا».

2. قال: «اسمحوا لي أن أقول إننا نأسف ممّا نسمعه دائماً من سبّ للصحابة وأمّهات المؤمنين - رضوان الله عليهم- وهذا أمرٌ مرفوض جملة وتفصيلاً، وعلى الرغم من أن الأزهر يرى ويسمع دائماً سبّ الصحابة والسيدة عائشة - رضي الله عنها - والإمام البخاري، إلا أننا نضبط أنفسنا، ولا نريد أن يُجرّ الأزهر إلى معركة كلنا في غنى عنها». وطالب الرئيس الإيراني باستصدار فتاوى من المراجع الدينية تُجرّم وتحرم سبّ السيدة عائشة - رضي الله عنها - وأبي بكر وعمر وعثمان والبخاري، حتى يمكن لمسيرة التفاهم أن تتطلق.

3. تحدث عن أحوال أهل السنة والجماعة في إيران، قائلاً: «كثيرٌ

(116) انظر تنظية هذه الزيارة في موقع «علامات أونلاين» 5 فبراير 2013م:

<http://www.alamatonline.net/l3.php?id=51177>.

الأزهر والتشيع .. من لحظة التأسيس إلى زيارة نجّادا

من أهل السنة في إيران شكوا إلينا أوضاعهم وحقوقهم كمواطنين إيرانيين لهم حقوق وعليهم واجبات، فالمواطنة لا ينبغي أن تُجزأ، وهذا أمر متفق عليه في النظم الحديثة والشريعة الإسلامية». مطالباً بضرورة العمل على إعطاء أهل السنة والجماعة في إيران، وخاصة في إقليم الأحواز، حقوقهم الكاملة كمواطنين، كما تنصّ على ذلك الشريعة الإسلامية وجميع القوانين والأعراف الدوليّة.

4. وتحدث عن المشكلة السورية وضرورة العمل الفوريّ على دعم جهود وقف النزيف الدمويّ في سوريا الشقيقة والخروج بها إلى برّ الأمان.

5. كما تعرض الطيب لمسألة أخيرة وهي التدخل في شؤون البحرين والدول العربيّة، قائلاً: «وأنا أتكلم بصفتي إمام أهل السنة والجماعة، فشعبنا العزيز في البحرين ينبغي أن يكون ولاؤهم لوطنهم، ولا ينبغي لأيّ كان أن يتدخّل في شؤونهم الداخليّة».

ولم تكتفِ المؤسسة الأزهرية بهذه المصارحة القويّة باللهجة في غرفة الاجتماعات المغلقة، بل تعدتها إلى الساحة العلنيّة وأمام جميع وسائل الإعلام المحتشدة لتغطية هذا الحدث المهمّ!

حيث عُقد - فور انتهاء هذا الاجتماع المغلق - مؤتمر صحافيّ، لم يقف فيه الإمام الأكبر إلى جوار ضيفه (كما قد تقتضي المراسم)، بل وقف إلى جوار الرئيس الإيرانيّ رئيس المكتب الفنيّ لشيخ الأزهر الدكتور حسن الشافعي، الذي نقل إلى الحاضرين من أهل الإعلام

أحمد عبد الرحيم

جميع التفاصيل التي تحدّث بها الإمام الأكبر أمام الرئيس الإيراني في الاجتماع المغلق، الأمر الذي تضجّر منه نجاد، وبدا ذلك على محياها، هل إنه قاطع البيان قائلاً بالعربيّة: «ما اتفقنا على ذلك اتفقنا على الوحدة على الأخوة»، ولم ينصت إليه الدكتور الشافعي، فتمتم نجاد بالفارسيّة: «من رفتهم» (أي «أنا مغادر») (117).

هذا هو المشهد الأخير، حتّى اللحظة، في العلاقة بين الأزهر والتشيّع. فهل يمكن توقُّع أن يرجع المغادر، وأن يهدأ الغضبان؟!

(117) انظر رابط هذا المؤتمر الصحفي:

http://www.youtube.com/watch?v=2_w-Vs1_cdw&feature=endscreen&NR=1.

التقريب بين المذاهب في مصر الواقع والمأمول

خالد محمد عبده (*)

عِبَارَاتُنَا شَتَّى وَحُسْنُكَ وَاحِدٌ وَكُلُّ إِلَى ذَاكَ الْجَمَالِ يُشِيرُ

كان في العصور الماضية ملك في مدينة، فأمر ذلك الملك أحد مرافقيه أن يذهب ويجمع كل الرجال الذين وكّدوا مكفوفين في المدينة (سافاتي) savathi فامتثل ذلك الرجل لأمر الملك، وجمع كل المكفوفين في أحد الأماكن.. فأمر الملك بأن يلمس هؤلاء الرجال فيلاً، وبعد القيام بهذا العمل جاء المرافق إلى الملك، وقال: أيها الملك العظيم، لقد لمس الرجال المكفوفون الفيل، واني أنتظر الأوامر، فجاء الملك إلى المكفوفين وسألهم: قولوا ماذا يشبه الفيل؟ وبم يمكن تمثيله؟ فحدث نزاع واختلاف بين المكفوفين، وكان كل واحد منهم يُشبه الفيل بشكل ما، والملك يضحك من نزاعهم⁽¹⁾.

(*) باحث مصري بمركز دال للبحوث والإنتاج الإعلامي.

(1) تُنسب قصة العميان والفيل الهندية الأصل في كتاب «أودانا» Udana - وهو من الكتب التعليمية في البوذية التي يُطلق عليها اسم Theravada - إلى الحكيم بوذا، انظر: فريد قطاط «الرمزية والتمثيل في قصة العميان والفيل، وقائع الندوة التي أقيمت بمناسبة المائوية الثامنة لوفاة مولانا جلال الدين الرومي، نشرة المجمع التونسي للآداب والفنون، قرطاج 2009، 183 وما بعدها.

اهتم بهذه القصة كثيرٌ من حكماء وعرفاء الإسلام كصورة داعمة للتعددية والغيرية، والاختلاف والائتلاف، والافتراق والاتفاق في فضاء إنسانيّ منفتح على الأنساق الثقافية والحضارية، بشكل يؤول إلى تحقيق التعايش السلمي بين جميع أفراد الجنس البشري⁽²⁾.

التعددية إذن أساس وسنة إلهية، والناس سواسية كأسنان المشط. كما نُسب إلى النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال ذلك، ولم يحدد، أو يخصّ، فريقاً من الناس أو قومًا أو ديانة، هكذا باللفظ العام (الناس) كذلك نُسب إليه أنه قال: إن ربكم واحد، وأباكم واحد، ونبيكم واحد، لا فضل لعربيّ على أعجميّ، ولا لعجميّ على عربيّ، ولا لأحمر على أسود، ولا لأسود على أحمر، إلا بالتقوى! ونُسب إلى الإمام عليّ بن أبي طالب كرم الله وجهه أنه قال:

(2) راجع: أبو حيان التوحيدي، «المقاسبات» نشرة مصر بعناية حسن السنديوي ص 259-260 وقد عنون السنديوي القصة بقوله: (في أن الحق لم يصبه الناس في كلّ وجوهه، ولا أخطؤه في كلّ وجوهه). وقد نقل التوحيدي تعليق أبي سليمان على القصة موجزاً مفصلاً عن دروس القصة على النحو التالي: «هذا مثلٌ يشتمل على نكت حسنة مفهومة لا خفاء بها عند من سمعها بتحصيل، ويؤيدها ببيان. قال: ولهذا لا تجد عاقلاً في مذهبٍ يقول شيئاً إلا وهناك ما قد اقتضاه ذلك بحسب نظره السابق إلى قلبه، والملائم لطبعه، والموافق لهواه، ولكن البارع المتسع المحصل له المزيد في السبق.

كذلك أورد القصة الإمام أبو حامد الغزاليّ في إحياء علوم الدين الجزء الرابع في كتاب التوبة تحت عنوان «بيان وجوب التوبة وفضلها» نشرة دار الكتب العربية الكبرى ص 6، وعلق بعد ذكر القصة قائلاً: فكلّ واحد من هؤلاء صدق من وجه إذ أخبر كلّ واحد عمّا أصابه من معرفة الفيل، ولم يخرج واحداً في خبره عن وصف الفيل ولكتهم بحملتهم قصروا عن الإحاطة بكنه صورة الفيل، فاستبصر بهذا المثال واعتبر به، فإنه مثالٌ أكثر ما اختلف الناس فيه وإن كان هذا كلاماً يناطح علوم المكاشفة ويحرك أمواجها».

كذلك أورد القصة الحكيم سنائي في حديقة الحقيقة وشريعة الطريقة، الترجمة العربية للعلامة المصريّ إبراهيم الدسوقي شتا، نشرة دار الأمين، القاهرة 1995م ص 33-34 عنوانها بقوله: التمثيل في شأن «من كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى» وختمها بأبياته الشعرية الثرية قائلاً:

فليس لقلبٍ اطلاعٌ على الكلّ.. ولا يكون العلم رقيقاً لأعمى قط.. كان للجميع خيالٌ محال، وقد صنعوا جميعاً ما صنع الأبله بالجوال. فليس للخلق اطلاعٌ على الإله، وليس للمقلد طريقٌ إلى هذا الكلام!

النَّاسُ من وجهة التَّمثال أكفاءُ أبوهم آدم والأُمَّ حواءُ»

يستخدم الخطاب التقريبي كثيراً من الأقوال النبوية والحكم والمأثورات، والآيات كثيرة من القرآن الكريم للتبنيه على حرص الإسلام على الوحدة بين الفرقاء من خلال خطاب القرآن العام كقوله (يا أيها الذين آمنوا-أيها المؤمنون - أيها الملاء).

كذلك تتم الإشارة إلى الربِّ الواحد والرسول الواحد والأركان الواحدة وتستدعي مواقف من حياة النَّبيِّ الأكرم في تعامله مع المختلفين دينياً للتعبير عن التعايش في السابق والدفاع عن الحرِّيات والحقوق الدينيَّة والمعاشية، وتختتم الورقات بآيات من القرآن من مثل ﴿تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾، (آل عمران: 64) و﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾، (الحجرات: 13). لكن الواقع العملي بعيد عن القول النظري أو المقاربة الفكرية، فإذا تحدث القرآن عن شعوب وقبائل خلِّقوا ليتعارفوا، لا ليتنافروا ويتقاتلوا، وجدنا الأمة المؤمنة التي تتفق في العبادة والشهادة، تعمل على ترسيخ «قواعد الفرقة» وتوريثها لأبنائها جيلاً بعد جيل. فالاقتضائية أساس، والإقصاء عقيدة، واحتكار الحقيقة والصواب أمرٌ بدهيٌّ عند كلِّ فرقة، فالسلفيون صنميون، والمتطرفون هالكون، والسنة مجسمون، والرافضة من أصحاب الجحيم، والإباضية متشددون، والصوفيَّة قبوريون، والقرآنيون خارجون عن الملة.

تبرئ كلِّ طائفة نفسها عن «دنس» الطائفة الأخرى و«شركها»!

التقريب بين المذاهب في مصر الواقع والمأمول

وتمنح العصمة لذاتها، وتثق في إيمانها، فكلّ دائرة الشريعة والظاهر من أجلها، ونقطة المركز والباطن وحدها من أدركت كُنْها كلّ هذا «مما لا شكّ فيه»، ولا يسع المؤمن المنتمي إليها النظر في مدى مصداقيته أو وهمه. تُبنى المجامع وتُموّل، تصدر المطبوعات والمطويات، تُعقد المؤتمرات، وتُكتب الرسائل وتلقى المحاضرات، لكن هذا لا يُحدِث طفرة، ولا ينتشل «الأمة» من براثن التعصب، ولا يمحو آثار الدماء، التي أهرقت جرّاء هذا الصراع المستمر، ولا يحيي الإنسان من غيابه الدائم.

نحو قراءات نقدية لمسيرة التقريب

من هنا نحن في حاجة ماسة إلى أهميّة القراءة النقدية لمشروع التقريب بين المذاهب في الدين الواحد⁽³⁾ لنرى إلى أيّ مدى يتّسق النصّ مع الواقع؟ وهل حقق المشروع نجاحه المنتظر، سواء على مستوى الجماهير أو النخبة؟ خاصة أنّ من كان يرى جدوى التقريب قديماً تراجع عن ذلك، وأصبح ناشراً لخطاب يعزّز الفرقة ويعارض ما آمن به سابقاً⁽⁴⁾.

يشير القرآن إلى الوحدة والأمة الواحدة: ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ

(3) قدّم علي بن مبارك قراءة نقدية لمشروع التقريب بين المذاهب الإسلامية خلال عشرين عاماً، ونُشرت في مجلة رسالة التقريب التي تصدر من طهران عام 1433هـ العدد 90 ص ص 161-166. خلص فيها إلى احتياج التقريب إلى شخصيات حيوية ناشطة في المؤسسات العلمية والمجتمع ولا بدّ من الصرامة العلمية والإشراف على ورقات العمل التي تقدم إلى المؤتمرات والمجامع المعنية بالتقريب، ولا بدّ من الاستقلالية وعدم الاعتماد على المؤسسات الحكومية التي تفرض سياسات خاصة في تنظيم الأنشطة التي تعني التقريب.

(4) نشير هنا إلى المفكر الإسلامي محمد عمارة وتحوّل موقفه السابق كداعم للتقريب بين المذاهب إلى معادٍ للفكرة وكذلك الشيخ القرضاوي.

خالد محمد عبده

أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ (المؤمنون: 52) والنَّبِيُّ الكَرِيمُ يَشِيرُ إِلَى الجَسَدِ الوَاحِدِ وَيَقْصِدُ بِهِ جَمْهُورَ المُؤْمِنِينَ بِوَجْهِ عَامٍّ دُونَ تَمْيِيزٍ، مِثْلَ قَوْلِهِ: «مِثْلَ المُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحِمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مِثْلَ الجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى شَيْئًا تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الجَسَدِ بِالسَّهْرِ وَالْحَمَى- أَوْ كَالْبَنِيَانِ المَرْصُوصِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا».

فلو أننا فكرنا في الآخر المختلف دينياً أو مذهبياً باعتبار أنه بمنزلة اليد الثانية لنا يُقَوِّمُ أحَدُنَا الأَخرَ وَيَغْسِلُ مَا بِهِ مِنْ هَمٍّ وَحُزْنٍ وَيُسَاعِدُهُ، وَكَذَلِكَ يَتَلَقَّى مِنْهُ مَتَى احتَاجَهُ، فَهُوَ كَمَرَآتِهِ الصَادِقَةِ الَّتِي تَدْفَعُهُ إِلَى الأَمَامِ، لِتَغْيِيرِ الحَالِ كَثِيرًا عَمَّا هُوَ عَلَيْهِ الآنَ.

يشير أكثر من باحث إلى أن «المنشطات الخارجية والأجندات الغريبة تجهض العمل التقريبي الذي من شأنه أن يوحد كلمة الأمة ويسد خطاها على طريق الوحدة والقوة والعزة، ويرى أن «الكشف عن هذه الأجندات في موضوعية وأمانة علمية هو الوسيلة العملية لمقاومتها بأسلوب يتوخى الكشف عن الأباطيل ووسائلها حتى لا تمارس نشاطها المعادي خاصة بين الشعوب الإسلامية»⁽⁵⁾.

والحقيقة أن هذا الكلام وإن كان في جزء منه شيء من الصواب إلا أن العقبات الداخلية أكثر من الخارجية وأشد، فنحن فيما بيننا متنافرون ومتعصبون وإن كان هناك دوراً لا يُنكر في مساعدة المتحزبين

(5) انظر محمد الدسوقي «مسيرة التقريب بين النظرية والتطبيق»، في مجلة رسالة التقريب العدد 90 ربيع الأول، ص 143، 144. وراجع له أيضاً: على دروب التقريب بين المذاهب الإسلامية: وقائع ندوة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة قطر ص 33.

التقريب بين المذاهب في مصر الواقع والمأمول

وكافة الأطياف على التفرّق والتشردم. وما يُقال عن الإسلام وأهله يعبر عن حقيقة، فالتراث المهمل والإقصاء والاقتصارية الدينية التي تُنشر والقتل على الهوية، أمور تجسد الواقع وإن بالغ الدارس الغربي أو الممارس للعبة السياسة في طرحها، إلا أنه على حق! فقبل أن نجعل من كلام من يقرؤوننا «مفتريات» و«شبهات» لا بدّ من الردّ عليها! ينبغي أن ننقّي أفكارنا من الأوهام والزيغ وأفعالنا من المشين والمفسد للإنسانية الإنسان.

فبعض الدول الإسلامية التي ترى أنها تطبّق الشريعة السمحاء من خلال تحالفها مع الغرب، وهيمنة الغربيّ على سياستها ترى في التقريب تهديداً وخطراً لسلطانها وضدّاً لسياساتها، لذلك هي ضدّه من الألف إلى الياء، ومن خلال الإعلام الدينيّ والكتابات في جامعاتها وهيئاتها العلميّة تعمل على شيطنة الآخر وجعله في موضع الأسفل والمنحرف، وتحذّر من ضلاله، في حين أنها مع المخالف لها دينياً توجّه خطاباً ناعماً وأخلاقياً عالياً، يصل في بعض الأحيان حدّ التذلل.

موقف المؤسسات الدينية من التقريب .. زدة بعد

إيمان

أصبح التقريب تهمة ومحلّ تشكيك يصيب العامل في مسيرته أو المتبني له حلاً لرأب صدع الانشقاق بين أبناء الدين الواحد؛ ولم يقتصر ذلك على الاتجاه السلفيّ المحدث، بل تعدّاه ذلك إلى المؤسسات الدينية التي تُعدّ وسطية كالأزهر، ففي جلسة يوم الأحد 29 جمادى الآخرة 1433 هـ الموافق 20 مايو 2012 أصدر الأزهر بياناً عاجلاً بخصوص المدّ

الشيوعيّ والحسينيّات جاء فيه: «يجب على الإعلام أن يقوم بدوره في تبين خطر المدّ الشيوعيّ في مصر». وقد زعم الداعية المصريّ محمد حسّان الذي تلا البيان من مشيخة الأزهر تحقّق إجماع العلماء حول قراراتهم بشأن المدّ الشيوعيّ في مصر والحسينيّات.

بل إنّه ناشد الإعلام المصريّ أن يقوم بدوره في تبين هذا الخطر الشيوعيّ وتوعية المصريّين ضدّ زندقة «من يسبّون الصحابة»، مردّدًا عبارات من قبيل: إنّنا نتقرّب إلى الله ببغض من يبغضون الصّحابة، كما نتقرّب إلى الله بحبّ آل البيت! متناسيًا بذلك جهود «جماعة التقريب بين المذاهب»، التي بدأت مع أربعينيّات القرن العشرين في مصر مركزّة جهودها على مذاهب السنّة والشيعة الإماميّة بوجه خاصّ⁽⁶⁾، معتبرًا أنّ الشيعة كفّارًا، «باتّفاق العلماء» على حدّ قوله، ويرى أنّ جهود علماء التقريب الأكابر هي من باب (التقيّة) ولم يعد لها مجالٌ الآن في عصر الفضائيّات «الإسلاميّة».

واللّافت للنظر أنّ تلاوة البيان جاءت بعد اجتماع شيخ الأزهر الدكتور أحمد الطيّب ببعض أعلام التّيّار السلفيّ (د. محمد إسماعيل المقدّم، د. أسامة عبد العظيم، د. ياسر برهامي،

(6) ترأس هذه الجماعة الزعيم المصلح محمد على علّوية باشا (1292 - 1375 هـ/ 1875 - 1956 م) وكان في مقدّمة مؤسسيها والعاملين في ميدان جهودها الفقهيّة والفكريّة الأئمة الأزاهرة والعلماء الأعلام أمثال: الشيخ عبد المجيد سليم (1299 - 1374 هـ) والشيخ محمد مصطفى المراغي (1298 - 1364 م، 1881 - 1945) والشيخ مصطفى عبد الرّازق (1302 - 1366 هـ، 1885 - 1946) والشيخ محمود شلتوت (1310 - 1383 هـ، 1893 - 1963 م) والشيخ محمد المدني (1325 - 1388 هـ، 1907 - 1968 م) والشيخ على الخفيف (1308 - 1398 هـ، 1891 - 1978) والشيخ عبد العزيز عيسى (1327 - 1415 هـ، 1909 - 1994) والشيخ حسن البنّا مؤسس حركة الإخوان (1324 - 1368 هـ، 1906 - 1949) والشيخ سيّد سابق، وغيرهم من أئمة علماء السنّة.

الشيخ جمال عبدالرحمن إسماعيل، الداعية محمد حسّان). ولئن كان موقف السلفية من التقريب مفهوم للجميع فإنّ موقف الأزهر يجعلنا نقرؤه في ظلّ تعامل سياسيّ مع الأحداث، لا من خلال منبعث دينيّ، فشيخ الأزهر أحمد الطيّب في أحد لقاءاته الصحفية السابقة على هذا البيان، قال ما نصّه: «إنّ الخلاف بين السنّيّ والشيعيّ كالخلاف بين من كان مذهبه في الفقه (حنفيّاً) ومن كان مذهبه (مالكيّاً)؛ وينبغي أن نحميّ هذا الخلاف من عبث السياسات؟ وهو ما يعيدنا إلى ما قاله جمال الدين الأفغاني قديماً: إن السياسة في الحقيقة، لا الدين، هي التي أذكت نار الخلاف بين السنة والشيعة. فالملوك من السنّيّين هؤولوا وأعظموا أمر الشيعة لاستهواء العوام بأوهام غريبة وعزويات عجيبة على شيعة أهل البيت، ليتسنى لهم بذلك تحزيب الأحزاب، وتجييش الجيوش ليقتل المسلمون بعضهم بعضاً، بحجة الشيعة والسنة، وجميعهم يؤمنون بالقرآن وبرسالة محمّد عليه الصّلاة والسّلام».

مجلة الأزهر ومحو مسيرة دار التقريب

لم يتوقف الأمر عند هذا البيان والتصريح الخاص بالحسينيّات الشيعة في مصر، بل أخذت المسألة بعداً مبالغاً فيه بطباعة كتب قديمة وعمل ملفات خاصة للتحذير من الشيعة وللتنبية على خطورتهم ودورهم في إفساد الدين! فقد خصّص الدكتور محمد عمارة المفكر الإسلاميّ ورئيس تحرير مجلة الأزهر ثلاثة من الكتب والملفات لأجل هذا الغرض، وهو تحوّل في الموقف يخالف كتاباته السابقة.

ففي مقال الدكتور عمارة في مجلة «الهلال» (عدد شعبان

1423م). كتب يقول: «إن التقريب بين المذاهب، والذي يمثل الميدان الحقيقي للجهد الفكري المطلوب، هو الذي يوحد الأمة في الأصول والثوابت، وفي أمهات العقائد والمسائل الفكرية.. وهذا هو ميدان علم الكلام. والجهد التقريبي - الغائب والمطلوب - هونزع (الألغام الفكرية - التفسيرية) التي تقسم وحدة الأمة بالتكفير لفريق من الفرقاء أو مذهب من المذاهب، لأن التكفير هونفي للآخر، يقسم وحدة الأمة.. وهو خطر لا علاقة له بالفقه، الذي هو علم الفروع، ولا بالاجتهادات والاختلافات الفقهية، التي هي ظاهرة صحيحة، تثمر الفنى والثراء في الأحكام، واليسر والسعة للأمة كلها في تطبيق هذه الأحكام».

وإذا كانت هذه (الألغام الفكرية - التفسيرية)، التي تتغذى بها وعليها عقول قطاعات من العلماء في بعض الحوزات العلمية، وفي بعض الدوائر الفكرية السننية. كما تتغذى عليها نزعات التعصب عند العامة. إذا كانت هذه (الألغام) قد غدت راسخة، بل «متكلسة»! فإن الموقف الممكن والعملي إزاءها يمكن تصوّره في ما يلي:

1- تحديد نطاق هذه الألغام الفكرية - التفسيرية، وأغلبها - لحسن الحظ - نابع من نقل القضايا الخلافية من نطاق أصول الاعتقاد، وتحويلها - من ثم - إلى عوامل لنفي المخالفين وتكفيرهم.

2- اعتماد منهاج التدرّج وسنته في تطبيق خطة إزالة هذه الألغام من الكتب التراثية، وخاصة الذي يُدرس منها في الحوزات العلمية والجامعات الإسلامية، وذلك بحذفها من الطبقات الجديدة لكتب التراث هذه وفق المنهاج المتعارف عليه في (تهذيب) كتب التراث.

3- الاتفاق - في إطار حركة التقريب بين المذاهب الإسلامية - على منع تدريس هذه (الاجتهادات التكفيرية) في الحوزات والجامعات الإسلامية التي تكوّن عقول العلماء في مختلف بلاد الإسلام. ولنا في منهاج الأزهر الشريف النموذج والقدوة في هذا الميدان، فهو يحتضن كل مذاهب الأمة - الفقهية والكلامية - سلفها وخلفها على حدّ سواء، مع استبعاد التكفير والتفسيق لأيّ مذهب من المذاهب أو فرقة من الفرق الإسلامية، حفاظاً على وحدة الأمة، التي هي فريضة إلهية، تلعو فوق اجتهادات المجتهدين ومذاهب المتمذهبين. وصدق الله العظيم: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾

ذلك هو الميدان الحقيقيّ للجهاد الفكريّ في التقريب بين المذاهب الإسلامية. إنه علم الكلام. لكن الدكتور عمارة لم يفعل ما اقترحه بالأمس القريب، بل إنه من خلال مجلة الأزهر أعاد نشر كتاب «صورتان متضادان عن الشيعة» للندوي وهو كتاب لإدانة الشيعة، ثم في الشهر الذي يليه أعاد نشر كتاب «الخطوط العريضة لدين الشيعة لمحّب الدين الخطيب» هديةً مجانيةً كسابقه مع مجلة الأزهر الشريف في عددها لشهر ذي الحجة 1433، بتقديمه ودراسته، يقول في مقدمته: سيتساءل القارئ عن قصة التقريب بين الشيعة والسنة، وعن شعار الوحدة الإسلامية التي يعقد الشيعة لها المؤتمرات السنوية، وهي من القضايا التي عرض لها هذا الكتاب، باعتبارها وهمًا من الأوهام التي يروج لها الشيعة لخداع الجهلاء والبلهلاء!

إن وحدة الأمة الإسلامية فريضة دينية وضرورة حياتية. لكن

خالد محمد عبده

الشيعة الذين يدعون نَفراً من أهل السنة إلى مؤتمرات الوحدة قد أخرجوا جميع أهل السنة منذ عصر الخلافة الراشدة وإلى يوم الدين من أمة الإسلام ودين الإسلام! فهل هناك - مع هذه العقيدة الشيعية المعلنة - مصداقية لدعوة الوحدة أو التقريب؟!

بل إنَّ زعماء الشيعة يعلنون أنَّ مقصدهم من وراء الدعوة إلى الوحدة والتقريب إنما هو إخراج الشيعة من عزلتها كي تبشِّر بمذهبها- أو دينها - في الأوساط السُّنِّيَّة، لتحويل المجتمعات السُّنِّيَّة الموحدَّة مذهبياً إلى مجتمعات طائفية سهلة الاختراق!

ولعل السؤال الذي يمكن توجيهه إلى الدكتور عمارة كيف يتسق ما في مقدمته للكتاب مع ما اقترحته في مجلة الهلال من صورة للتقريب؟ كيف يتسق ذلك مع تقديمه لكتاب أكذوبة تحريف القرآن لرسول جعفریان الذي صدر في العام 2006 في مصر والذي تجاوز العشرين صفحة؟ أم كيف يتسق ذلك مع بحثه الذي نشره في العام 1994 في مجلة الجامعة الإسلامية بلندن حول فكرة التعددية، والذي حوى كلاماً رائعاً يتسق مع روح التسامح وسعة الأفق، من مثل: إذا كان (جامع الإيمان) وموحد المؤمنين هو (التصديق بما جاء به الرسول)، فإنَّ مظلة هذا (الجامع) وإطار هذا (التصديق) قد اتسع لتعددية أئمرها (التأويل) في ما يجب أو يجوز فيه (التأويل)، فإذا ما التزم الفرقاء المتأولون بقواعد التأويل - التي قررتها العربية - انفسحت أمامهم آفاق التعددية في هذا الإطار، الذي يُعطي مذاهب الفكر طابعها الإسلامي مع ما بينها من فروق وتعددية في التصورات!

يقول الدكتور عمارة في البحث المذكور نفسه عن التعددية: إن السبيل الإسلامية التي حددها الإسلام، وتميّزت بها شريعته، في حلّ التناقضات بين فرقاء التعددية، جاءت طبيعتها وألياتها ومقاصدها لتكرس قيام هذه (التعددية) عند المستوى الوسطي الذي لا يذهب بها إلى إلغاء الآخر ونفيه ولا إلى التشرذم والقطيعة التي لا رابط ولا جامع يوحد بين فرقائها.. فلقد رفض الإسلام مذهب الصراع سبيلاً إلى حلّ التناقضات بين فرقاء التعددية، لأنّ الصراع غاياته صرع وإفناء ونفي الآخر، ومن ثمّ فهو يلغي التعددية وينفيها، لكنه لا يقدم دليلاً بموافقته على ما كتبه بشكل نظريّ من قبل.

دار الإفتاء المصرية والتقريب

تطوّر الموقف من التقريب في المؤسسات الدينية في مصر كافة ففي التاسع من أكتوبر 2012 نشرت جريدة «الشروق» المصرية و«الوطن» تحذير فضيلة الشيخ علي جمعة مفتي الديار المصرية من نشر المذهب الشيعي في مصر، ناصحاً عقلاء الشيعة بأنّ نشر التشيع في غير بيئته في الدول السنّية سيتسبب في الفتنة وعدم الاستقرار وزعزعة الأمن المجتمعيّ! وجاءت كلمة الدكتور علي جمعة خلال المحاضرة التي ألقاها يوم الثلاثاء، ضمن سلسلة المحاضرات التي ينظمها مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر للتحذير من الفكر الشيعي! وقد ذكر في محاضراته خمس نقاط رئيسية تبين اختلاف السنة مع الشيعة، منها:

1- قضية عدالة الصحابة وسب الشيعة للصحابة.

2- قضية تحريف القرآن.

وسأكتفي في هذا السياق بالتعليق على هاتين النقطتين ممّا أورد فضيلته من نقاط الافتراق بين التديّن السنّي والتديّن الشيعي.

أبدأُ بكلمة للشيخ علي جمعة قالها في العام 2007 ونشرتها رسالة التقريب في العدد 60 ص 248: (بعضهم كان يقرأ في بحار الأنوار ويعتقد أنّ هذا عقيدة الشيعة، ويرفض التعاون معهم، وهذا ليس منهجاً علمياً، ولكن كلّ الموجود في بحار الأنوار لا يقرّه الشيعة، ولكنه في الحقيقة مسألة أكاديمية فقط، وحين جاؤوا يطبعون الكتاب حذفوا مسألة سب الصحابة وهذا التغيير جاء من فتح باب الحوار، ولهذا حذفوا الأجزاء من 29 إلى 33 خمسة مجلدات التي كانت تحوي ذلك.

لهذا قلت لهم: هل مسألة سب الصحابة دين؟ أم سب الصحابة موقف؟ مع العلم بأنه ليس هناك إمام من أئمة الشيعة المعصومين سب الصحابة! فلم يسب سيّدنا الحسين الصحابة ولا على زين العابدين ولا محمد الباقر، وكذلك الإمام جعفر الصادق لم يسب الصحابة وغيرهم.

إذن فهذا من فعل الخلاف ولا يعد ديناً. ولهذا حذفوا المجلدات الخمسة التي تحوي ذلك فقد راعوا ذلك حتى لا تحدث بينهم وبين

التقريب بين المذاهب في مصر الواقع والمأمول الأمّة الإسلاميّة فجوة).

وبناءً على كلامه لا يعدّ الاقتصار على قراءة موقف الشيعة من خلال كتاب تمّ تنقيحه في الطبقات التالية، منهجاً علمياً، وإن اعتبره باحث المعبر دون غيره عن موقف الشيعة، فما هو إلاّ مجترٌ لخلافات الماضي من أجل تفرقة الأمّة الإسلاميّة التي اعتبرها فضيلته أمّة واحدة.

القضية الثانية قضية تحريف القرآن التي قال في شأنها الشيخ علي جمعة في المقال المذكور العام 2007: «قضية تحريف القرآن، كان هناك كتاب ألفه أحد الشيعة الكبار منذ أكثر من 150 سنة واسمه النوري، وهو رجل حجّة ومرجع ومعتمد، واسمه (فصل الخطاب في أصل تحريف الكتاب لربّ الأرباب) والحقيقة أنّ علماء الشيعة لم يرضوا بهذا الكتاب وردّوا عليه، بل إنّ بعضهم أغلظ القول للنوري حتى قال بعضهم عبارة «إنّ أخطاء الكبار كبار»!

كل ذلك لأنه سمّي كتابه «تحريف كتاب ربّ الأرباب»، فلما ناقشنا الشيعة منذ ستين عاماً في قضايا التقريب، وكيف أنّ الشيخ الصدوق القميّ عندما جاء مصر فتحت له مصر قلبها، وعمل معه في التقريب الشيخ أحمد حسن الباقوري والشيخ عبد الله المشد والشيخ منصور رجب والشيخ عبد العزيز عيسى منذ ستين عاماً وسمحت له السلطات بأن يصدر مجلة اسمها (رسالة الإسلام)، وكتب في هذه المجلة أكبر علماء الأزهر، وقد أثرت وقتها كلّ هذه المشكلات التي كانت عائقاً للتفاهم بين السنة والشيعة ومن ضمنها قضية تحريف

القرآن».

«أتريد أن تضع يدك في يد إخوانك في الأمة التي تصلي إلى كعبة واحدة، وتصوم شهراً واحداً، وتقف في المواقف الدوليّة موقفاً واحداً أم أنك تريد أن تجعل النزاع بينهما شديداً؟ ماذا تريد أيّها الإنسان؟»

«فإذا كنت من أصحاب فكر الشقاق فأنت على خلاف مع الفكر الذي يقول الوفاق. فالفكر الذي يقول الوفاق فيه خلاف ولن نقول إنه خلاف هامشيّ أو خلاف بسيط بل فيه خلاف شديد، ولكن هذا الخلاف الشديد هل يمنع من الوفاق أو لا يمنع من الوفاق؟ أقول لا يمنع من الوفاق، فلا يمنع مع هذا الخلاف الشديد أن أضع يدي في يد الشيوعيّ ونكون شيئاً واحداً».

«ليست هناك أيّ عوائق تمنع من هذا الوفاق، وهناك مسيرة ونجاحات في هذا الوفاق، وهناك أفهام خاطئة لا تدرك إلاّ التاريخ، تريد أن تسحبنا إليه، ولكن هيهات فنحن أمة إسلامية واحدة لا تتمسك بوحدة الصفّ والسماحة والعدل والقيم الإسلامية».

إذا كان فضيلته قد رأى أنّ الفهم الخاطئ هو فهم من يتشبث بالتاريخ ولا يدرك الواقع وأبعاده، وأنّه يفرّق ولا يجمع الأمة، فهل رأى فضيلته اليوم ما جعله يبدّل موقفه الوفاقيّ خوفاً من الفتنة وعدم الاستقرار وزعزعة الأمن المجتمعيّ؟ أم هل أنّ المسألة مراعاة الأمور السياسيّة فحسب، فإذا ارتد الأزهر عن دوره في مسيرة التقريب

فلتكتمل الحلقة بتحذير الشيخ؟!

في العام 2006 وفي العدد 54 من مجلة «رسالة التقريب» احتضت المجلة برأي الشيخ علي جمعة الذي جاء فيه: «يحزننا ما يجري في العراق من فتنه عمياء تُظهر رأسها بين السنة والشيعة وكثير من الناس يتساءلون: ما السنة وما الشيعة وما الخلاف بينهما؟ وهل يعترف بعضهم ببعض وهل هما كدينين منفصلين كما يدّعي بعضهم في الغرب؟ أقول: إنّ الأزهر الشريف قد اعترف بالمذاهب الفقهية الثمانية التي يقلدها المسلمون في العالم في عصرنا الحاضر وهي الأربعة السنية (الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة) واثنان من الشيعة (وهما: الجعفرية والزيدية) واثنان من خارج ذلك وهما (الإباضية والظاهرية) التي تكوّن الموسوعة الفقهية التي بدأت في سنة 1960 بالمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية والتي وضع برنامجها العلامة المرحوم محمد فرج السنهوري ومعه آخرون من كبار رجال الفقه في مصر، وكان قبل ذلك قد أصدر الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت قرارا باعتماد المذهب الجعفري واعتماد الأخذ منه عند أهل السنة، وهذا كله نراه مسطوراً في كتب الفريقين عبر التاريخ، يعرض هذا رأي هذا ويعرض ذاك رأي الآخر مرةً لمناقشته ومرة لاعتماده ومرة لنصرتة وترجيحه! ممّا يدل على أنهما على دينٍ واحدٍ وعلى قبلة واحدة هي الكعبة المشرفة، وعلى مصدر واحد هو كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنهم يصومون شهر رمضان لا يختلفون فيه ويصلون الخمس ويحجون البيت فما الخلاف بينهما إذن؟!».

خالد محمد عبده

إنَّ ما نشهده اليوم في مسيرة التقريب ودور الأزهر رِدَّةً بالفعل عن دوره السَّابق، فأكثر من جهة في السَّابق كانت تعدُّ تجربة التقريب التي انبعثت من مصر أهم تجربة ظهرت في خلال القرن العشرين وقد أنتجت لنا ثمرة طيِّبة ظهرت في إبداعات العلماء في مجلة رسالة الإسلام، لسان حال دار التقريب آنذاك التي صدرت سنة 1949، واستمرَّت في الصدور أكثر من عقدين.

إنَّ مسؤوليَّة التقريب هي مسؤوليَّة جماعيَّة لا بدُّ أن يشترك فيها العالم والمثقف والفقهاء والأديب والدَّاعية ورجل الإعلام والصَّحافة والسياسة إلى جانب الأجهزة والمؤسَّسات الرسميَّة والشعبيَّة وهي كما اقترحت إستراتيجيَّة التقريب بين المذاهب محاور العمل التي ينبغي أن تكون:

تخطيط عمليَّات التقريب والسهر على تنفيذها مع تبني إستراتيجيَّات محلية منبثقة من أهداف هذه الإستراتيجيَّة الأم التي ترى أنَّ التقريب عاملٌ مهمٌّ في تضيق رقعة الخلافات والحدِّ من انتشار ظاهرة التعصُّب المُفضية إلى التفرقة والفتن، وجسرٌ متينٌ لترسيخ قيم الائتلاف والتسامح.

إعداد البرامج والأنشطة القابلة للتنفيذ على المستوى الوطنيِّ وربطها بالأنشطة المماثلة في بلدان الدول الأعضاء، وتطوير أنشطتها، وإذكاء حيويَّتها.

تنمية علاقات التعاون والتكامل مع الهيئات المماثلة في البلدان

التقريب بين المذاهب في مصر الواقع والمأمول

الشقيقة، ومع المنظمات والهيآت ذات العلاقة، وطنياً وعربياً وإسلامياً.

4- الإسهام في إعداد حملة رسالة التقريب، وتدريبهم على نشر ثقافته، وفق أسس إسلامية وحدوية صحيحة وسليمة⁽⁷⁾.

إن كل ما نرجوه أن تتضافر جهود المنظمات والمجامع الإسلامية والأفراد الذين يؤمنون بفكرة التقريب بين أهل المذاهب حتى لا نحيا في عصبية وخلافات تهدر الإنسان وتغيبه أكثر

(7) انظر: (إستراتيجية التقريب بين المذاهب الإسلامية) المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة. الرباط 2004م ص ص 6-16.

التشيع.. إثبات وجود وجهود للتوسع

ماهر فرغلي (*)

لم تكن مصر غائبة عن الشيعة في يوم من الأيام، إذ إنَّ تهيئة العصر والدول، من الواجبات الأساسية لقيام ثورة إسلامية عالمية تشكل الأرضية لخروج المهدي (***)، وعلى هذا بدأ الزحف الشيعي إلى مصر، عبر مجموعة من الأطر والوسائل، أهمها المؤسسات الشيعية.

ويمكن أن تكون الدولة المصرية قد نجحت إلى حدّ ما قبل 25 يناير، من خلال آلية القمع، والهيمنة الأيديولوجية، في كبح جماح الانتشار الشيعي، غير أنّ الثورة المصرية، قد غيرت إلى حدّ كبير خريطة المؤسسات الشيعية التي تُعنى بها هذه الورقة، وأصبحت إلى وقت قريب تؤدي دورها، في محاولات التسلّل الشيعي والتمدد في المدن المصرية، والتغلغل في مراكز التأثير، والانطلاق إلى البيئات الجماهيرية، من خلال تكوين بؤر حديثة، وضم عناصر جديدة، ومن ثمّ القدرة على الحشد الجماهيري بعد ذلك، والتأثير في القرار السياسي.

(*) كاتب وصحافي مختص في شؤون الحركات الإسلامية.
(**) مجلة مختارات إيرانية، مركز الأهرام للدراسات السياسية، عدد 45، 2005.

مؤسسات الشيعة في معترك السياسة المصرية

حين ظهرت الهيئات الشيعية، ركزت على بعض المسائل مثل الولاية، وظهور الإمام المهدي، ونشر آراء الزعامات وبعض المرجعيات، والتعريف بإيران، من خلال التركيز على مراكز الثقل الجماهيري، والبيئات الصوفية، والتشيع السياسي المبني على انفعالات عاطفية لا تعرف الفواصل بين الشيعة والسنة.

وقد حاول الشيعة قديماً إنشاء هذه الكيانات والمؤسسات، وكانت أولها «جمعية التقريب»، ثم «جمعية آل البيت»، ويعد محمد الدريني من أبرز من اهتموا بهذا الأمر حين أنشأ «المجلس الأعلى لرعاية آل البيت»، وجمعية «حوراء»، في الوقت الذي أنشئت فيه بعض الكيانات الأخرى الموازية، مستغلة لدى المصريين التدين الفطري الذي يمزج ما بين التصوف بكل مكوناته وانقساماته واختلافاته حول حب آل البيت، للانتشار، والتغلغل والزحف.

كما استغلوا نشأة، «جماعة التقريب» والسماح لـ«جمعية آل البيت» التي كان السادات يحرص على استقبال زعيمها، وبعض الطوائف الأخرى؛ كالبهرة سنوياً⁽¹⁾. ولم يكن موقف جماعة الإخوان الحاكمة الآن في مصر عدوانياً تجاه الشيعة على وجه العموم فقد «شجع الشيخ حسن البنا مؤسس جماعة الإخوان، دعوة التقريب مع الشيعة، وكان من المؤيدين لجماعة التقريب في مصر، بعكس صديقه

(1) أسامة شحادة، الموسوعة الشاملة (4)، ص19، مكتبة مدبولي.

وأستاذه الأستاذ محب الدين الخطيب الذي كان من أوائل المدركين للخطر الشيعي وألف كتابه «الخطوط العريضة للأسس التي قام عليها دين الشيعة»⁽²⁾.

وباعتبار أن هذه الكيانات رسمية، فقد أصبحت فاعلة في معظم المجالات التربوية والاقتصادية والثقافية، على اعتبار استغلالها لطبيعة التدين الفطري للمصريين، الذي يمتزج ما بين التصوف بكل انقساماته، واختلافاته، وما بين التدين السني العريض، والشيعي عن طريق دلالات أخرى.

وجاءت بعض المؤسسات بشكل عفوي، لكن خطورتها، في إمكانية توظيفها سياسياً وأيديولوجية، تمثل حالة استثنائية على اعتبار أنها جاءت نظير ظروف غير طبيعية، ودون ترتيب مسبق، فليس لها قانون للاستمرار، سوى أنها تثبتق من ضرورة رهان واحد فقط هو الظهور الشيعي وانتشاره، مما سيستتبع الدعوة والتعليم، وضم الأتباع، والنشاط الديني متمثلاً في الدعوة إلى تعاليم عقائدية، وضمن انتشارها وتبسيطها، وإلى أن تصبح حاضنة لطرق التفكير والممارسات، وكذلك طموحات الشيعة المصريين وآمالهم.

ونظرًا إلى أنها جاءت على عجل فإن شكلها الإداري مرتبك كثيرًا، وكذلك شأن وظيفتها الروحية. لكنها عملت على اتجاهين: أولهما تحقيق أهداف مرحلية للمناورة وإستراتيجية التغلغل والنفوذ

(2) أسامة شحادة، كتاب الراصد، جزء 2، ص 172.

التشيع.. إثبات وجود وجهود للتوسع

في المجتمع مع الموالين، والآخر التغفل في المجتمع أيضا، مع المناصرين، تحت دعوى أن الخلاف بين السنة والشيعة فرعي.

وعلى اعتبار أن المؤسسات السياسية الشيعية، هي كيانات قائمة بالفعل، من ناحية العناصر المنظمة لها، وأماكن وجودها، والشكل القانوني لها، فإن هناك أجزاءً سياسية، وجمعيات، ودور نشر، ومدارس وزوايا، ومساجد، ومراكز حقوقية، وأخرى بحثية، تخضع لهذا المنظور، وتطالب بمرجعية شيعية تحت لواء الأزهر، مع حفظ استقلالية توجهاتها، من واقع المذهب «الجعفري» الذي أقره بعض العلماء للتعبد.

كما تطالب بالسماح بإنشاء جمعيات أهلية تقدم الرعاية المتكاملة صحياً واجتماعياً، ومعيشياً، وإنشاء مساجد ومكتبات في الأماكن ذات الكثافة السكنية الشيعية. ووضعت المؤسسات الشيعية من أهدافها، أن يكون المذهب الجعفري، ضمن روافد المادة الثانية للدستور، والسماح بإنشاء مدارس ومعاهد وفق المذهب الجعفري، وتأسيس هيئة حوار من كل الأطياف الدينية والمذهبية، تكون بمنزلة «لجنة إدارة الأزمات الطارئة»، وهذا ما اتضح بشكل كبير بعد الثورة المصرية.

وتحقيقاً لإستراتيجية الامتداد النوعي، بين النخب المصرية، أصبح للمؤسسات الشيعية قَدَمٌ في المناطق المهمشة، وبين الاقتصاديين، وسلك القضاة والمحامين، وفي بعض الشركات. وعلى المخطط نفسه أثبت الشيعة المصريون وجودهم في بعض المؤسسات الإعلامية،

واستغلوا طفرة القنوات الفضائية التي تنطلق من سماء مدينة الإنتاج الإعلامي بالقاهرة، في تأكيد ذلك، وأقاموا كيانات خيرية وثقافية كبيرة، ليحتلوا بذلك مراكز التأثير والتوجيه، من خلال الاحتكاك بالجماهير، وساعدهم على ذلك الانفتاح الذي تظاهرت به إيران بعد وفاة الخميني⁽³⁾.

عملت المؤسسات الشيعية في مصر على اتجاهاين هما اتجاه المؤيدين والمناصرين، الذين أخذوا بالترتيب في رحلات إلى طهران كل شهر تقريباً، أو العراق، أو عبر السياحة الدينية للأماكن المقدسة، وفي الاتجاه الثاني عملت مع المواطنين العاديين في محاولة التقريب، ونجحوا في ذلك إلى حد كبير بعد 25 يناير.

لكننا نؤكد أن مؤسسات الجماعة الشيعية، لا تتبع جهة واحدة أو فصيلاً واحداً، لأنها تشهد صراعاً في الكواليس بسبب سعي الشيرازية بمحاولة تقديم الشيخ حسن شحاتة مرجعية، وأباً روحياً للشيعية المصريين، وسعت مجموعات أخرى لمحاولة تنصيب كل من الدمرداش العقالي، وهذا يعكس اختلافاً بين قوى ظلت متحدة قبل الثورة المصرية، في مواجهة التنظيم الشيعي المسمى «آل البيت البتول»، وفي السياق نفسه تحركت مجموعة المنصورة، لرفض ترشيح الدمرداش والعقالي، مفضلين الدفع بأحمد راسم النفيس، نظراً إلى سجله عبر الخمسة عشر عاماً الأخيرة، في حين يرفض التيار الشيعي في الصعيد ذلك، متمسكين بمحمد الدريني الذي تحدث باسم الشيعة قبل الثورة،

(3) أسامة شحادة وكيثم الكسواني، الموسوعة الشاملة للفرق المعاصرة في العالم ج 4، مكتبة مدبولي، ص 9.

التشيع.. إثبات وجود وجهود للتوسع

واعتقل أكثر من مرة.

ويبدو أنّ مشهد خريطة مؤسسات الشيعة رهن بجهات دولية وإقليمية، تريد أن تضع لها يداً داخل مصر عن طريق رسمي وقانوني، ممثّل في مؤسسات وكيانات شيعية، تستغل الحالة المصرية بعد الثورة.

زحف المؤسسات الشيعية

تشكلت المؤسسات الشيعية عبر أربع قوى رئيسية أهمها: آل البيت، الذي يتشكل من مجموعة من الأشراف بحسب نسبهم لآل البيت، والناصرين والقوميين بحسب التوجه السياسي، وجمعية «البتول» والمجموعات التابعة للدريني، وغالبيتهم في الصعيد وسيناء وإن لم يعلنوا تشيعهم إلا أنّ هناك من يحسبهم كذلك، أو عبر المجموعة الثانية المنتشرة في طنطا والمحلة وأجزاء من القاهرة الكبرى، حيث توجد دائماً في نادي الزهور بمدينة نصر، وهي مجموعة شيرازية، مرجعيتها داخل النجف في العراق.

لكن أكثر المؤسسات سنجدها تابعة لأكبر الجماعات داخل الخريطة الشيعية، وهي التي ترجع إلى المرجعيات التابعة لإيران داخل قم، ويمثلها «الدمرداش العقالي»، و«أحمد راسم النفيس»، و«الطاهر الهاشمي»، و«صالح الورداني»، و«سالم الصباغ»، وهي المجموعة نفسها التي أسست حزب «التحرير»⁽⁴⁾.

(4) حوار للكاتب مع القيادي الشيعي محمد الدريني - صحيفة الوطن - 2/13 /2013م.

<http://www.elwatannews.com/news/details/127288>

لا يمكن بأيّ حال أن نفعل مؤسسات من يطلق عليهم «المستبصرون»، وهم على المذهب السني، لكنهم يميلون بشكل كبير إلى التفسيرات الشيعية للتاريخ، ومنهم «أحمد صبح»، وبعض القيادات الناصرية الذين فتحوا مؤخراً مكاتب لدعم المقاومة، وحل الأزمة السورية، في وسط القاهرة، وكذلك تلك المؤسسات التابعة للطرق الصوفية، التي أصبحت البوابة الخلفية للتشيع.

في محافظة الدقهلية المصرية، سنجد أن الشيعة انتشروا في عدة مناطق منها قرية العصافرة التي يوجد فيها «أحمد صبح» عضو الجماعة الإسلامية الذي تحول للتشيع، وهو يهتم بإرسال وفود كثيرة إلى طهران، وأنشأ زاوية صغيرة للصلاة وخطبة الجمعة فيها⁽⁵⁾، وفي قرية «طناح» التي توجد بها سبعة أضرحة، ظهر التشيع. وقدّر بعض المراقبين أتباع المذهب في القرية بخمسين شيعياً، فيما انتشر المذهب ببطء بقرية «ميت زنقر» على يد طبيب بشري.

وفي قرية «دنديط» بمركز ميت غمر تغلغل الشيعة عن طريق ساحات الطريقة البحراوية الصوفية، والشبلنجية، كما ظهرها في قرية «الأمير عبد الله بن سلام»، مركز تمي الأمديد، على يد ثلاثة من عائلة واحدة «ح. ح. ف».

أما في محافظة الغربية وتحديداً في منطقة التجنيد، وعلى بعد (1500 متراً) من ميدان الإسكندرية، أمام مزلقان القطار، بنقطة

(5) يمكن مراجعة الزحف الأسود، مركز التنوير للدراسات،

<http://www.altanweer.net/articles.aspx?id=20097&selected>.

التشييع.. إثبات وجود وجهود للتوسع

مرور سالم المقابل للاتجاه المؤدي إلى طريق شبين الكوم، فيقع هناك مبنى كبير على مساحة 200 متر مربع تقريباً ويرتفع خمسة طوابق غير البدروم، وقد تم بناء الدور السادس باللون الأحمر الداكن، وهو تابع للمساحة الليثية الحسينية (أحباب الصفاء المحمدي)⁽⁶⁾. وفي الدور الأول منه مسجد، منقوش على جدرانه عبارات كلها في مدح الحسين وعلي بن أبي طالب، وبداخله أيضاً صورة كبيرة داخل إطار فسفوري لمؤسس الحسينية، الذي يرجع أصله إلى قرية اسمها: القلشي التابعة لمحافظة المنوفية، وكان في بداية حياته يعمل بائعاً لمنسوجات «الكليم»، واكتسب علاقات مع أصحاب تلك المصانع.

وللشيعة مسجد في نهاية شارع توت عنخ آمون، في دور أرضي تحت عمارة على شاطئ ترعة القاصد، بجوار موقف سيارات أجرة المحلة الكبرى، كما توجد جمعية خيرية: عبارة عن مركز طبي، الكشف فيه بأسعار رمزية تابع لهذه الجمعية، وبها مسجد ضخم، والواقع أن لهذا المسجد «بدروم» يجتمع فيه أهل التشيع، أيام الأحد والثلاثاء من كل أسبوع، وتعقد الولائم، ويقصدون هذا المسجد من كل مكان.

أما جمعية الصفاء المحمدي فهي تعمل كستار للشيعة منذ ما قبل 25 يناير، وحتى الآن، في إقامة الولائم، وعلاج المرضى، وكتاتيب تحفيظ القرآن⁽⁷⁾. وفي قرية «الراجدية» التي تبعد خمسة كيلو مترات عن طنطا، فيوجد بها مسجد السيد البدوي، وهو تابع لشيعة مصر،

(6) موقع جمعية أحباب الصفاء المحمدي، <http://www.ahbabalsafa.org>

(7) المصدر نفسه.

ومن أهم الأماكن التي تلتقي فيها الطرق الصوفية.

وفي مدينة المحلة توجد جمعية لرعاية حقوق الإنسان لأحد المستبصرين، الذي تشيع بعد عودته من طهران. أما في محافظة البحيرة، فإن قرية «نديبة» الواقعة على مقربة من دمنهور تشهد مدا شيعيا ومصلى للشيعية، و«بكوم حمادة»، وبقرية «شبرا أوسيم» على الشاطئ الشرقى لقناة النوبارية، كانت إحدى العائلات أقامت مصلى للشيعية. وفي مركز أبو حمص، ظهر الصافي الهاشمي، وجمعية «الأنوار الربانية»، التي نشرت بعض المطبوعات منها «مختصر العقيدة الإمامية، والمآتم الحسيني مشروعيته وأسراره»⁽⁸⁾.

وأنشأ القيادي الشيعي الطاهر الهاشمي جمعية الثقلين، التي أكد أنها جمعية اجتماعية لتقديم المساعدة للمرضى والعون لعابري السبيل ومقرها الرئيسي، بالدقي، وسط القاهرة⁽⁹⁾. وبمحافظة الشرقية يعد مولد «يحيى المتوج بالأنوار» وساحته، أحد أهم أماكن الشيعية، كما أنّ لهم في بعض المدن مثل «أبو حماد» انتشار واضح، كمسجد «مظلوم» و«المقرقع» ببليس.

وأما محافظة الإسماعيلية فقد لوحظ في النصف الثاني من التسعينات، انتشار أعضاء جمعية الصفاء المحمدي، التي يعقد فيها

(8) الزحف الأسود.

<http://www.altanweer.net/articles.aspx?id=20097&selected>.

(9) قمنا بزيارة ميدانية لمقر الجمعية، وحصلنا على مجموعة من الكتب التي توزعها، ومنها (الوهابية في مصر)، (نقض الوهابية)، (فرضية الجهر باليسملة)، (علي بن أبي طالب وأخلاقيات السياسة).

التشيع.. إثبات وجود وجهود للتوسع

جلسات نقاشية لهم، فيما باتت المدينة نفسها مقراً كبيراً للطريقة العزمية، التي تنشر كتباً مدفوعة الأجر مثل «الفتوحات العزمية»، وبها أيضاً الطريقة الدندراوية في منطقتي «البركة» و«أبي عطوة»⁽¹⁰⁾.

وفى منطقة الصعيد يعتمد الشيعة المصريون على السرية التامة في إنشاء بعض المؤسسات، عن طريق استغلال التركيبة القبلية، وبعض العائلات التي تنتمي إلى الأشراف وآل البيت، مثل الجعافرة الموجودين في قنا وإسنا، والأقصر الموجود بها قبر الأمير «حمد» الجد الأكبر لهم، والعبادة الموجودين في «فقط» و«قوص»، والقبائل الهاشمية الأخرى مثل «جهينة - فزارة - هواره - عيس المطاعنة - الحجازية»، فأنشئت «الساحات» التي تعقد فيها «الحضرة»، مثل «ساحة النبي الأعظم» في قرية «الكالوج» بأسوان⁽¹¹⁾.

في أسيوط ظهرت الساحة «الليثية الحسينية» التي أنشأها وكيل مدرسة وهو عبد الفتاح محمد أبو زيد في مدخل قرية العصاره بمركز الفتح، والساحة عبارة عن قاعة كبير مثل الساحات الصوفية ومكتوب على الحوائط التي تم طلاؤها باللونين الأحمر القاتم والأصفر الشبيه بالفسفوري أشعار دينية للفرزدق وبداخلها مدائح، وبعض الآيات القرآنية «﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾» كما أن بداخلها صورة كبيرة للشيخ محمد

(10) موقع جمعية الصفاء المحمدي

<http://www.ahbabalsafa.org>.

(11) دولة الدندراوية، صحيفة الأنباء المصرية.

<http://www.alanbaa-aldawlia.info/the109/body>.

ماهر فرغلي

الليثي بجلباب وعمامة وعباءة سوداء ومعه بالصورة عبد الفتاح صاحب ساحة «أحاباب الصفاء الأحمدية» وهو شيخ الطريقة المنبثقة عن «البيومية الأحمدية» بطنطا⁽¹²⁾.

كذلك «العصبة الهاشمية» ظهرت في قرية «كلج المفالسة» بأسوان، وقد أصبح لها فروعٌ متعددة، وهي تدعو لأولوية آل البيت، وإقامة 12 احتفالاً بمولد النبي، بقرية «الكالوج» للاحتفال بالاثني عشر إماماً لدى الشيعة، وكل ذلك على يد «أحمد أبو الحسن» الذي أشهر الطريقة في الشؤون الاجتماعية، وأقام «مزرعة الإمام علي» على مساحة 100 فدان، كما توجد طريقة «الأحفاد النورانية» بإدفو، التي تتشابه عقائدها مع الشيعة الإثني عشرية.

وللشيعة بعض المكتبات ودور النشر منها «دار الهدف» التي تأسست سنة 1989م، ويديرها «ص.و»، و«مكتبة النجاح» في القاهرة التي أسسها مرتضى الرضوي سنة 1952م، وطبعت كتباً شيعية كثيرة منها: «وسائل الشيعة»، و«فنون الإسلام»، و«المتعة وأثرها في الإصلاح الاجتماعي»، وكذلك مكتبة «الزهراء» في حيّ عابدين بالقاهرة، ومكتبة «حراء»⁽¹³⁾.

كما زحفت المؤسسات في محافظات الوجه البحري عن طريق «المجلس الأعلى لرعاية آل البيت» الذي يرأسه محمد الدريني، وأصدر صحيفة (صوت آل البيت)، قبل أن تحدث فيها انقسامات كثيرة، أدت

(12) قمنا بزيارة ميدانية للساحة، بعد اقتحام التيار السلفي لها، في شهر إبريل 2013 وإغلاقها.

(13) أسامة شحادة، شيعة مصر، ص88، مكتبة مدبولي.

التشيع.. إثبات وجود وجهود للتوسع

إلى وجود أكثر من قيادة لها⁽¹⁴⁾.

كما أنشئ «المجلس العالمي لرعاية آل البيت»، وجمعية «آل البيت» التي تأسست سنة 1973م، والمرشد الروحي للجمعية سيد طالب الرفاعي، الذي قام بالصلاة على شاه إيران محمد رضا بهلوي في مسجد الرفاعي في القاهرة⁽¹⁵⁾.

من جانبها ساهمت بعض الشخصيات البارزة في المحافظات المصرية في زحف مؤسسات الشيعة، وأولهم هو الدكتور أحمد راسم النفيس أستاذ الباطنة والقلب بجامعة المنصورة، الذي أسس حزب التحرير⁽¹⁶⁾، والكاتب والصحفي المصري صالح الورداني، الذي صدر له موسوعة آل البيت (7 أجزاء)، تثبيت الإمامة، والذي أسس مجموعة من دور النشر، وكذلك القطب الشيعي الطاهر الهاشمي الذي أنشأ جمعية الثقلين، والشيخ حسن شحاتة، الذي أسس مركز العلوم الفاطمية، ومحمد يوسف إبراهيم، و محمد الدريني رئيس المجلس الأعلى لرعاية آل البيت.

ولعل أبرز قضايا الشيعة في 1988،، تثبت بما لا يدع مجالاً للشك، كيفية زحف المؤسسات الشيعية، حيث تم القبض على أربعة عراقيين، وأغلقت دار النشر المصرية الشيعية «البداية»، وفي سنة

(14) توجد أعداد متنوعة من الصحيفة طرفنا.

(15) توقفت الجمعية في نهاية السبعينات، إلى الآن.

(16) قمنا بزيارة ميدانية لحزب التحرير، والتقينا بالنفيس، ومحمود جابر، حيث أكد إصرارهما على العمل من داخله، رغم عدم السماح لهم قانونيًا بذلك.

ماهر فرغلي

1989، ألقى القبض على تنظيم من 52 فرداً، بينهم أربعة خليجيين وإيراني، وفي سنة 1996م، تم الكشف عن تنظيم يضم 55 عضواً في خمس محافظات، وتزامنت هذه الحملة مع محاولات إيرانية لتأسيس مؤسسة إعلامية في أوروبا برأسمال مليار دولار كان مرشحاً لإدارتها صحفي مصري. وأكدت معلومات أن محمد تقي المدرسي، الموجود في قم، هو الذي أشرف على الزحف الشيعي لمصر. وفي نوفمبر سنة 2002م ألقى القبض على تنظيم بزعامة محمد يوسف إبراهيم، وهو يعمل مدرساً في محافظة الشرقية، إضافة إلى يحيى يوسف، وصاحب مطبعة، اتهموا بالترويج للمذهب والسعي إلى إنشاء تنظيم شيعي.

التأقلم القانوني للمؤسسات الشيعية

حين نقرأ المؤسسات الشيعية في مصر سنجدها تخضع لقوانين الهيئات الرسمية نفسها أو غير الرسمية، بصفتها عناصر فاعلة في معظم المجالات السياسية والتربوية والاقتصادية والعائلية والصحية والثقافية والخيرية.

ومن الواضح اتخاذ خطة انتشار المؤسسات الشيعية، طابعاً سلمياً، واتباع أساليب المجتمع المدني مثل النقابات، والمراكز، والبعثات الصحفية والجامعية، وتبادل العلاقات الدبلوماسية والزيارات بين المسؤولين، ووصول الإعلام الإيراني لهذه الدول من خلال معارض الكتب وغيرها لعقد المؤتمرات، ومن الأمثلة على ذلك: إعادة ترميم المساجد الفاطمية بإشراف زعيم البهرة تحت غطاء التصوف، وإعادة ترميم ضريح السيدة زينب وبعض المساجد الأثرية، ثم أصبحت

مراكز لهم تقدم الخدمات للفقراء، والأيتام في هذه الأحياء القديمة من القاهرة⁽¹⁷⁾.

كما حاولوا نشر الكتب الشيعية لمؤلفين مصريين معاصرين مثل صالح الورداني، والدكتور السيد فهمي الشناوي، والدكتور أحمد راسم النفيس، وحاولوا أيضا إنشاء دور نشر لهم، كما لم يياسوا من محاولات إعادة إحياء «دار التقريب بين المذاهب» في مصر، عن طريق اللقاءات المستمرة مع شيخ الأزهر، ورئيس جامعة الأزهر⁽¹⁸⁾.

وينظم القانون رقم 32 المعدل برقم 84 لعام 2002م عملية تأسيس المؤسسات، بعدما حظرت الدولة المصرية، على أيّ جهة خاصة أن تمارس أيّ نشاط مما يدخل في أغراض الجمعيات والمؤسسات الأهلية دون أن تتخذ شكل جمعية أو مؤسسة أهلية وفقا لأحكام القانون المرافق ولوزير الشؤون الاجتماعية، أو من يفوضه أن يصدر قرارا بوقف هذا النشاط، واتخاذ الإجراءات اللازمة تجاه هذه الجهة وفقا لأحكام القانون المرافق .

كما يحظر على أيّ جهة غير الجهة المختصة وفقا لأحكام القانون المرافق أن تسمح بأيّ شكل وتحت أيّ مسمى، بالترخيص في مزاوله أيّ نشاط مما يدخل في أغراض الجمعيات والمؤسسات الأهلية، ويكون هذا الترخيص منعما منذ صدوره ولا يرتب أي أثر.

(17) «الشيعية» ينظمون أول احتفال بمولد السيدة زينب، المصري اليوم،

<http://www.almasryalyoum.com/node/472054>.

(18) الراصد، جزء 3، ص 284.

ويصدر وزير الشؤون الاجتماعية اللائحة التنفيذية للقانون المرافق خلال ستة أشهر من تاريخ العمل به، وإلى أن تصدر هذه اللائحة يستمر العمل باللائحة والقرارات القائمة في تاريخ العمل بالقانون المرافق بما لا يتعارض مع أحكامه⁽¹⁹⁾.

ووفق هذا القانون ظهرت المؤسسات الشيعية، وتنوعت ما بين التي لم تأخذ الشكل القانوني، والأخرى التي حصلت على المشروعية القانونية، وجاءت من حيث نوعها مدارس شيعية، ومراكز أبحاث، ودور نشر، وجمعيات أهلية.

من ناحية الجمعيات الأهلية جاءت مثلها مثل منظمات المجتمع المدني التي ازدهرت في مصر، وزاد عددها مع اعتراف دستور 1923 في مادته رقم (30) بحق المصريين في التجمع وتكوين جمعيات، إذ زاد عددها من 159 جمعية في الفترة ما بين عامي 1900 و 1924 إلى 633 جمعية في الفترة ما بين 1925 و 1944.

ومنذ منتصف السبعينيات بدأت حركة انتعاش جديدة في المجتمع المدني عمومًا والجمعيات الأهلية خصوصًا، حيث بلغ عددها حاليًا ما يقارب 16.800 ألف جمعية وتضم نحو 3 ملايين عضوًا تعمل في مختلف المجالات الاجتماعية⁽²⁰⁾.

(19) <http://shorouknews.com/news/view.aspx?cdate=17012012&id>.

(20) الهيئة العامة للاستعلامات المصرية،

<http://www.sis.gov.eg/ar/Story.aspx?sid=2486>.

التشيع.. إثبات وجود وجهود للتوسع

وقد خرجت أكثر من مؤسسة وجمعية شيعية، وفق قانون الجمعيات والمؤسسات الأهلية، دون أن تعلن عن هويتها الحقيقية حيث لم يكن اسمها مشتقاً من غرضها، وغير مُؤدِّ إلى اللبس بينها وبين جمعية أخرى تشترك معها في نطاق عملها الجغرافي.

المشكلة الحقيقية أنّ القانون المصري أجاز لغير المصريين الاشتراك في عضوية الجمعيات وفقاً للقواعد الواردة باللائحة التنفيذية لقانون المؤسسات، طالما اشتمل نظامها الأساسي على اسمها، ونوع نشاطها وميدانه، ونطاق عملها الجغرافي، وطريقة استغلال مواردها والتصرف فيها. كما أنّ القانون، بعد 25 يناير، أجاز إنشاء الجمعيات بالإخطار فقط، دون إجراءات أخرى.

ومن ناحية التعليم لم ينجح أحد من الشيعة في الحصول على مشروعية قانونية لمدرسة من مدارس ما قبل التعليم الجامعي، ويمكن أن يكون ذلك بسبب الحالة الرسمية للقوانين التي تؤكد الدور الكبير لوزير التعليم في إعطاء التصاريح، ومراقبة العملية التعليمية، والمواد الدراسية، وتوزيع الدروس، وإقرار المناهج، وأخذ رأي المحافظين، ورؤساء مجلس المدن، حسب مقتضيات الحاجة التعليمية، والتطوير للتعليم، واحتياجات البيئة المحلية.

يشار في هذا السياق إلى صدور قانون التعليم في مصر الذي يؤكد مراعاة مقتضيات تطوير التعليم وتحديثه، وبالأخص بعد إلغاء القانون رقم 16 لسنة 1969 في شأن التعليم الخاص.

أما بالنسبة لدور النشر فقد جاءت دار البداية التي أسسها صالح الورداني، ودار الهدف وفق القوانين نفسها التي فرضها قانون اتحاد الناشرين لعام 1965 والتي تطلب من الناشر أن يحصل علي سجل تجاري، ولكن يتم منحه السجل على أساس أنه مكتبة، وأن يكون حاصلًا على مؤهل عال، إلى جانب العمل في مهنة النشر مدة لا تقل عن 5 أعوام.

ورغم سهولة الحصول على ترخيص من الناحية القانونية، فإن أمن الدولة المصرية كان هو العقبة الرئيسية في وجود دور نشر شيعية، حتى أن مصر ما بعد الثورة لم تسجل وجود دور نشر جديدة.

ولكننا نشير إلى أن مصر مليئة بدور النشر غير الرسمية تعمل بشكل فعال في نشر مجموعة من المطبوعات، ويتوقع أن تساهم في نشر مطبوعات شيعية كثيرة⁽²¹⁾.

وأما بالنسبة إلى النوع الأخير من المؤسسات، وهو مراكز الدراسات والنقابات، فإن القانون يُتيح للمواطنين تشكيلها، وتشكل وفقًا للقانون وهو حق دستوري بموجب المادة (26) من القانون الأساسي، وقد أشارت لها المادة (5) من قانون العمل رقم (7) لعام 2000: (وفقًا لأحكام القانون، للمواطنين الحق في تشكيل منظمات نقابية على أساس مهني بهدف رعاية مصالحهم والدفاع عن حقوقهم).

أتاح القانون إنشاء الأحزاب بعد الثورة، بالإخطار فقط، ودون

(21) <http://digital.ahram.org.eg/articles.aspx?Serial=207679&eid=869>.

التشييع.. إثبات وجود وجهود للتوسع

الحصول على دعم مالي، وبضرورة أن يضم الحزب 5000 عضو بدلاً من 1000 عضو، بحيث يكون عدد الأعضاء 300 عضواً في كل محافظة كشرط للجديّة، وعلى هذا الأساس حاول الشيعة المصريون، إنشاء حزب التحرير بقيادة راسم النفيس، ثم حاول الدريني استكمال مشروع إنشاء حزب الغدير، وبعدها حاول إنشاء حزب البتول، وفشلت المحاولات الثلاث⁽²²⁾.

المؤسسات الشيعية تاريخ ونشاط

المدارس

لم يرد وجود أي مدرسة خاصة، في تعليم ما قبل الجامعي، سوى مدرسة واحدة، بحي الدقي بالقاهرة، يبدو أنها كانت شبيهة بمثل الكتاتيب لتحفيظ القرآن المنتشرة في الأحياء المصرية، ولم تكن مدرسة بالمعنى المعلوم، وقد أغلقتها قوات الأمن المصرية لأنها تعمل في الخفاء، وتم القبض على جميع عناصرها بتهمة نشر الفكر الشيعي بمصر، وأكد الدكتور محمد عبد المنعم البري رئيس مركز الدراسات الإسلامية بجامعة الأزهر والرئيس الأسبق لجبهة علماء الأزهر، أنّ الشيعة موجودون في مصر منذ فترات طويلة وأنّ أعدادهم آخذة في التزايد في ظل الإهمال والتقصير من قبل علماء الأزهر.

كشفت لقطات فيديو مسجلة عن تأسيس هذه المدرسة، وقالت

(22) الشرق الأوسط،

ماهر فرغلي

طالبة جزائرية في الفيديو الذي عرضه برنامج حوارى على إحدى الفضائيات المصرية، إنها جاءت من الجزائر لتلتحق بالمدرسة، لأنها تؤمن بالمذهب الشيعي وملتزمة بتعاليمه⁽²³⁾.

المراكز الحقوقية

مركز الإمام علي

أسسه المجلس الأعلى لرعاية آل البيت «عليهم السلام» الذي كان يرأسه محمد الدريني، ليكون أول مركز حقوقي في مصر يتناول الملف الشيعي والانتهاكات التي تعرضوا لها وي طرح العديد من القضايا الحقوقية في مجال الفكر والاعتقاد، واتخذ قرار إنشائه في مجلس جمعية حوار⁽²⁴⁾.

من مؤسسي المركز حسن الجعفري، الذي تولى رئاسته، وكان أحد أعضائه أحمد محمد صبح، بعد خلافات ضخمة مع الدريني، وأصبح مديره، ثم قدم لنيابة أمن الدولة العليا بتهمة ازدراء الأديان، على الرغم من أنه محسوب على التيارات الإسلامية الجهادية.

(23) <http://www.alarabiya.net/articles/2012229775/01/08/.html>

(24) صحيفة المال، 2007/1/22.

المراكز البحثية

أ - مركز علوم آل البيت:

دشنه عدد من الشيعة المصريين ليكون أول مركز علمي شيعي في تاريخ مصر تحت اسم «مركز علوم آل البيت عليهم السلام»، ويقع بشارع مجلس الأمة، على بعد 50 متراً من مقر مجلس الشعب، بجوار مقر مشيخة الطريقة العزمية بحى السيدة زينب، التي يتزعمها المهندس علاء الدين محمد ماضي أبو العزائم.

شارك في تدشين المركز الدكتور عاصم فهمي، رئيس مجلس إدارة مركز علوم آل البيت، والدكتور أحمد راسم النفيس الأستاذ بجامعة المنصورة، والمستشار الدمرداش العقالي، وهو القاضي الشيعي الوحيد في مصر، ونائب رئيس مجلس الدولة الأسبق، والشيعي المصري محمد سليمان، الرئيس الأسبق لمركز علوم آل البيت، الذي تم القبض عليه قبل ثورة 25 يناير ضمن خلية شيعية تروج للمذهب الشيعي.

حضر الافتتاح وتدشين المركز مرجعية شيعية بحرينية حاصل على الجنسية البريطانية ودخل مصر، بجواز سفر بريطاني لا بجواز بحريني.

وسبق للمركز أن وجه دعوة إلى الشيخ حسن نصر الله، الأمين العام لحزب الله لزيارة مصر، وإلقاء خطاب في جامعة القاهرة، عقب حرب لبنان في عام 2006. ووافق نصر الله على الزيارة وحصل

ماهر فرغلي

مندوبه الشخصي على تأشيرة من السفارة المصرية في بيروت لزيارة مصر ودخل مصر فعلياً للتسيق المسبق الزيارة، إلا أن الجهات الأمنية ألغتها قبل وصوله بساعات بحجة «الدواعي الأمنية».

من أبرز أعضاء مركز علوم آل البيت، الشيخ حسن شحاتة الذي تم القبض عليه عام 1996 في قضية التنظيم الشيعي الكبير، التي عرفت إعلامياً بـ«تنظيم الخميني رقم 6». وكان شحاتة إماماً لمسجد الرحمن «مسجد كوبري الجامعة» وكان نشيطاً في استغلال خطبة الجمعة للترويج للفكر الشيعي، كما أنه كان يقوم بجولات كثيرة خارج مصر كالولايات المتحدة والإمارات. ومن أعضاء المركز أيضاً محمد يوسف إبراهيم الذي ألقى القبض عليه سنة 2002 بتهمة زعامة تنظيم شيعي في محافظة الشرقية.

ب - مركز يافا للدراسات والنشر:

لم يعترف مؤسسو المركز بتبعيته للشيعية بشكل كامل، غير أنّ اهتمامته بالملف الإيراني، وحزب الله، وإيمانه بعودة الدولة الفاطمية، أكد هذه التبعية بما لا يدع مجالاً للشك.

يشرف على المركز الدكتور رفعت سيد أحمد، وبعض الأكاديميين، وخريجي كلية الاقتصاد والعلوم السياسية.

وعبر برامج المركز البحثية يساهم المركز بمحاولات طرح تدويل الأماكن المقدسة، وإدارتها بين الدول الإسلامية، ومهاجمة مواقف

التشيع.. إثبات وجود وجهود للتوسع
المملكة العربية السعودية.

ج - مركز النور للدراسات الإنمائية :

أسس المركز محمود جابر، وهو أحد قيادات الشيعة في مصر، وكان قد شارك في مناظرات «كلمة سواء» على قناة الصفا، عام 2009، مع الشيخ عدنان المرعور.

وجابر عضو باللجنة الشعبية لدعم الشعب الفلسطيني، وأسس هذا المركز ليعنى بالدراسات الشيعية، وليكون منبراً للتواصل مع المفكرين والباحثين.

جمعيات أهلية واجتماعية

بالنسبة للجمعيات فإن معظمها، مُشهر في وزارة الشؤون الاجتماعية، ويحمل أكثر من 70 % منها مسمى، باسم الإمام علي، أو الصفاء المحمدي.

جمعية آل البيت: تأسست الجمعية عام 1973م، في شارع الجلاء بالقاهرة، وهي تعتبر امتداد لجمعية التقريب، ويعتبر من أبرز عناصرها العراقي المقيم بالقاهرة، قبل ترحيله، طالب الرفاعي.

أقامت الجمعية التي جعلت أول أهدافها التقريب بين السنة والشيعة، علاقات ضخمة مع عدد من الهيئات الإسلامية وفي مقدمتها جماعة الإخوان المسلمين بمصر، وأسست مسجداً كان يرفع به الأذان

بـ«حي على خير العمل»⁽²⁵⁾.

استندت الجمعية في عملها إلى فتوى الشيخ شلتوت شيخ الأزهر السابق، بجواز التعبد على المذهب الجعفري، وأصدرت عددًا من الكتب والمجلدات، وكانت توزعها في بعض الأحيان مجاناً، ومنها «المراجعات»، و«عليّ لا سواه».

آخر رئيس للجمعية بعد إغلاقها على يد جهاز أمن الدولة السابق الذي تحول في ما بعد إلى الأمن الوطني، هو محمد عزت مهدي، وهو من المرجعية الشيرازية⁽²⁶⁾.

وقد أنشئت جمعية الزهراء لتنمية المجتمع بالكاجوج، وهي تقوم بدورها في رعاية الأيتام وتحفيظ القرآن الكريم وإقامة الندوات الدينية والعلمية والصحية ومساعدة المقبلين على الزواج ومساعدة الأرامل بصرف رواتب شهرية لهم ومساعدة ذوي الاحتياجات الخاصة وإقامة فصول تقوية للطلبة وفصول محو الأمية ومشغل لتعليم الخياطة للفتيات ودور حضانة وتوفير الخدمات الصحية من خلال إحضار قوافل طبية مجهزة من خلال الجمعية واستخراج بطاقات الرقم القومي وشهادات الميلاد بالتعاون مع السجل المدني وتكريم الطلبة المتفوقين دراسياً والأم المثالية والاحتفال بجميع الأعياد والمناسبات الدينية وتلبية طلبات أهل القرية والقرى المجاورة وذلك على نفقتها الخاصة من خلال الجمعية.

(25) تقرير مركز ابن خلدون للأقليات لسنة 1999، ص 182.

(26) تقرير مركز بن خلدون للدراسات الإنمائية عام 99 عن الأقليات، ص 184.

التشيع.. إثبات وجود وجهود للتوسع

ب - جمعية الصفاء الحمدي:

أسسها محمد صلاح زايد، وهو من أبناء قرية الكاجوج مركز كوم إمبو محافظة أسوان، وقد عاد من الكويت، وأنشأ مجموعة من المشروعات الخدمية داخل القرية والقرى المجاورة لها وأقام مقر للجمعية على نفقته الخاصة، ثم بنى مجمعاً إسلامياً كاملاً «ساحة الرسول الأعظم»، ليكون مركزاً للمذهب الجعفري⁽²⁷⁾.

ج - جمعية الحوراء الخيرية:

وهي الجمعية التي أنشأها المجلس الأعلى لرعاية آل البيت الذي يرأسه محمد الدريني عام 2000م مع بعض الأشراف في الصعيد، وذلك في مواجهة نقابة السادة الأشراف التي امتطأها الإخوان، وفق قوله⁽²⁸⁾.

أنشئت الجمعية، تحت رقم (5067) لتعمل في مجالات ثقافية واجتماعية، ووضعت من أولى أهدافها تدريس المذهب الشيعي.

وقال الدريني «من خلال الجمعية قررنا إنشاء مركز فاطمة الزهراء، لإيواء أطفال الشوارع، وراسلنا الوزارة للموافقة على إعطاء أرض للجمعية في المناطق المتاخمة للعتبة أو الأميرية، وأصدرت وزارة

(27) <http://www.ahbalsafa.org>

<http://alzahraa-society.montadamoslim.com/t195-topic>

(28) مستندات خاصة بالجمعية، غير منشورة، وملف خاص حول نشاط «تجمع البتول» غير منشور.

الشؤون الاجتماعية قراراً باستبعاد كل من محمد رمضان، وأحمد عبد الحليم، من مجلس إدارة الجمعية».⁽²⁹⁾

دور النشر

وعلى اعتبار أن المكتبات لها دور كبير داخل الوطن المصري، وعبر القانون الذي يسمح بإنشاء دور نشر، استثمر الشيعة ذلك بإنشاء عدد منها بدأها علي البدري الذي جاء إلى الأزهر لإكمال دراسته العليا، بعد أن كان درس في بغداد، وكان سنياً وتشيع، وخلال هذه الفترة استطاع أن يستقطب عدداً من خريجي الجامعة مثل حسن شحاتة وحسين الضرغامي⁽³⁰⁾.

وجاءت دور النشر الشيعية المصرية، عبر نتائج رحلات الشيخ تقي الدين القمي، في فترة الأربعينات، من القرن الماضي، بعد نجاحه في تأسيس دار التقريب، وما تلا ذلك من زيارات لمرضى الرضوي، ومحمد جواد مغنية، اللذين سهلا طباعة مجموعة من الكتب.

يشار إلى أنه منذ الثمانينات من القرن الماضي انتشرت الكتب الشيعية، عبر معرض القاهرة الدولي، والمركز الثقافي الهولندي الذي حرص على طباعة سلسلة الفتوحات العزمية، الصادرة عن طريقة أبي العزائم.

(29) أنظر حوار الدريني، مع صحيفة أقباط متحدون،

<http://www.copts-united.com/article.php?I=528&A=21244>

(30) هشام آل القطيطة، واكتشفت الحقيقة، ص66.

أ- مكتبة النجاح:

هي أولى دور النشر الشيعية، التي أسست في القاهرة، على يد مرتضى رضوي عام 1954، وكانت دار النجاح تهتم بشكل ضخم بنشر الكتب التي تتحدث عن عقائد الشيعة.

وقد نجح الرضوي في إقناع دار الكتب المصرية، بعمل جناح لمنشورات دار النجاح والكتب الشيعية فيها.

ويتحدث الدكتور محمد عمارة عن طالب شيعي آخر في بداية السبعينات من القرن الماضي، حيث قال: نبهني بعض الأصدقاء إلى مكتبة شيعية كانت في حيّ الدقي بالقاهرة، يبسر صاحبها للراغبين من الباحثين والقراء الاطلاع على المصادر والمؤلفات في الفكر الشيعي، كانت هذه المكتبة تشمل قاعة كبيرة في منزل صاحبها، حجة الإسلام السيد طالب رفاعي، وهو عراقي يعيش في مصر لإنجاز دراساته العليا، لكنه كان ينشر التشيع⁽³¹⁾.

ب- دار الهدف:

أسسها صالح الورداني، أحد قيادات الشيعة، وقد تحول من المذهب السني إلى الشيعي، بعد أن اعتقل فترة طويلة مع الجماعات الإسلامية، ثم خرج إلى العراق وإيران، وعاد ليؤسس دار النشر لتنتشر له مؤلفاته حول كيفية تحوله إلى المذهب الشيعي.

(31) الشيعة في مصر.

ماهر فرغلي

يقول الورداني: «كانت حركة التشيع في حاجة إلى الدعم الإعلامي، لصد الحملات الضارية التي تشنها الدولة من جهة، وتوعية المواطنين وتوجيههم من جهة أخرى، وبحكم خبرتي في الحقل الإعلامي حملت على كاهلي هذا الدور بعد توقف دار الديار.

وما تزال دار الهدف مستمرة حتى اليوم، تمثل نقطة التقاء للشيعية، وحسينية لهم، يحتفلون فيها بيوم عاشوراء، ويوم الغدير، والحوار مع تيارات سياسية مثل التيار الناصري⁽³²⁾.

ج- دار التقريب بين المذاهب الإسلامية :

تم تأسيسها في الأربعينيات في القاهرة بغية التقريب بين المذاهب: الشيعي والسني، وقد تولى الأمانة العامة لهذه الدار محمد تقي القمي وأصدرت الدار مجلة رسالة الإسلام.

د - دار بن لقمان :

أسست دار بن لقمان في محافظة المنصورة، وصاحبها هو أنبيل خالد، وقد استضافت أولى المناظرات بين الشيعة والسنة، وهي تنشر كتباً حول العقيدة الشيعية.

ساحات الذكر

وهي أماكن تستخدمها الطرق الصوفية، في إقامة الموالد،

(32) صالح الورداني، رحلتي من السنة إلى الشيعة، ص183، دار الهدف.

التشيع.. إثبات وجود وجهود للتوسع

والذكر، والاحتفالات بآل البيت، ويستخدمها الشيعة في الدعوة إلى مذهبهم، وفي العادة تصبح الساحات مقراً للغرباء والضيوف.

وفي الآونة الأخيرة، أصبحت الساحات تستخدم للترويج للشيعة، وتحديداً في ساحات العصبة الهاشمية، التي أسسها أبو الفتوح العربي في أسوان، وساحة النبي الأعظم، التي أسسها صلاح زايد.

وكذلك ساحات الأسرة الدندراوية في مدينة قنا، التي أسسها أبو الفضل الدندراوي، وساحات طريقة «أبو العزائم» في أسوان، وساحة الطريقة النورانية في مدينة إدفو.

الساحة البيومية :

أسس الساحة محمد بن إسماعيل الليثي النمر وتضم مكاناً لمجالس العلم واستراحة للنوم (يأتيها زوار من كافة محافظات مصر)، وهناك مكان مخصص للسيدات، كما تم تخصيص مكان لإعداد الطعام لفقراء المسلمين وهناك جلسة علم كل ثلاثاء.

تفردت بقاء مع شيخ الطريقة البيومية السيد محمد بن محمد بن إسماعيل الليثي النمر الذي يقوم على خدمة الساحة الليثية الحسينية⁽³³⁾.

(33) http://www.altanweer.net/articles.aspx?id=201030018&selected__id=-10215&page__size=5&links=true

مساجد وزوايا

شهدت مدينة 6 أكتوبر تجمعاً لمئات العراقيين، الذين طالبوا بمساجد خاصة بهم لكن السلطات المصرية رفضت ذلك⁽³⁴⁾.

وقع هذا الحدث قبل الثورة بعامين، لكنه كان يدل دلالة واضحة، على انتشار التشيع في المدينة الجديدة، وعلى ما سيكون الوضع عليه بعد 25 يناير، وقد قدم الدكتور جمال زهران، عضو مجلس الشعب المستقل ساعتها، طلب إحاطة إلى رئيس مجلس الوزراء يطالب الحكومة بتوضيح مطالب سبعة آلاف شخص يطالبون بإنشاء مسجد في 6 أكتوبر، بعدما لجأ عدد منهم إلى مجلس آل البيت للضغط على الحكومة المصرية، لإنشائه⁽³⁵⁾.

والغريب أنه في أحد أعداد صوت آل البيت، إعلان عن تأسيس شركة البحر الأحمر للنشر والخدمات الإعلامية، وإعلان آخر عن تأسيس شركة آل البيت للاستيراد والتصدير والخدمات المتعددة.

وفي ظل حالة الاستقطاب والصراع داخل البيت الشيعي المصري، حدث صراع قبل الثورة على تلك المؤسسة الصغيرة، وتولى رئاستها بعد اعتقال الدريني، صالح الورداني، وأحمد راسم النفيس، وعلى أحد صفحاتها قدموا البيعة لمبارك، ثم توقفت الصحيفة إلى الآن، وهناك محاولات لعودتها بعد الثورة.

(34) صحيفة الفجر المصرية، 25 / 6 / 2007م.

(35) صحيفة الفجر المصرية، عدد 223، 2009م.

مؤسسات وأحزاب

حزب التحرير:

يعدّ حزب «التحرير» الذي حمل شعار «حرية- عدالة- وحدة» أحد الواجهات السياسية للتيار الشيعي الناشط في مصر، والذي أسسه كلٌّ من الدكتور أحمد راسم النفيس والطاهر الهاشمي الأمين العام لـ «قوى آل البيت»، والأستاذ محمود جابر، ويصف الحزب نفسه بأنه حزب سياسي ولد من رحم الثورة وأنه منحاز إلى الفقراء والمستضعفين وكل حركات التحرر الوطني والمقاومة.

ويعلق الأستاذ علي عبد العال على مثل هذا الجانب قائلاً: «حزب التحرير لم يؤسس بعد، بل رفضه القضاء، لكنهم ما زالوا يحاولون الحصول له على شرعية»، منوهاً بأنه على الرغم من كل هذه الجهود التي تبذل من أجل تشيع المصريين إلا أنه لا يوجد مؤشر على نجاحها في تحقيق شيء يذكر، والمصريون ولله الحمد متمسكون بعقيدتهم ولديهم من الوعي الكافي للوقوف على حقيقة الجهود الإيرانية الشيعية، معتبراً أنّ الشيعة ليسوا جزءاً من الثورة، لأنّ المصريين كلهم مسلمون سنة، ونحن لا نعرف جهداً يمكن ذكره لشيعي في الثورة، وما يقوله الهاشمي فهو كذب صريح ومعظم الصوفية وجميع المتشيعه في مصر دعموا مرشح الفلول أحمد شفيق⁽³⁶⁾.

(36) <http://www.assakina.com/center/parties/16194.html#ixzz2GvpCbfski>

حزب الغدير:

أسّسه الناشط الشيعي محمد الدريني، رئيس تجمع آل البيت الوطني «البتول» وانتهى من إجراءات تأسيسه، إلا أنّ خلافات دبت بين مؤسسيه. وتجنباً لانشقاق كبير، أسند بعض المؤسسين ومنهم الدريني، عملية إنشاء حزب آخر يسمى «البتول» للمحامي عادل الشاذلي، وقال إنّ الاسم يحمل المشتركات المسيحية والإسلامية، والوطنية، وتقدم للجنة شؤون الأحزاب لطلب الترخيص⁽³⁷⁾.

وقال الدريني إنّ حزب الغدير رغم أنّ اسمه مرتبط باسم الغدير الشيعي إلا أنه ليس حزبا دينيا أو مذهبيا للشيعية المصريين، ولكنه حزب سياسي مثله مثل أيّ حزب مصري.

بالعودة إلى حزب الغدير، فإنّ مؤسسه الأول الدريني نفى أن يكون حزبا شيعياً، وقال إنّ أتباع «فاطمة البتول» هم أشقاء لأتباع «مريم البتول»، وإنه لن يكون هناك أي تمييز بين مسلم أو مسيحي⁽³⁸⁾.

وقال الدريني الذي حضر احتفالا للشيعية، بكفر الجبل بالهرم بمول الإمام الحسن العسكري، الإمام الاثني عشر عند الشيعة الإمامية، بمنزل القيادي الشيعي حسن شحاتة، «إننا نسعى من خلال حزب الغدير إلي عودة مصر إلى مكانتها في العالمين: العربي

(37) في حوار خاص مع الدريني.

(38) <http://www.hoqook.com/38006>

التشيع.. إثبات وجود وجهود للتوسع

والإسلامي، بعيداً عن عملاء الغرب والشرق»⁽³⁹⁾.

وقد حاول الغدير، أن يضع قدمه بشكل كبير في الحياة السياسية، رغم أنه غير مصرح له رسمياً بالعمل، وأعلن عن دعمه الكامل لخيرت الشاطر، مرشح الإخوان المسلمين لانتخابات الرئاسة⁽⁴⁰⁾.

كما دعا الغدير بعد ثورة 25 يناير، عبر بيان له، إلى تجنيد نحو مليون شاب في جيش شعبي، تحت إشراف قيادة مشتركة، من الجيش والشرطة، والشعب، لتحقيق أعلى درجات الأمن، وتمويل هذا الأمر من فرض 10 جنيهات على كل فاتورة للكهرباء، ورخص السيارات⁽⁴¹⁾.

شركات خاصة

لم يبدُ للشيعة المصريين، أيّ شركات خاصة (ليست لأفراد)، قبل الثورة، كما لم يظهر لهم أيّ مشاريع اقتصادية بعد الثورة، ويمكن أن يكون ذلك بسبب السرية التي يحيطون بها كل أعمالهم، التي اعتادوها. غير أنّ شركة الزهراء للتجارة والخدمات، اتضح من خلال دعمها لمشروع مسار آل البيت، أو ما يسمى بمشروع التشجير، الذي قدمه المجلس الأعلى لآل البيت، لتشجير كل ما يحيط بالعتبات المقدسة، وإقامة منشآت سكنية حولها، واستغلال ذلك في السياحة الدينية إلى مصر⁽⁴²⁾.

(39) <http://www.moheet.com/201223/02/>

(40) <http://www.shorouknews.com/news/view.aspx?cdate=01042012&id>

(41) بيان تم توزيعه، مرفقة مع الورقة البحثية.

(42) وثيقة خاصة لشركة الزهراء.

مؤسسات إعلامية

نجح الشيعة في مصر قبل الثورة وبعدها في إنشاء منابر إعلامية لهم، ومؤسسات صحفية، وإن لم تكن بالشكل المؤسسي المعروف للعمل الصحفي بمصر، إذ صدرت لهم صحيفة صوت آل البيت، التي تمت مصادرتها ومنعها من الإصدار في زمن مبارك، وكذلك أنشئت مجلة آل البيت برئاسة صالح الورداني.

وقال الدريني: «إنه لو أتاحت الفرصة لصحيفة آل البيت الظروف الطبيعية لأيّ صحيفة لساعدت في توضيح الحقيقة». وأكد د. نبيل عبد الفتاح أن القواعد الدستورية القائمة تعطي الحق في حرية وجود صحف شيعية، في إطار القانون»⁽⁴³⁾.

مؤسسات أخرى «الحرس الثوري»

يؤكد الكثيرون أنّ الشيعة المصريين شكلوا حرساً ثورياً أعلن عن وجوده محمد الحضري، في فيديوهات على الشبكة العنكبوتية، وفي تسجيل صوتي حصلت عليه «استنكر ما نشر حول زيارة نجاد لمصر، والمد الفكري الشيعي، وقال: «هذا موش كلام سليم، فنحن نحافظ على شخصياتنا ولن نسمح لأحد أن يوقف من تحركاتنا»⁽⁴⁴⁾، طالباً من الدكتور أحمد مهنا خبير طب الأعشاب، والحقوقى المعروف، أن ينفي ما قاله بصحيفة الوطن إنه يوجد رحلات للتجنيد، وإنّ هناك

(43) صحيفة الجماهير المصرية، 2006 / 11 / 29م.

(44) تسجيل صوتي.

التشيع.. إثبات وجود وجهود للتوسع

إستراتيجية إيرانية للتغلغل في مصر؟ وإنها تتخذ من المذهب الشيعي والرحلات إلى العاصمة طهران طريقاً؟⁽⁴⁵⁾.

وفي تسجيل صوتي قال مهنا إن الأمين العام للحرس الثوري المصري هو محمد الحضري، ويوم كنا في طهران عرض عليّ ضابط المخابرات الإيرانية «يونس» أن أنزل في مقر وزارة الخارجية، وأن تكون لي مميزات كبيرة، وساعتها اجتمع الحضري بالحرس الثوري الإيراني في غرفة مجاورة للمقرئ الشيخ محمود الدالي، في الدور التاسع من الفندق الذي نزلنا فيه، وحينما رأيناهم فضوا اجتماعهم.

وأضاف أن الحضري حينما عاد للقاهرة، أعلن عن الحرس الثوري المصري، الذي دعا لاقترام السفارة الأمريكية يوم 25 يناير.

وأكد «مهنا» أن الحضري كان موجوداً في اجتماع نجاد مع الشيعة داخل منزل القائم بأعمال السفارة الإيرانية مجتبي أماني، يوم الخميس ومعهم حيدر حداد، رجل الحرس الثوري الإيراني في مصر، وأحد مؤسسي فيلق بدر بالعراق، مشيراً إلى أن الرئيس الإيراني حينما دخل إلى مسجد السيدة نفيسة أعطى لكل واحد من العمال الموجودين 1000 دولار، وهذا أمام كل الحضور، وحينما رفض أحدهم قالوا له: لا بد أن تأخذ، فهو هدية لخدام الضريح، متسائلاً لماذا لا يعطي المحرومين والمعذبين في سوريا؟⁽⁴⁶⁾.

(45) حوار مع الدكتور أحمد مهنا بصحيفة الوطن.

<http://www.elwatannews.com/news/details/127290>

(46) الكاتب لديه التسجيلات الخاصة بالحرس الثوري، وتهديدات القائم بأعمال السفارة توفيق صمدي.

ماهر فرغلي

وحيدر حداد هو طبيب، عراقي حاصل على الجنسية الأمريكية، وكنيته أبو إيمان، تربى على يد التيجاني، صاحب كتاب «ثم اهتديت»، وكان في سوريا، أثناء الثورة، وهناك التقى بعض المصريين، ومنهم أحمد صبح، عضو الجماعة الإسلامية السابق الذي تشيع، وأصبح مسئولاً عن تسفير المصريين إلى إيران، وتجنيد الشباب.

عاد حيدر حداد إلى مصر، وأصبح لا يفارقه الطلبة البحرانيين، حيث شكل منهم مجموعة «دعاء كميل»، التي تم توزيع أفرادها على البلدان العربية.

ومؤخراً نشر موقع اليوتيوب العالمي فيديو مصورا، لحيدر حداد وحوله الطلبة المصريون والإيرانيون، وهم في بكائية حول ضريح الحسين بالقاهرة، يضربون على صدورهم، وينشدون أشعارهم الشيعية.

قال أحمد مهنا لقد قدمت تسجيلات لجهات سيادية، بكل التفاصيل عن تجنيد المصريين، ومخططاتهم لإشاعة الفوضى في مصر عن طريق عملائهم، ولكن إلى الآن لا يوجد أي رد رغم أنهم يعرفون من الذي قتل جنودنا في رفح، ومن الذي كان موجوداً في التحرير وشارك في قتل الثوار، ومن الذين يسافرون كل 20 يوماً إلى طهران، مشيراً إلى أحمد صبح، وتاج الدين هلال، مسؤولي التجنيد والتسفير للمصريين.

وأكد الشيخ محمود الدالي أن الحرس الثوري الإيراني دخل

التشيع.. إثبات وجود وجهود للتوسع

إلى مصر بحجة أنهم إيرانيون يريدون العلاج، وأنه رأى ملفات مع أحد المتشيعين فلما سأله قال إنهم جاؤوا ليعالجوا في القاهرة، رغم أن الطب في إيران متقدم جداً، ولكنهم جاؤوا للالتقاء بفيلقهم المصري بالقاهرة.

المفاجأة كانت متمثلة في محمد الحضري الذي بدا في فيديو مصورا، وهو يعرض بيانا للحرس الثوري المصري، وهو يؤكد أنهم اتخذوا الخميني مُلهماً لهم، وأنهم يمكن أن يستخدموا السلاح لحماية الثورة، قال لـ«البوابة نيوز» في اتصال هاتفي، إنه عضو بالحرية والعدالة، وإن الحرس الثوري كانت فكرة وتم إلغاؤها، وكانت على هيئة اللجان الشعبية، وحينما أكدنا له أن ما معنا من صور تؤكد ذهابه لطهران وحمله لصورة الخميني قال: «رحت عن طريق دعوات، وذهبت بطريقة عادية، وحملي لصورة الخميني، ليس دليلا على تبعيتي لإيران، وأنا شايف إن مرسى يعمل علاقات بشكل واضح، سواء سياسية أو اقتصادية».

الحضري أضاف إنه لا بد أن نوجد بديل للمقاومة، وألا نعارض إيران دون تفكير، مثل الذين يقولون عنها إنها أشد عداءً لنا من اليهود.

ونفى وجود علاقة بين تنظيمه والحرس الثوري الإيراني وإن لم ينفِ استرشادهم بما حققه الحرس الثوري في إيران من دفاع عن الثورة الإيرانية، وأمله في مقاومة اقتصادية وسياسية، وأن تعود مصر إلى دول الممانعة، قائلا إن مكانها الطبيعي في مقاومة المشروع الصهيوني.

بوابات المؤسسات الشيعية

استطاعت المؤسسات الشيعية أن تستثمر، عبر بوابات متعددة، التغلغل في الخريطة المصرية، وفق ما قاله جاسم مرغي: «الجدير بالقيادات الشيعية استثمار عواطف كريمة لنشر الفكرة، في هذا المناخ المناسب، وقد آن الأوان للشيعية أن يبشروا بفكرتهم»⁽⁴⁷⁾.

هذا وكانت الطرق الصوفية حاضنة لمؤسسات شيعية، وكذلك لطرق التفكير والممارسة لطموحات الشيعة المصريين وآمالهم، لئن كان ذلك يتم في بعض الأحيان بشكل عفوي، فإن بعضها وُظف للزحف والتغلغل، ومثلت الطرق الصوفية قنطرة قانونية لعمل بعضها، في ظل انتشار الصوفيين بمصر.

وحذر الشيخ محمد على الجوز ومفتي جبل لبنان في وقت سابق من نشر الفكر الشيعي داخل جمهورية مصر عبر دعوة رموز الطرق الصوفية لإيران وإغرائهم بالمساعدات المالية، لتحويلها إلى بلد طائفي ونشر فكرة الحروب الأهلية كما يحدث الآن في العراق⁽⁴⁸⁾.

وسنجد الدليل في حديث الدريني عن تحولات من السنة في مصر إلى المذهب الشيعي، مُفصِّحا عن تقديرات أمنية بوجود حوالي مليون شيعي متسترين وراء 76 طريقة صوفية، بينما تصل التقديرات

(47) أسامة شحادة وهيثم الكسواني، الموسوعة الشاملة للفرق المعاصرة، مكتبة مدبولي، ص133.

(48) مصطفى أبو عمشة، هل الطرق الصوفية في مصر بوابة التشيع؟ السكينة،

<http://www.assakina.com/center/parties/16194.html#ixzz2Gvq67v2x>

التشيع.. إثبات وجود وجهه للتوسع

الأمريكية بعدد الشيعة المصريين بوجه عام إلى حوالي 1 % من إجمالي المسلمين في مصر، أي حوالي 750 ألف نسمة⁽⁴⁹⁾.

ودعا الدكتور أحمد الطيب، شيخ الأزهر، قيادات الطرق الصوفية ونقابة الأشراف، لحضور لقاء علمي، لكتابة بيان يوضح فيه موقف الشرع من الأقلية الشيعية في مصر وشعائرها، ومنها إقامة «الحسينيات الخاصة» بها⁽⁵⁰⁾.

سنجد عددًا من مشايخ الطرق الصوفية وقياداتها ومنهم الشيخ محمد المجيد الشرنوبى، والسيد عبد الباقي الحبيبي، والشيخ سيد محمد الشهاوى، والشيخ هاني إمبابي، وعيسى الجوهرى، ومصطفى القاضي، ونضال المغازى، وأحمد أبو العزائم، وآخرين، وهم رؤساء طرق صوفية، يميلون بشكل كبير ومدعوم إلى الشيعة، بل يعارضون الشيخ عبد الهادي القصبى.

وعلى سبيل المثال مدّ الشيعة جسور التواصل في قبائل الأشراف بسيناء مع قبائل أولاد سعيد، وهناك أقاموا ساحة أمام «مخشع الولي».

وعن طريق «الأحفاد النورانية» و«العصبة الهاشمية» أقاموا «ساحة النبي الأعظم» للاحتفالات والصلوات.

وسنجد ساحة محمد بن إسماعيل الليثي النمر التي تضم

(49) <http://www.alarabiya.net/articles/200517156/26/09/.html>

(50) <http://www.almasryalyoum.com/node/851131>

ماهر فرغلي

مكاناً لمجالس العلم واستراحة للنوم (يأتيها زوار من كافة محافظات مصر)، وهناك مكان مخصص للسيدات، كما تم تخصيص مكان لإعداد الطعام لفقراء المسلمين وهناك جلسة علم كل ثلاثاء.

وساحة الطريقة البيومية حيث يقوم السيد محمد بن محمد بن إسماعيل الليثي النمر على خدمة الساحة الليثية الحسينية.

ويعتبر السلفيون أنّ سماح الرئاسة المصرية بالسياحة الإيرانية هي من أهم بوابات التشيع، فأعلنوا الحرب عليها وكان من أهم حملاتهم، هي حملة «الشيعة هم العدو فاحذرهم» غير أنّ بعض الحملات تتسم بنوع من الخلط والتخبط في الشعارات والأهداف، ففيما يرفع بعضهم شعار الرفض التام للمد الشيعة بصفة عامة، يركز آخرون على التشيع الإيراني بالتحديد، وقد تجلّى ذلك بوضوح في الهجوم الذي تعرض له محل إقامة القائم بالأعمال الإيراني في القاهرة من لدن بعض أتباع هذا التيار، وكذا تصريح الشيخ الزغبى على غرار مناظرة تلفزيونية جمعته بالقائم بالأعمال الإيرانية في مصر.

أما «نقابة الأشراف» التي أنشئت بالقرار الجمهوري 54 لعام 91، تحت رئاسة السيد محمود ياسين، ومن بعده أحمد كامل ياسين، فكانت من إحدى البوابات المهمة التي استخدمت لإنشاء مجموعة من المؤسسات، ونشأ المجلس الأعلى لرعاية أهل البيت من خلالها، وأعلن عنه في مؤتمر جماهيري، بالبرلس، وكان إطاراً لاحتواء الأشراف المنتسبين إلى أهل البيت، والاستفادة من تمويلهم، وعلى

التشييع.. إثبات وجود وجهود للتوسع

سبيل المثال عقب طرح مشروع العتبات المقدسة، وهو مشروع سياحي شيعي للاستفادة من مزارات آل البيت، تم استخدام نقابة الأشراف، لتساهم بإيراداتها في دعم المشروع، وألقي القبض بسبب ذلك على المتشييع عادل النشرتي، وحمام عمر، وأحمد جمعة.

تكتظ المحافظات المصرية بالمشاهد والمزارات الشيعية، التي تهفو إليها قلوب الشيعة، وليس ذلك في مصر وحدها، بل في مراكز الشيعة المتنوعة، وأهمها إيران، التي تضع مصر في أولوياتها، بسبب هذا الأمر، وهذا أيضاً ما جعل بعضهم يطرح «العتبات المقدسة» ك«مشروع سياحي-اقتصادي»، يمكن أن يجلب الملايين من السياح الشيعة.

سنجد في المزارات الشيعية خليطاً تاماً بين أضرحة آل البيت التي تعتبر مزارات صوفية يتفق في حبها المصريون جميعاً المزارات أو نفسها التي يعدها الشيعة رموزاً لمذهبهم؛ وذلك مثل ضريح السيدة زينب والحسين والسيدة نفيسة والرفاعي والشافعي بالقاهرة، وضريح السيد البدوي بطنطار والمرسي بالإسكندرية والدسوقي بكفر الشيخ والقناوي بقنا.

وهناك أضرحة ومشاهد خاصة برموز الطرق الصوفية الكبرى مثل ضريح سلامة الرضى، والشاذلي، وأبي العزائم، وصالح الجعفري، وغيرهم.

كما يكتظ جنوب مصر «الصعيد» بعشرات الأضرحة حتى أنه

ماهر فرغلي

يصعب أن توجد قرية من قرى الصعيد لا يوجد بها ضريح أو فقيه أو على حدّ تعبير العامة «وليّ».

وفي أسوان وحدها يوجد أكثر من عشرة أضرحة ينتسب أصحابها لآل البيت ترفرف من فوقها الأعلام الحمراء والخضراء، كما يوجد بها ثلاثة مشاهد للسيدة زينب.

لكن أهم المزارات الشيعية، هو ضريح «مالك بن الأشتر» قائد جيوش علي بن أبي طالب رضي الله عنه، والموجود قبره بالقلج بالقرب من بلدة الخانكة ضمن حدود مدينة عين شمس القديمة.

وأكثر زوار مرقد مالك الأشتر من العرب والأجانب، حيث إن شهرته محدودة وسط المصريين ولذلك يلقبونه بالشيخ العجمي، وتمّ تجديد مرقد مؤخرًا على أيدي طائفة البهرة الإسماعيليين، ودفن إلى جواره شقيق شيخ البهرة، بالمرج في شارع الأشراف بالقرب من مسجد السيدة نفيسة.

وثاني أهم المزارات هو مشهد «محمد بن أبي بكر» الذي كان والياً على مصر، وقصته معروفة مع عثمان بن عفان، الذي قتل بعد ذلك، ومثل بجثته في مصر، ويوجد في ميت دمسيس بأجا.

أما مرقد السيدة نفيسة بنت الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب، فهو مزار مهم لهم، حيث دفنت في منزلها الذي هو قبرها الآن وأراد زوجها أن يحملها ليدفنها في المدينة مع أجدادها،

التشييع.. إثبات وجود وجهود للتوسع

فسأله أهل مصر أن يتركها لتدفن عندهم من أجل التبرك بها، وكان الملك الناصر محمد بن قلاوون هو الذي أمر بإنشاء مشهدها الحالي عام 714هـ / 1314.

ويعتبر مشهد رأس زيد بن علي، مزارا مهماً، وهو من يقال عنه زين العابدين، وقد سرقه أهل مصر ودفنوه في موضعه الحالي وقدم به إلى مصر عام 822هـ / 1419م أبو الحكم بن الأبيض القيسي في جمادى الآخرة.

وهناك أيضاً مشهد كلثوم بنت القاسم بن محمد بن جعفر الصادق وكانت من الزاهدات العابدات ومدفنها يقع بمقابر قريش بجوار مسجد الشافعي بمصر.

والكثير من المراقد والمزارات بالقرب من مشهد السيدة نفيسة، من أشهرها مرقد السيدة رقية بنت الإمام علي الرضا، وينسبها العامة إلى الإمام علي.

وبالقرب من مرقد السيدة رقية هناك مشهد مشهور هو مشهد السيدة سكيبة بنت الحسين ويحتفل الشيعة والصوفيون بمولدها كل عام.

كما أن هناك، أيضاً، مرقدًا مشهورًا لواحدة من بنات الإمام الصادق، وهي عائشة، التي تسمى المنطقة التي يقع فيها المرقد بحي السيدة عائشة.

ماهر فرغلي

وبالطبع فإن المشهد الحسيني هو أهم مزاراتهم، إضافة إلى عامة المصريين، والراجح تاريخياً أن رأس الحسين كان مدفوناً في عسقلان فأخرج وعطر وحمل حتى دفن في مصر، حيث قيل إن المشهد كان بعسقلان، وبناه أمير الجيوش بدر الجمالي وكمله ابنه الأفضل، إلا أن الفاطميين خشوا على الرأس من الصليبيين فقرروا حمله إلى القاهرة، ووصل يوم الأحد ثامن جمادى الآخرة سنة ثمان وأربعين وخمسائة، ولما أخرج من المشهد بعسقلان وُجد دمه لم يجف وله ريح كريح المسلك فحمل إلى القصر الزمرد، ثم دفن عند قبة الديلم بباب دهليز الخدمة.

ويعد المشهد الزينبي مزاراً رئيسياً، وهو في المرقد المعروف بمسجد السيدة زينب حيث يقام لها مولد ضخم في شهر رجب من كل عام، وهو من عمره أحمد بن طولون، ولما جاء المعز لدين الله إلى مصر بنى لها مشهداً عظيماً في عام 369 هـ، ما زال إلى الآن.

ونعتقد أنه لا يمكن لأي شخص أن يرى اليوم مسجد الحاكم بأمر الله إلا أن يعتقد أنه في حوزة من الحوزات الشيعية بمدينة قم، أو يتخيل أنه في مزار شيعي بمدينة النجف العراقية، فمن غير المألوف أن تجد صفوفاً عريضة من المصلين يضربون على صدورهم وهم يصلون إلا هناك، أو يلبسون ملابس خضراء قصيرة ويلفون على رؤوسهم لفافات مزركشة إلا به، لأنه المزار الرئيسي لطائفة البهرة الإسماعيليين.

أبو حاتم منصور أحد التجار البهرة الكبار الذين يعيشون

التشيع.. إثبات وجود وجهود للتوسع

في مصر، قال إنهم يعتقدون أنّ في مسجد الحاكم بأمر الله، بئر مقدس، وإنّ جدّهم مدفون فيه فيصرون على الوضوء في بقعة محددة من المسجد والشرب منه للتبرك به، ويصلون فرادى الحريم جنب الرجال⁽⁵¹⁾.

المزارات الشيعية هي تفاصيل قصة وحكاية طويلة الشيعة أهم فصولها، وأصبح لها الآن وجه مختلف بعد الامتداد الشيعي الكبير في مصر.

المؤسسات الشيعية وإن كانت محدودة، فإنها مقلقة في حد ذاتها، إذ تمثل نتوءاً طائفيّاً جديداً يهدد السلم، والأمن الاجتماعي، بما يستدعيه من مشكلات ومواجهات مع جماهير السنة بمصر، بالأخص بعد الثورة المصرية، حيث ظهرت أصوات مؤسسيها من خلال تكثيف الظهور الإعلامي، لتنادي بحقوق الأقلية، في ظل رحلات شبه شهرية إلى طهران، وطلب للدعم الخارجي، مما سيشكل عبئاً سياسياً وأمنياً بعد ذلك يصعب التخلص منه.

(51) البهرة يحتلون شارع المعز، تحقيق صحافي، ماهر فرغلي.

الشريعة والمسألة المذهبية في خطاب الإفتاء الرسمي والسلفي في مصر

فاطمة حافظ (*)

«وليعلم الشيعة الرافضة في كل مكان أن مصر كانت وستبقى بإذن الله الثقل السنّي الأكبر في المنطقة العربيّة والإسلاميّة وأنّ انشغال المصريّين اليوم بالشأن السياسيّ الداخليّ لا يمكن بحال أن يشغلهم عن حراسة السنّة عقيدة ومذهباً والقيام بواجب المرابطة على ثغور مدافعة البدع كافة»⁽¹⁾.

(*) باحثة دكتوراه في التاريخ- جامعة القاهرة.

(1) من بيان ائتلاف القوى الإسلاميّة حول افتتاح حسينيّة شيعيّة في مصر.

الشيعة والمسألة المذهبية في خطاب الإفتاء الرسمي والسلفي في مصر

كانت ثورة الخامس والعشرين من يناير فرصة نادرة وملائمة تماما في نظر فئات من المصريين عاشوا تحت وطأة أنماط من التهميش السياسي والاقتصادي والاجتماعي والديني التاريخي للمطالبة بحقوقهم المشروعة، وفي الحقيقة لقد اختلفت أنماط الاستجابة المجتمعية لهذه الحقوق فبينما حظيت المطالب الاقتصادية والاجتماعية بالقبول، أو على الأقل بالتفهم، فإن المطالب الدينية - وخاصة من المجموعات الأصغر كالبهائيين والشيعة - لم تجد أي استجابة من جانب المؤسسة العسكرية الحاكمة آنذاك، أو من التيارات الإسلامية المتباينة فضلا عن المؤسسة الدينية الرسمية حتى ل يبدو أن هناك حالة من الإجماع التوافقي على رفض هذه المطالب.

في هذا البحث نسعى إلى التعرف على موقف كل من: المؤسسة الدينية الرسمية ممثلة في دار الإفتاء المصرية والتيار السلفي بتكويناته المختلفة وعلى الأخص (الدعوة السلفية، والجماعة الإسلامية، وجماعة أنصار السنة المحمدية) من المطالبات الشيعية التي ظهرت بعد الثورة والمتمثلة في حرية ممارسة الشعائر الدينية، وتأسيس دور العبادة، وتأسيس حزب سياسي ذي مرجعية شيعية.

وسوف نتخذ من تحليل الفتاوى الصادرة عن هذه الجهات مدخلا لدراسة هذه المواقف، وبطبيعة الحال لسنا بصدد تأكيد أن الفتاوى تلعب دوراً مهماً في عملية تعزيز المواقف السياسية ونزع الشرعية عن الخصم أو المعارض منذ استخدامها للمرة الأولى سلاحاً في الصراع السياسي الواقع بين الإمام علي بن أبي طالب ومعاوية ابن أبي سفيان وتكرس استدعائها في ما بعد في الخلافات السياسية عبر

وهذا التوظيف الأيديولوجي لإكساب فريق مشروعية على حساب فريق ليس مظهر الأهمية الوحيد للفتوى، فهي في حد ذاتها خطاب نموذجي بامتياز حيث يتجاوز فيه الديني/ المطلق بالدينيوي/ الزماني مشكلة بذلك مزيجا فريداً، وهذا ليس بغريب فهي لحظة تنزل الشريعة على الواقع المعيش في إطار ضبط حركة هذا الواقع وإعادة توجيهه بما يتلاءم مع الشرع، وخطاب يمثل هذه الطبيعة المزدوجة ينبغي أن يكون محل اعتناء ودراسة.

هذا ويتوخى البحث تتبع التطورات الحاصلة في رؤية دار الإفتاء المصرية بخصوص العلاقات المذهبية قبيل الثورة وبعدها والوقوف على العوامل التي دفعتها للتخلي عن رؤيتها التقريبية وتبني موقف قريب من الموقف السلفي، كما يهدف إلى رصد علاقة الخطاب الإفتائي بالسياسة بغرض تحديد أيهما المستقل وأيها التابع، أملى في النهاية أن نجيب عن بعض التساؤلات المهمة من قبيل: أين يلتقي الخطاب الإفتائي الرسمي مع الخطاب السلفي وأين يفترقان، وهل تحمل التيارات السلفية خطابا واحدا ورؤية موحدة تجاه المسألة المذهبية أم هل أنها تحمل رؤى متعددة قد تلتقي وقد تختلف؟ وما هي العوامل التي تحكم رؤية المؤسسة الرسمية للعلاقة مع الآخر المذهبي؟ وإلى أي مدى يلعب السياسي دورا في المسألة المذهبية؟

وقبل الشروع في الإجابة عن هذه التساؤلات نعرض أولاً رؤية المؤسسة الإفتائية للعلاقة بالشيعة قبل الثورة وبعدها، ثم نعرض لرؤية

الشريعة والمسألة المذهبية في خطاب الإفتاء الرسمي والسلفي في مصر

التيّار السلفيّ ونعقب ذلك بعملية تحليل مضمون للخطاب الإفتائيّ بشقيه.

التصورات والمواقف

دار الإفتاء المصرية

تعود نشأة دار الإفتاء إلى العام 1895 حين أصدر الخديو عباس حلمي قرارا بإنشاء هيئة حكومية تنظم شؤون الإفتاء في القطر المصريّ وعهد إلى الشيخ حسونة النواوي إدارة شؤونها، وجاء هذا القرار تعبيراً عن رغبة الدولة في الهيمنة على الوظيفة الدينية التي طالما اضطلع بها الأزهر وعلماءه من قبل، ومنذ ذلك التاريخ صدر عن الدار عدد ضخم من الفتاوى ويكفي أن نشير إلى أن مجموع الفتاوى الصادرة في عهد الشيخ علي جمعة وحده بلغ ثلاثة ملايين وواحد وسبعين ألفاً وثمانمائة وثمانية فتوى⁽²⁾. وكان المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية في عهد الشيخ جاد الحق على جاد الحق (شيخ الأزهر السابق) قد شرع في إصدار مختارات من فتاوى الدار ضمن موسوعة الإفتاء التي صدر منها حتى العام 2011 تسعة وثلاثون مجلداً، ونظراً لكون الموسوعة غير مصنفة موضوعياً فقد توزعت الموضوعات المتعلقة بالمسألة المذهبية على هذه المجلدات ولم يختص بها مجلد بعينه، والراجح أن عدداً لا بأس به من الفتاوى التي رفعت للدار بهذا الخصوص قد تمّ استيعابها من الموسوعة ولعل أسباباً سياسية تقف وراء ذلك، إذ تخلو الموسوعة

(2) حسب بيان المركز الإعلامي بدار الإفتاء المصرية في 31 يناير 2013.

من أيّ فتاوى تشير إلى الثورة الإيرانية أو الحرب العراقية الإيرانية، أو التقريب بين المذاهب رغم الجدل الصاخب المصاحب لها في مصر.

حرمانا غياب الفتاوى من تعرّف رؤية دار الإفتاء للعلاقة بين المذاهب منذ تأسيسها تعرّفا دقيقًا، إلا أننا نستنتج أنها بوصفها جزءًا من المؤسسة الدينية الرسمية لم تكن بعيدة عن نهج التقريب الذي انتهجته مصر منذ العام 1949 التي وصل إليها نفر من علماء الشيعة ومراجعها، ومنهم الشيخ الصدوق القمي والسيد حسين كاشف الغطاء، ووضعوا مع بعض علماء الأزهر أساسا لمعنى التقريب ومبادئه وأصدروا مجلة «رسالة الإسلام» في القاهرة التي تواصل صدورها طيلة خمسة عشر عاما. وقد آتت الجهود التقريبية ثمارها فمثلت المذاهب الإسلامية الثمانية⁽³⁾ في مجمع البحوث الإسلامية في مطلع الستينيات، كما أخذت موسوعة الفقه الإسلامي التي أصدرها المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالمذاهب الثمانية ولم تقتصر على المذاهب السنية الأربعة المعروفة⁽⁴⁾ الأمر الذي يعني اعترافا بهذه المذاهب ضمن المنظومة الفقهية الإسلامية وأنه يجوز للمسلم أن يمارس بعض شعائره وفقا لها دون أن يكون في ذلك حرج أو خروج عن الإسلام. وإعمالا لهذا الاعتراف استندت دار الإفتاء في عدد من فتاواها إلى بعض الآراء الفقهية للمذهب الجعفري - مذهب الشيعة الإمامية - باعتبارها من المذاهب المعتبرة والمقبولة شرعا في قضايا عديدة تتعلق

(3) هي المذاهب السنية الأربعة، ومذهبان شيعيان هما المذهب الجعفري والمذهب الزيدي، ومذهبان خارج الدائرة السنية الشيعية وهما المذهب الإباضي والمذهب الظاهري.

(4) علي جمعة، التقريب بين المذاهب (القاهرة: صحيفة الأهرام 2007/2/26).

الشيعة والمسألة المذهبية في خطاب الإفتاء الرسمي والسلفي في مصر بالتفكير والتكرار والمواريث.

ولم يَسِرِ الأمر على هذا المنوال طويلا فتداعيات الثورة الإيرانية والتخوفات من مدِّ شيعيٍّ ثوريٍّ في البلدان العربيَّة السُّنِّيَّة ألقيا بظلالهما على سياسة التقريب التي غيب الموت معظم شخصوها وحوصرت مؤسساتها ولم يعد يسمع لها صوتٌ. وإنَّ الفترة الممتدة من مطلع السبعينات وحتى منتصف التسعينيات، في ما نلاحظه، تخلو من أيِّ إشارة إلى الشيعة في موسوعة الفتاوى خلا إشارة وحيدة في تلك الفتوى الشهيرة التي أجاز فيها الشيخ جاد الحقّ علي جاد الحقّ للرئيس السادات أن يعقد صلحا مع الإسرائيليين، وقد حشد كلُّ ما يستطيع من أدلة فقهية من المذاهب السُّنِّيَّة ثمَّ التجأ إلى المذاهب الفقهية الأخرى بحثا عمَّا يؤيده، ويبدو أنه عثر على ما يفيد أن فقهاء الشيعة الإمامية يجيزون للإمام ونائبه أن يعقدا صلحا أو يهادنا محاربيهم من غير المسلمين فنقله عنهم⁽⁵⁾.

ومن يتفحص الفتاوى الصادرة عن الدار في خواتيم القرن العشرين يجد أن خطابها بات أميل إلى التشدد إذا ما قورن بخطاب منتصف القرن الذي ظلَّ بعيدا - إلى حدِّ ما - عن التجاذبات السياسية وكان أكثر رحابة وتسامحا، متأثرا في ذلك بالرؤية الوهابية السلفية أو بالتوجهات السياسية التي تعارض أيَّ تقارب مع إيران في عهد الرئيس

(5) هذه الفتوى وردت في: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، فتاوى دار الإفتاء المصرية، فتوى بعنوان: اتفاقية السلام بين مصر وإسرائيل وأثرها، مج 6 ص 71. وقد لاحظنا أنه جرى حذفها من النسخة الأخيرة التي أصدرتها دار الإفتاء المصرية من موسوعتها التي ضمت مختارات من فتاويها، ويبدو أن هناك رغبة في إخفاء مثل هذه الفتاوى التي تشير بجلاء إلى توظيف الفتوى سياسيا لخدمة الحاكم.

المخلوع، ولم يشدّ عن هذه القاعدة من المفتين الذين تولّوا منصب الإفتاء سوى الشيخ علي جمعة السابق الذي وصل العام 2003 إلى منصب مفتي جمهورية مصر العربيّة واستمر في منصبه عقداً كاملاً.

تعامل علي جمعة مع المسألة المذهبيّة بقدر كبير من الجسارة حين جهر بأن السنة والشيعية على دين واحد وعلى قبة واحدة هي الكعبة المشرفة وعلى مصدر واحد هو كتاب الله وسنة رسوله (ص) يصومون شهر رمضان لا يختلفون فيه ويصلون الخمس ويحجّون البيت⁽⁶⁾ وبالتالي فهم «جزء أساسي في الأمة الإسلاميّة والخلاف بينهم وبين أهل السنة خلاف لا يضر»⁽⁷⁾، وقد أجمل الشيخ رؤيته لأسباب الخلاف في أنّ أهل السنة يرون أنّ الروايات المعتمدة عن الرسول (ص) تشمل كلّ الصحابة على حين يرى الشيعة أنّها لا تكون معتمدة إلا إذا أتت عن طريق الإمام عليّ وذريته والأئمة المعصومين، وقد اتحدت روايات الفريقين في مساحة كبيرة جدا واختلفت في مساحة أقلّ وعليه ينبغي رصد هذا الاتحاد وجعله منطلقا للتقريب بين المذهبيّين ولإعلام أتباع كلّ فريق منهما أنّهما يتفقان أكثر ممّا يختلفان، شأنهما في هذا شأن كلّ المدارس العلميّة التي تنتمي إلى دين واحد بأصول واحدة⁽⁸⁾، والاختلاف في الرواية نتج عنه اختلاف في الفقه، «والاختلاف في الفقه بسيط لأنّ الفقه مبنيّ على الظنّ وما كان مبنيّاً على الظنّ فإنّ للاجتهاد فيه مجالا كبيرا وإذا كان الأمر أمر اجتهاد

(6) علي جمعة، السنة والشيعية (طهران: رسالة التقريب، ربيع الأوّل وربيع الثاني 1427/أبريل مايو 2006، ع 54)، ص 206.

(7) دار الإفتاء المصريّة، الفتاوى الصادرة عن دار الإفتاء المصريّة، القاهرة، 2010، مع 28، ص 372.

(8) علي جمعة، السنة والشيعية، المرجع السّابق، ص 207.

الشيعة والمسألة المذهبية في خطاب الإفتاء الرسمي والسلفي في مصر

فإنه يجب على كل واحد منا أن يقبل اجتهاد المجتهد الآخر فالشيعة تبيح زواج المتعة... وهذا الوضع أكثر المواضع في الفقه اختلافا بين الفريقين وهو لا يدعو إلى هذا الحزن العميق الذي في قلوب العامة من الطرفين»⁽⁹⁾.

أمّا في ما يخص بقية الاختلافات التي تشكل منطلقا جوهريا في الخطاب السلفي، مثل مسألة سب الصحابة فهذه ليست من أولويات الدين وأركانها كما يرى علي جمعة، وإنما هي موقف مرفوض ممن يفعله، أمّا مسألة ادعاء الشيعة أنّ القرآن الكريم قد حُرّف وحذفت منه بعض المواضع فهذه يكفي فيها الاعتذار الذي قدمه بعض المراجع الشيعة واعتبارها آراء شاذة ومتطرفة.

ويخلص من هذا كله إلى على الطرفين أن يتجاوزا هذا الخلاف العتيق، وقد بادر عمليا باقتراح عدد من الآليات للخروج منه لكنه استبق فاعترف بأن قاصري النظر من الطرفين لن يقبل بها، وهذه الآليات هي:

أولا: اعتذار كل من الطرفين للآخر وبدء صفحة جديدة في هذا الاعتذار نفسه مع تجاوز الزمان والمكان والأشخاص والأحوال من أجل الوصول إلى الوحدة الضرورية.

ثانيا: ضرورة الالتزام التام بسيرة الرسول (ص) وتفعيلها في مجال الوحدة الإسلامية، وكيف أنه لما نصح بقتل المنافقين الذين

(9) المرجع السابق نفسه، ص 207-208.

يستحقون القتل بنص القرآن أجاب بقوله «حتى لا يقال إنَّ محمداً يقتل أصحابه».

ثالثاً: الاطلاع على المخططات الموضوعية للترفة بين المسلمين
فإذا ما انكشفت كان ذلك داعياً للوحدة، لأن الراجح الأكبر من هذا الاختلاف لا يكون إلا من غير المسلمين⁽¹⁰⁾.

ولم يكتف علي جمعة بهذه الآليات وإنما واصل اجتهاده وذهب إلى القول بجواز التعبد بالمذاهب الشيعية وأنه لا حرج على المسلم في ذلك⁽¹¹⁾، فأثار غضب السلفيين الذين حاولوا ملاحقته قضائياً واتهموه بأنه «تجاوز حدّ الرشاد والسداد، وغلب ميله العقائدي الشخصي على مصلحة الأمة»⁽¹²⁾. وإننا في الحقيقة، نستطيع أن نفسر - ولو جزئياً - آراء الشيخ المتسامحة في ضوء عاملين: إعجابه الشخصي الذي لم يكن يخفيه بالتطور الذي حققه الشيعة وأن الواقع يشكل جزءاً مهماً من الفقه الشيعي الأمر الذي يمنحه الحيوية والتفاعل مع حياة الناس، وثانيهما إيمانه بالتصوّف جعله أقرب إلى الفكر الشيعي، فالتصوفة يشاركون الشيعة تقديسهم للأولياء واعتقادهم بجواز زيارة الأضرحة مخالفين في ذلك المعتد السلفي الذي يحظر مثل هذه الممارسات.

وتطرح مواقف الشيخ تساؤلاً مهماً: ألا وهو كيف استطاع الشيخ

(10) علي جمعة، التقريب بين المذاهب، (القاهرة: جريدة الأهرام، 26 فبراير 2007).

(11) انظر مقتطفات من حوار الشيخ علي جمعة لقناة العربية المنشور في 4 فبراير 2009 على الرابط التالي:
<http://www.alarabiya.net/articles/200965714/04/02/.html>

(12) مقتطفات من بلاغ قدمه أحد السلفيين ضدّ الشيخ علي جمعة بسبب جوازه التعبد بالمذهب الشيعي:
<http://www.dd-sunnah.net/news/view/action/view/id/771/>

الشبيعة والمسألة المذهبية في خطاب الإفتاء الرسمي والسلفي في مصر

أن يتخذ مثل هذه المواقف التي تعد بشكل أو بآخر مخالفة لتوجهات النظام المخلوع الذي دخل في نزاع طويل الأجل مع حزب الله اللبناني بعد حزب تموز، وهنا يمكن أن نميز بين مستويين من مستويات التعامل لديه، فالمستوى الأول الذي يعبر عن قناعاته الذاتية في التقريب وجواز التعبد بالمذهب الجعفري والذي يذهب فيه مجالا بعيدا كان مجاله وسائل الإعلام، والمستوى الثاني الذي ينسجم فيه - ولو جزئيا - مع مواقف النظام كان يقع ضمن دائرة الإفتاء⁽¹³⁾، ولا يعني هذا أن فتاواه لم تتأثر برؤيته التقريبية وإنما يعني أنها كانت تقف دوما عند حد لا يتعارض مع النظام أو توجهاته.

اتخذ الأمر مسارا نكوصيا بعد ثورة يناير فالشيخ الذي خسر الكثير من رصيده المعنوي بسبب تأييده للنظام المخلوع وبسبب صعود الإسلاميين لم يكن بوسعهم أن يخالف موقف المؤسسة الدينية الرسمية التي استشعرت القلق من التحركات الشيعية على الساحة المصرية السنّية، ورغم ذلك فقد آثر الشيخ الصمت في البداية فلم يشأ أن يعلق على إصرار الشيعة على الاحتفال بموالد آل البيت أو شروعهم في تأسيس حزب شيعي (حزب التحرير) في سبتمبر 2011، إلا أن الصمت لم يكن خيارا ممكنا مع افتتاح أول حسينية شيعية في مصر في مايو 2012 بحضور الشيخ اللبناني علي الكوراني وقد أثارت تلك الحسينية غضب المؤسسة الدينية الرسمية والقوى الإسلامية الأخرى.

(13) يُمكننا أن نضرب مثلا بالفتوى المطولة التي أصدرها الشيخ بمناسبة تهجم صحيفة الفجر على بعض الصحابة وقد انسجم فيها مع موقف النظام والمؤسسة الأزهرية من حيث اعتبار من يفعل ذلك "فاسق مردود الشهادة"، يجب أن يعاقب بحكم الشرع والقانون، وهو ما يخالف موقفه السابق من هذه المسألة، انظر: دار الإفتاء المصرية، الفتاوى الصادرة عن دار الإفتاء المصرية، القاهرة، 2011، مج 36، ص 202-222.

استشعرت المؤسسة الدينية خطراً حقيقياً من افتتاح حسينية وصفها بيان الأزهر بأنها «تزرع الطائفية» ولذلك سارع إلى اتخاذ خطوات غير مسبوقة فدعا القوى الإسلامية لاجتماع عقد في مايو 2012 لمواجهة «خطر التشيع» وعلى أثره شكلت «لجنة مكافحة التشيع» التي أثارت استياء شيعياً داخل مصر، كما قام مجمع البحوث الإسلامية بتنظيم ندوات تحذر من خطورة التشيع، وكان من بين المحاضرين الشيخ علي جمعة الذي ألقى في أكتوبر 2012 محاضرة تعدّ ارتداداً حقيقياً لفكر التقريب الذي وضع لبناته طيلة عقد كامل، ففيها تحدث عن أن هناك خمسة اختلافات بنيوية بين المذهبين وقدم تأويلاً جديداً لها يختلف جذرياً عما قدمه من قبل، وعلى سبيل المثال فمسألة تحريف القرآن باتت مسألة «لا يقبلها مسلم قط»⁽¹⁴⁾ على حين أنه كان يعتبرها مجرد رأي شاذ يكفي فيه اعتذار بعض المراجع الشيعية كما أسلفنا. ولا ندري هل كان الشيخ يدرك أنه بمثل هذا الخطاب كان ينهي حياته الوظيفية وهو يتبنى خطاباً مذهبياً جديداً لا يختلف كثيراً عن الخطاب السلفي إلا في جزئيات يسيرة على رأسها عدم وقوعه في فخ التكفير الذي انزلق إليه الخطاب السلفي.

الدعوة السلفية

نشأت الدعوة السلفية بالإسكندرية في سبعينيات القرن الماضي على أيدي مجموعة من طلبة كلية الطب بجامعة الإسكندرية، ومنذ تأسيسها وهي تناصب المذهب الشيعي العداً وتصفه على الدوام بأنه

(14) انظر ملخصاً لكلمة الشيخ في: مجلة صوت الأزهر، القاهرة: ع 681، 12 أكتوبر 2012، ص 2.

الشيعة والمسألة المذهبية في خطاب الإفتاء الرسمي والسلفي في مصر

«رافضي»، وتعجّ المواقع التابعة لها مثل صوت السلف - الذي يشرف عليه الشيخ ياسر برهامي- وأنا السلفي وطريق السلف بعشرات المقالات والمواد المسموعة التي تتعلق بالشيعة.

ويعدُّ الشيخ محمد إسماعيل المقدم من أكثر مشايخ الدعوة السلفية اهتماماً بالملف الشيعي وله رؤاه الخاصة فرغم اتفاق الفرق السنيّة على أنهم يشكلون جزءاً من الأمة الإسلاميّة والنقاش معهم فهو يعدُّ ذلك ضروريّاً لتوحيد المواقف، إلاّ أنه لا يتفق مع هذا الرأي في النقاش مع الشيعة في الحقيقة لا جدوى من ورائه، ولا أمل في هدايتهم، ولذلك يشبّههم كثير من العلماء باليهود، لأنّ الأمل في هدايتهم صعب جدّاً» ولا يعني هذا أنّ الشيخ لا يعدّهم خارج الدائرة الإسلاميّة وإنما هو يعتقد أنهم رغم إيمانهم برسالة النبيّ محمد (ص) إلاّ أنّ لديهم انحرافات عقديّة خطيرة تتمثل في: إيمانهم بأنّ القرآن الموجود ناقص وأنه يزيد عن ذلك زيادة كبيرة، والقول بالتقيّة وهي كذب محض، ولعنهم الصحابة وطعنهم في السيّد عائشة رضي الله عنها.

وهذه الانحرافات لدى الشيعة تجعل من دعوى التقريب عملاً غير مقبول لا يمكن أن يؤدّي إلى توحيد الكلمة لأنّ «كلمة التوحيد قبل توحيد الكلمة، فلا بدّ (للشيعة) أولاً من الدخول في الدين الصحيح الذي أنزله الله، وتحقيق كلمة التوحيد، وبعد ذلك نسعى لتوحيد الكلمة، أمّا توحيد الكلمة على أساس عاطفيّ، وعلى كلام لا يسمّن ولا يغني من جوع، فهذا لا ينفع، ودائمًا التقريب عند الشيعة له معنى

واحد فقط هو أن يقترب أهل السنة من الشيعة، لكنهم لا يقتربون منا، ولا يمكن أن يتنازلوا على الإطلاق عن أي شيء من عقيدتهم»⁽¹⁵⁾.

لا يمكن النظر إلى الشيخ إسماعيل المقدم بوصفه حالة استثنائية داخل الدعوة السلفية، فموقفها لا يختلف كثيرا فهي تعتبر أن «الدعوة إلى التقارب بين أهل المذاهب دعوة غير مفيدة، وكان السعي في تحقيق اللقاء بينهم وبين الصادقين من المسلمين سعيا فاشلا، لأنهم واليهود والنصارى تشابهت قلوبهم في الزيغ والإلحاد والكفر والضلال والحقد على المسلمين والكيد لهم، وإن تنوعت منازعهم ومشاربهم واختلفت مقاصدهم وأهواؤهم، فكان مثلهم في ذلك مثل اليهود والنصارى مع المسلمين. ولأمر ما سعى جماعة من علماء الأزهر المصريّين مع القمّي الإيراني الرافضيّ في أعقاب الحرب العالميّة الثانية، وجّدوا في التقارب المزعوم، وانخدع بذلك من كبار العلماء الصادقين ممن طهرت قلوبهم ولم تعركهم الحياة، وأصدروا مجلة سموها: (مجلة التقريب)⁽¹⁶⁾ وسرعان ما انكشف أمرهم لمن خدع بهم فباء أمر جماعة التقريب بالفشل، ولا عجب فالقلوب متباينة والأفكار متضاربة والعقائد متناقضة، وهيئات هيئات أن يجتمع النقيضان أو يتفق الضّدان»⁽¹⁷⁾.

(15) نص محاضرة ألقاها الشيخ محمد إسماعيل المقدم بعنوان: الحذر من الشيعة

<http://audio.islamweb.net/audio/index.php?page=FullContent&audioid=163061&full=1>

(16) المجلة التي صدرت بالقاهرة عن دار التقريب هي (رسالة الإسلام) وقد خلطت اللجنة العلميّة بينها وبين مجلة التقريب التي تصدر في طهران باللغة العربيّة وتهدف إلى نشر فكرة التقريب.

(17) فتوى اللجنة العلميّة الدائمة بموقع طريق السلف

<http://www.alsalafway.com/cms/fatwa.php?action=fatwa&id=2671>

الشيعة والمسألة المذهبيّة في خطاب الإفتاء الرسميّ والسلفيّ في مصر

وفي ما نلاحظ، هناك ثوابت يمكن أن نستشفّها تشكل بنية الخطاب السلفيّ في المسألة المذهبيّة، أولها أنّه لا يعدّ الشيعة فصيلا من فصائل الأمة الإسلاميّة التي هي قاصرة على المكونات السنّية دون سواها. وثانيها تأكده أنّ الشيعة يقتربون من اليهود والنصارى أكثر من المسلمين وهو ما نلاحظه بجلاء في نصّه المقدم إلى اللجنة العلميّة الدائمة، وثالثهما أنّه نص مغرق في تاريخانيّته بحيث يجعل من الماضي وعلاقاته حكماً على الواقع ومتغيراته، وهو ما سيتأكد في ما بعد من خلال الفتاوى التي تستخرج خلافاً من الماضي من بطون كتب التاريخ وتعيد طرحها وكأنها وليدة العصر.

احتفظ الخطاب السلفيّ بثوابته بعد الثورة ولا ريب أنه قد اكتسب ثقلاً في ظلّ صعود الإسلاميين وشغلهم الفراغ الناجم من انسحاب النظام السّابق، وإن الشيعة المصريّين، في ما نعتقد، كانوا يستشعرون الخطر المائل من الصعود السلفيّ حين تقدم الدكتور أحمد راسم النفيس بأوراقه لإنشاء «حزب الوحدة والتحرير» في سبتمبر عام 2011، وحين سُئل عن موقف السلفيّين المعارض لتأسيس الحزب أجاب واثقاً بأنّ الحزب في طريقه إلى الإشهار⁽¹⁸⁾، وعلى الجهة المقابلة اعتبر السلفيون أنّ صعود التيّار الإسلاميّ بأطيافه المختلفة يحمل رسالة واضحة هي أنّ «الوضع القادم سيكون أكثر تشدداً في موقفه من الشيعة» فلا يمكن للإسلاميين أن يسمحوا بأي محاولة لاختراق

(18) انظر حوار النفيس مع موقع جريدة الأهرام الإلكترونيّ على الرابط التالي:

<http://digital.ahram.org.eg/Policy.aspx?Serial=647461>

خلال عامين تقريبا بعد الثورة وقعت عدّة صدامات بين الدعوة السلفية والشيعية، فلم تكد تمرّ أشهر قليلة على نجاح الثورة حتّى شهدت مصر قيام متطرفين بمهاجمة بعض الأضرحة وتهديمها وهو ما أثار استياء المؤسسة الدينية الرسمية وعلى رأسها الشيخ علي جمعة الذي وصف هؤلاء بالخروج عن الدين والعقل والإنسانية⁽²⁰⁾، كما أثارت الشيعة والصوفية الذين دعوا إلى مسيرة مليونيّة للتنديد بهذا الفعل ووجهوا الاتّهامات إلى السلفيّين بأنهم يقضون وراء ذلك، وهو الأمر الذي اضطر الشيخ عبد المنعم الشحات المتحدث باسم الدعوة السلفية، والدكتور محمد عبد المقصود أحد رموزها إلى نفي ذلك⁽²¹⁾.

الصدام الأبرز بين الشيعة والسلفيّين اتخذ من افتتاح أوّل حسينية شيعيّة في مصر عنوانا له والحقيقة أنّها أثارت استنكارا من كافة القوى والرموز الإسلاميّة، وقد تداعت هذه القوى إلى اجتماع عقد برئاسة الشيخ أحمد الطيب بمقر مشيخة الأزهر وحضره من مشايخ الدعوة السلفية: إسماعيل المقدم، ومحمد حسان، وياسر برهامي، وسعيد عبد العظيم، وجمال إسماعيل. وتمّ الاتفاق خلاله

(19) صلاح فضل، الفشل في فكرة الأملع الشيعية الدعوية في مصر

<http://www.almoslim.net/node/146043>

(20) محمد البطاوي، فتنة الأضرحة بين الصوفيّة والسلفيّة تذكيرها الشائعات، موقع أون إسلام

<http://www.onislam.net/arabic/newsanalysis/special-folders-pages/new-egypt/on-the-sidelines-of-the-revolution/129915-q-q-.html>

(21) د. محمد عبد المقصود: هدم الأضرحة ليس من الإسلام، جريدة الأهرام، 2011/4/3

www.ahram.org.eg/Religious-thought/News/70605.aspx

الشيعة والمسألة المذهبية في خطاب الإفتاء الرسمي والسلفي في مصر

على وضع آليات عملية لمنع نشر المذهب الشيعي⁽²²⁾، كما أصدر ائتلاف القوى الإسلامية - وكان من بين الموقعين عليه مجلس شورى العلماء بالدعوة السلفية - بياناً صيغَ بلهجة حادة جاء فيه «ليحذر المجلس (العسكري) أن يكتب التاريخ أن وجود هذه الحسينية كان في الفترة الانتقالية لحكمهم البلاد، وعلى الجهات الأمنية الرسمية المسؤولية كاملة في الحيلولة دون اختراق مصر شيعياً ونشر مذهب الرفضة في ربوعها»⁽²³⁾، وقد أثمرت تلك التحركات إغلاق الحسينية بصورة نهائية بعيد أسبوعين من إنشائها، ومن الواضح أن الدعوة السلفية استشعرت أن خطر التشيع ما زال ماثلاً فنظمت مؤتمراً جماهيرياً مع جماعة أنصار السنة المحمدية في نوفمبر (تشرين الثاني) 2012 تحت عنوان «خطر التشيع في مصر» بحضور الشيخ محمد حسان، فيما هاجم حزب التحرير المؤتمر ووصفه بأنه يستهدف إشعال الفتنة⁽²⁴⁾، وعلى أثر ذلك تصدى بعض السلفيين لمجموعات من الشيعة المصريين حاولت إحياء شعائر عاشوراء في المشهد الحسيني وانتهى النزاع بإغلاق قوات الأمن للضريح⁽²⁵⁾.

تمثلت زيارة الرئيس الإيراني أحمدني نجاد لمصر في مطلع فبراير شباط من عام 2013 حلقة جديدة في مسلسل التوتر، وليس

(22) انظر تفصيلات حول الاجتماع في: المصري اليوم بتاريخ 2012/5/20 على الرابط التالي:

<http://www.almasryalyoum.com/node/853801>

(23) <http://elbadil.com/egypt-news/201244898/10/05/>

(24) ريهام جمال، التحرير يهاجم سلفيي الجيزة بسبب مؤتمر خطر التشيع في مصر، على الرابط التالي <http://www.masress.com/elsaba744748/>

(25) الشيعة يفشلون في إحياء عاشوراء داخل الحسين، جريدة «المصريون» <http://www.almesryoon.com/permalink/56955.html#.USPUBvKSruw>

خافيا أنّ الدعوة السلفية لا تثق كثيرا في مواقف الإخوان المبدئية تجاه المسألة الشيعية، فقد كتب عبد المنعم الشحات أنّ «خيار التقريب لدى الإخوان خيار سياسيّ كسائر خياراتهم.. وليس نابعاً من موقف فقهيّ مستمدّ من رأي فقهاء الجماعة»⁽²⁶⁾.

وقد عبرت الدعوة السلفية عن خشيتها من الزيارة وقلقها من المواقف الإخوانية في بيان رسميّ شددت خلاله على ضرورة «أن تتحدث مصر مع الرئيس الإيراني بوصفها أكبر الدول السنّية، ويجب ألاّ يُنسى أنّ التزام مصر بحماية كلّ الدول السنّية من أيّ اختراق سياسيّ أو ثقافيّ أو عسكريّ جزءٌ من التزامات مصر الدولية، ثمّ هو جزء من برنامج الدكتور محمد مرسي الانتخابي». ودعا البيان الرئيس مرسي إلى «مواجهة» نجاد بملف اضطهاد أهل السنة في إيران وملف سوريا، واختتم على التأكيد أنه ينبغي ألاّ يُسمح لنجاد بزيارة مساجد آل البيت⁽²⁷⁾، ويبدو أنّ هذه المسألة الأخيرة تحتل أهمية لدى الدعوة السلفية فقد استنتج ياسر برهامي أنها تشير إلى اعتزام الشيعة المطالبة بتراث الدولة الفاطمية، وأنها تستهدف التقرب من المصريين لحبهم لآل البيت، ويلخص برهامي الفارق بين موقف جماعة الإخوان المسلمين والدعوة السلفية من الزيارة بقوله: «إنّ القضية منهجية قبل أن تكون سياسية أو خلافية وإنّ الموقف في غاية الوضوح، ففقيدتنا الصحيحة تُبنى على الكتاب والسنة وليس على المصالح الوقتية أو

(26) عبد المنعم الشحات، الشيعة والقرضاوي والإخوان، موقع صوت السلف، بتاريخ 15 أكتوبر 2008.
<http://www.salafvoice.com/article.php?a=2747>

(27) بيان من الدعوة السلفية بشأن زيارة الرئيس الإيراني للقاهرة، موقع أنا السلفي
<http://www.anasalafy.com/play.php?catsmktba=38175>

الخدمات المالية»⁽²⁸⁾. ومن هذا المنطلق لم تستجب الدعوة السلفية للدعوة التي وجهت لها من السفارة الإيرانية بالقاهرة لحضور احتفالها بزيارة الرئيس أحمدى نجاد للقاهرة.

جماعة أنصار السنة المحمدية

هي جماعة إسلامية قامت على العقيدة السلفية، تأسست في مصر العام 1926 على يد الشيخ محمد حامد الفقي، وقد جعلت الجماعة على رأس أهدافها: دعوة الناس إلى التوحيد الخالص، وإرشادهم إلى أن نصوص الكتاب والسنة لا محيد عنها البتة، وأن الحكم بغير ما أنزل الله هلكة في الدنيا وشقوة في الآخرة⁽²⁹⁾، وإلى جوار هذه الأهداف المتعلقة بتصحيح العقيدة وتنقيتها جعلت من أهدافها «التحذير من خطر الفرق وأهل الأهواء على الفرد والمجتمع، والتصدّي لغلاة المتصوّفة ومُنكري السنة والبهائية والرافضة والباطنية، والتصدّي لحملات التغريب والعلمنة، والإلحاد والزندقة»، وكذا العمل على توحيد المسلمين تحت عقيدة واحدة ومنهج تشريعيّ واحد على أساس من المنهج السلفي⁽³⁰⁾.

تؤشّر هذه الأهداف بوضوح إلى أنّ الجماعة لا تؤمن بالتعددية داخل المنظومة الإسلامية وأنها تضع نفسها من حيث المبدأ في مواجهة

(28) ياسر برهامي، حول زيارة أحمدى نجاد لمصر (القاهرة: جريدة الفتح، ع 70، 8 فبراير 2013).

(29) أهداف الجماعة، الموقع الرسمي لجماعة أنصار السنة المحمدية.

<http://www.ansaralsonna.com/web/pageother-658.html>

(30) الندوة العالمية للشباب الإسلامي، جماعة أنصار السنة المحمدية.

<http://www.saaaid.net/feraq/mthahb/8.htm>

مع الفرق الإسلاميّة الأخرى، وعلى سبيل المثال يعبر الشيخ جمال المراكبي الرئيس السّابق لأنصار السنة المحمديّة عن موقف جماعته من الشيعة بقوله: «الشيعة فرقة منحرفة ظهرت في العصر الأوّل من الإسلام للطعن في جيل الصحابة واللغو في آل البيت، ونحن من أهل السنّة، لهذا نراهم أعداء لنا». وقد انعكست الأهداف بجلاء على خطابها الذي يتشابه إلى حدّ التماثل مع خطاب الدعوة السلفيّة في منطلقاته وثوابته من حيث ادعاء أنّ الشيعة يعتقدون في تحريف القرآن كما أنهم لا يعتقدون في صحّة البخاريّ ومسلم ولا يستدلون بها ولديهم كتبهم الدينيّة الخاصّة⁽³¹⁾. وتبني الجماعة على ذلك موقفها من عمليّة التقريب وتتساءل: «على أيّ شيء نتقارب والمعتقد متفاوت بصورة في غاية الوضوح؟ فهم يعدّون القرآن محرّفًا، وينكرون السنّة، ويسبّون الصحابة، بل ويكفرونهم إلّا نفرًا قليلًا لا يتجاوز أصابع اليدين، فهيهات هيهات أن يكون هناك تقارب مع هؤلاء إلّا بالتنازل عن الأصول... فلا بدّ لنا أن نعلم أنّ دعوة التقريب بين السنة والشيعة دعوةٌ تهدف إلى التسلل إلى أهل السنة، وإخراجهم من مذهبهم إلى التشيع»⁽³²⁾.

أثارت التحركات الشيعيّة المبكرة بعد الثورة انتباه جماعة السنّة المحمديّة التي ذهبت إلى أنّ الشيعة ظهروا بصورة كبيرة تحت ستار

(31) حقيقة الشيعة الإيرانيّة، فتوى مجمعة لكل من الشيخ محمد صفوت نور الدين - الشيخ صفوت الشوايفي - د. جمال المراكبي، الموقع الرسمي لجماعة أنصار السنة المحمديّة.

<http://www.ansaralsonna.com/web/play-1379.html>

(32) عبد الرحمن جمال المراكبي، وقفات مع حادثة الإفك الجديدة، الموقع الرسمي لجماعة أنصار السنة المحمديّة.

<http://www.ansaralsonna.com/web/play-1927.html>

الشبيعة والمسألة المذهبية في خطاب الإفتاء الرسمي والسلفي في مصر

«قوى آل البيت» وحركة «أشراف بلا حدود»، وذلك في موالد آل البيت في خلال عام 2011 وبصورة علنية، كما استبقت الجماعة الأبناء الواردة عن شروع الشيعة في تأسيس حزب شيعي بالتلويح إلى استخدام العنف وجاء ذلك على لسان الشيخ جمال المراكبي الذي قال: «سندعو الناس لمحاربة هذا التيار ولن نسمح لهم بتأسيس حزب». وأرجع رفضه إلى الحرص على العقيدة إلى أن قيام حزب شيعي سيطعن في العقيدة الإسلامية الصحيحة. وهو ما دفع الناشط الشيعي محمد الدريني إلى أن يؤكد أن شيعة مصر مواطنون لهم حقوق دستورية تتمثل في المطالبة بحرية العقيدة والرأي والتعبير وأنهم لن يسمحوا بممارسات السلفية التكفيرية التي تهدف إلى إرهاب مخالفيهم في المنهج أو المذهب أو الدين⁽³³⁾.

وخلال عام 2012 شاركت جماعة أنصار السنة المحمدية القوي الإسلامية الأخرى مواقفها المناهضة للتشيع فقد وقعت على بيان ائتلاف القوي الإسلامية الذي أشرنا إليه من قبل، كما شاركت الدعوة السلفية في تنظيم مؤتمر خطر التشيع.

الجماعة الإسلامية

نشأت الجماعة الإسلامية في الجامعات المصرية في أوائل السبعينات وكان نواتها عدد من التجمعات الدينية التي توحدت واتخذت من الجماعة الإسلامية عنوانا لها واستطاعت أن تحرز

(33) المرجع السابق نفسه.

نجاحا في اتحادات الطلبة آنذاك، وقد ناصبت الجماعة نظام الرئيس السادات العداء، خاصة بعد توقيع اتفاقية كامب ديفيد، وهاجمت زيارته لإسرائيل وانتهى الحال بها إلى اغتياله في عام 1981. وعلى أثر ذلك تعرضت لملاحقات أمنية وأودع عدد كبير من قياداتها السجن.

تختلف الجماعة الإسلامية نسبياً عن باقي القوى السلفية في الموقف من إيران والشيعية عموماً، فهي تعتمد إلى الفصل بين ما هو سياسي وما هو مذهبي في المواقف الإيرانية الشيعية⁽³⁴⁾، وهذا الفصل يرجع، في أحد أسبابه، إلى موقف إيران المؤيد لاغتيال السادات وإطلاق اسم خالد الإسلامبولي - أحد المتهمين باغتياله من الجماعة الإسلامية- على أحد شوارع طهران، وقد ظلّ الفصل بين ما هو سياسي وما هو مذهبي يحكم موقف الجماعة الإسلامية لفترة طويلة حتى أنها تقردت وحدها بين الكيانات السلفية بمناصرة حزب الله الشيعي في لبنان في حرب تموز 2006، ورغم ذلك يبدو أنّ التحركات الإقليمية المذهبية التي تبعت الحرب من محاولة الترويج للمذهب الشيعي قد أقلقت قادة الجماعة فكتب طارق الزمر أحد قياديينها رسالة من محبسه تحت عنوان «الهجوم على الصحابة خطوط حمراء»، نشرت عام 2008 استهلها بقوله: «إن قادة الشيعة وعلماءهم يخطئون إذا تصوروا أنّ مذهبهم قابل للتمدد في المنطقة الإسلامية كما يخطئون إذا تصوروا أن مشروعهم السياسي المقاوم للنفوذ الغربي الإسرائيلي في المنطقة يمكن أن يكون قاعدة لهذا التمدد»، وذهب فيها إلى أنّ

(34) أسامة حافظ، فتوى بعنوان: بيان الاختلافات بين السنة والشيعة، موقع الجماعة الإسلامية.

http://www.egyig.com/Public/articles/recent__issues/1148688821/.shtm

الشيعة والمسألة المذهبية في خطاب الإفتاء الرسمي والسلفي في مصر

المذهب الشيعي لا يستطيع أن يكون مؤهلاً لقيادة الصراع الإسلامي الغربي وذلك لأن «عقيدة أهل السنة هي العقيدة المؤهلة علمياً لهزّ حصون عقائد الغرب الدينيّة والديويّة ودكّها بينما عقائد الشيعة قد تتلاقى مع بعض هذه العقائد في بعض مناهج الاستدلال وبعض قواعد الفهم. ولا يخفي ذلك التلاقي بين طعن الشيعة في الصحابة - رضوان الله عليهم أجمعين - واستناد المستشرقين على الطعن في الصحابة كأحد أهمّ معاول هدم الدين الإسلامي ذاته (كما) يعتبر التوزيع الجغرافي لأهل السنة من الأكثر تأهيلاً والأنسب توظيفاً حال سخونة الصراع الإسلامي الغربي واشتعاله، فضلاً عن قيادة هذا الصراع»⁽³⁵⁾ ويبدو من العبارة الأخيرة أنّ الزمر قد استشعر الحرج من انفراد الشيعة بإدارة الصراع الإسلامي الغربي ولذا راح يخلق حججاً تجعل من استمرار قيادة الشيعة أمراً غير متصور ولكنه لم يستطع أن يفسر نكوص أهل السنة والجماعة عن إدارة هذا الصراع.

شهدت مواقف الجماعة الإسلاميّة اختلافاً ملحوظاً بعد الثورة فالفارق بين السياسيّ والمذهبيّ الذي كانت تصرح به الجماعة قد تقلّص، بل يمكن الادعاء بأنه قد تلاشى فتوحد موقفها وموقف القوى السلفيّة في ضرورة التصدّي لتأسيس حزب شيعي، وشاركت في التوقيع على بيان ائتلاف القوى الإسلاميّة المندد بافتتاح الحسينيّة الشيعيّة، كما تماهى موقف الجماعة وحزبها البناء والتنمية مع القوى السلفيّة من زيارة الرئيس الإيراني للقاهرة حيث أيد المستشار الإعلاميّ

(35) طارق الزمر، الهجوم على الصحابة خطوط حمراء، موقع الجماعة الإسلاميّة .
http://www.egyig.com/Public/articles/recent__issues/114868821/.shtml

بالحزب موقف شيخ الأزهر في مطالبته نجاد بوقف نشر التشيع وعدم التدخل في الشأن السوري⁽³⁶⁾، ورفضت دعوة السفارة الإيرانية لحضور احتفالها بزيارة الرئيس الإيراني وأرجعتها إلى حرص إيران على نشر التشيع بإنشاء حسيّنات شيعيّة في سيناء، واضطهادها لأتباع المذهب السنّي في الأحواز الإيرانيّة⁽³⁷⁾.

ويكشف رفض الجماعة الإسلاميّة، ومن قبلُ الدعوة السلفيّة حضور هذا الاجتماع، أنّ هناك تفاهات وتوافقات بين التكوينات السلفيّة المختلفة وأنه رغم اختلافها توجهاتها أحيانا فإنّه لا يمس الثوابت الأصليّة المتمثلة في النظر إلى الشيعة بوصفهم آخريّة مواجهة الأنا السنّيّة، وأنّ التقريب المحمول على المصالح لا يمكن أن يصل إلى إلغاء هذه الثنائيّة أو حتّى تقليصها.

قراءة تحليليّة في خطاب الفتاوى

من يتابع خطاب الإفتاء المذهبيّ بشقيّه الرسميّ والسلفيّ يجد أنه يدور في دوائر محدّدة، وبالتالي يمكن تصنيف الفتاوى في مجموعات كلّ منها يعالج مسألة بعينها، فهناك تساؤلات ترتبط بمن هم الشيعة والظلال التاريخيّة للصراع معهم، وتساؤلات ترتبط بالمعاملات وحدودها انفتاحا أو انغلاقا، وتساؤلات تتعلق بجدل

(36) البوابة الرسميّة للجماعة الإسلاميّة، المستشار الإعلاميّ لحزب البناء والتنمية يشيد بموقف الأزهر ويطالب إيران بالتخلي عن الطائفية، موقع البوابة الرسميّة للجماعة الإسلاميّة.

<http://eigportal.com/index.php>

(37) كامل كامل، الجماعة الإسلاميّة ترفض دعوة الرئيس الإيرانيّ للحوار، اليوم السابع.

<http://www.youm7.com/News.asp?NewsID=936001>

الشريعة والمسألة المذهبية في خطاب الإفتاء الرسمي والسلفي في مصر

السياسي والديني، وأخرى تدور في فلك التقريب والتشيع. وقبل أن نمضي في بيان ذلك ينبغي أن نشير إلى أن منهجية الإفتاء تختلف كثيرا بين دار الإفتاء وغيرها من التيارات السلفية حيث تلزم دار الإفتاء نفسها بوضع مبادئ لكل فتوى تبرر الأخذ بهذا الرأي، كما أنها تلجأ دائما إلى إيراد الأدلة الشرعية من النصوص القرآنية والحديثية في نص الفتوى، أما الخطاب السلفي فيتميز - في الغالب - بالاختصار في الإجابة والاكتفاء بإيراد الحكم دون الأدلة الشرعية التي يستند إليها، وقد يكون في فتاوى موقع صوت السلف الذي يشرف عليه الشيخ ياسر برهامي نموذجا جيدا يوضح ذلك.

لعل أكثر التساؤلات تكررا في الفتاوى هو الذي يطلب تعريف من هم الشيعة وما المقصود بالمذهب الشيعي، ورغم وضوح السؤال واستناد جميع المفتين إلى مرجعية واحدة في الإجابة هي المرجعية السننية فإن الإجابات تتفاوت إلى حد بعيد، فالشيخ علي جمعة حين سئل عن الحكم الشرعي في المذهب الشيعي أجاب بأن «الشيعة فرقة من الفرق الإسلامية التي تقر بوحدانية الله تعالى ونبوة ورسالة كل الرسل والأنبياء وعلى رأسهم وفي مقدمتهم محمد رسول الله صلوات الله وتسليماته عليه وآله، وإنهم يقرؤون القرآن وقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة إلى آخر أركان الإسلام وتعاليمه، وإن كانوا يختلفون عن أهل السنة والجماعة في الفروع الفقهية وغيرها إلا أن الجميع متفق على الأصول الثابتة للدين الإسلامي الحنيف»⁽³⁸⁾.

(38) دار الإفتاء المصرية، الفتاوى الصادرة عن دار الإفتاء المصرية، القاهرة، 2010، مج 28، ص 144-145.

فاطمة حافظ

أمّا الشيخ خالد عبد المنعم الرفاعي وهو أحد علماء الدعوة السلفيّة ومن أنجب تلاميذ الشيخ محمد عبد المقصود فيعرّف الشيعة بقوله: «الرافضة طائفة كفريّة جمعت بين الشرك والحمق وقلة العقل فاعتقدوا عصمة أهل البيت رضي الله تعالى عنهم وعصمة ذريتهم وتقربوا لله بسبّ أبي بكر وعمر وسائر الصحابة ويقذفون أمّ المؤمنين عائشة فهذا دينهم الذي يدينون به»، ولا يشذ الشيخ ياسر برهامي كثيرا فحين سئل عن المذهب الجعفريّ وهل يمكن اعتباره مذهباً إسلامياً خامساً أجاب بقوله «نُسويهم بمذاهب أهل السنّة!! هذا ممّا لاشكّ في بطلانه»⁽³⁹⁾.

فيما يذهب فقهاء أنصار السنة المحمديّة إلى أنّ الأُمَّة الإسلاميّة تفرقت إلى ثلاثة وسبعون شعبة فمنها المعتزلة والجهميّة والرافضة والمرجئة وهؤلاء جميعاً من فرق الضلال الموعودة بالنار لانحرافها عن الحق. أمّا أهل السنة فهم وحدهم الفرقة المنصورة الناجية إلى قيام الساعة حيث أنهم وسط بين أهل الغلو والتفريط من الفرق الإسلاميّة الأخرى⁽⁴⁰⁾.

يجنح الشيخ أسامة حافظ - من فقهاء الجماعة الإسلاميّة - إلى الاقتراب من تعريف الشيخ علي جمعة بشكل أو بآخر حين يجيب بأن الشيعة الإماميّة أكثر فرق الشيعة انتشاراً وأنهم يخالفون أهل

(39) الشيخ ياسر برهامي، فتوى بعنوان: من هم الشيعة الإثنا عشرية؟ موقع طريق السلف.

<http://www.alsalafway.com/cms/fatwa.php?action=fatwa&id=1172>

(40) الشيخ محمد صفوت نور الدين، الشيخ صفوت الشوايفي، د. جمال المراكبي، فتوى بعنوان: الجهميّة والرافضة والمعتزلة والمرجئة، الموقع الرسمي لجماعة أنصار السنة المحمديّة .

<http://www.ansaralsonna.com/web/play-1374.html>

الشيعية والمسألة المذهبية في خطاب الإفتاء الرسمي والسلفي في مصر

السنة في مسألتين هما الاجتراء على الصحابة واعتقادهم بعصمة الأئمة «أما ما عدا ذلك من مسائل مختلف فيها (فالاخلاف) محتمل، وقد ناقش الشيخ ابن تيمية مذهبهم مناقشة مستفيضة.. ولم يكفرهم في ما أعلم»⁽⁴¹⁾ في هذه الجزئية الأخيرة يختلف الشيخ أسامة عن فقهاء الدعوة السلفية الذين يذهب بعضهم إلى حدّ تكفير أحاد الشيعة الذين يعتقدون في ألوهية الإمام عليّ أو القول بتحريف القرآن⁽⁴²⁾، فضلا عن اختلافه مع أنصار السنة المحمدية التي تذهب إلى كفر من قذف السيدة عائشة لأنّ القرآن برّأها من الفاحشة ومن ظنّ بها سوء فكأنه غير مصدّق للقرآن⁽⁴³⁾.

تعتمد كثير من الفتاوى، خاصّة في الخطاب السلفي على آية الاستدعاء التاريخي حيث تستحضر كثير من النقول والاستشهادات لفقهاء أهل السنة والجماعة في العصر الإسلامي الوسيط ويتمّ الاستناد إلى نصوص ابن تيمية وغيره للتأكيد على فساد المعتقدات الشيعية وانحراف أهلها عن جادة الإسلام، كما يتمّ استدعاء وقائع تاريخية كواقعة تعاون ابن العلقمي الشيعي مع التتار أثناء زحفهم على عاصمة الخلافة العباسية وهذه ليست وقائع تاريخية انقضت فالشيعية

(41) الشيخ أسامة حافظ، فتوى بعنوان: بيان الاختلاف بين أهم فرق الشيعة وأهل السنة والجماعة، موقع الجماعة الإسلامية .

<http://www.egyig.com/Public/articles/fatwa/755204639/.shtml>

(42) الشيخ ياسر برهامي، فتوى بعنوان: من هم الشيعة الإثنا عشرية؟ موقع طريق السلف.
<http://www.alsalafway.com/cms/fatwa.php?action=fatwa&id=1172>

(43) عبد الرحمن جمال المراكبي، وفيات مع حادثة الإفك الجديدة، الموقع الرسمي لجماعة أنصار السنة المحمدية.

<http://www.ansaralsonna.com/web/play-1927.html>

فاطمة حافظ

يتحملون وزر الكوارث التي حلت بالإسلام على مدار التاريخ الإسلامي «فما من بليّة ولا رزية حلت بالإسلام والمسلمين، إلا وللشيعة فيها يد ظاهرة أو خفية، فتاريخ الشيعة مع أهل السنة حالك السواد على مدى الأربعة عشر قرناً الماضية: من المكر، والوقيعه بالمسلمين، والطعن في ثوابت الإسلام، والغلو في أئمتهم، وتكفير عامة الصحابة، والذي يلزم منه ردّ الشرع رأساً، مع أنهم من أجهل الخلق، وأنهم ليس لهم عقل، ولا نقل، ولا دين صحيح»⁽⁴⁴⁾، وهذا الاستدعاء التاريخي المزدوج يؤدّي عدداً من الوظائف وأولها تأكيد استمرارية الصراع التاريخي وأنه لا يمكن القفز عليه بسهولة، وثانيها رسم صورة ذهنية للأخر يبدو فيها ملوثاً بدماء أهل السنّة ومتآمراً مع أعدائها وثالثتها التأكيد على استحالة تحقيق تقدم على صعيد التقارب المذهبيّ السنّي الشيعيّ.

من الطبيعي أن تتسحب تلك الرؤى والتعريفات النظرية على الموقف من التعاملات اليومية بين أهل المذهبين فيميل خطاب دار الإفتاء الرسميّ إلى الانفتاح على حين يغلب على الخطاب السلفيّ التشدد والانغلاق ولننظر مثلاً في السؤال التالي: تقدم لابنتي شاب ميسور الحال قد رآها وأعجب بها ويريد أن يتزوجها وهو مسلم شيعيّ وابنتي مسلمة سنّيّة، فهل يجوز زواج مسلم شيعيّ من فتاة سنّيّة؟

ويجيب الشيخ علي جمعة بما نصّه: «الشيعة فرق عديدة منها المعتدل ومنها المغالي، والشيعة الإثنا عشرية وكذلك الزيدية جزء

(44) الشيخ خالد عبد المنعم الرفاعي، الدين لله والوطن لله والجميع عبيد لله والأمر والملك كله لله، موقع الهيئة الشرعية للحقوق والإصلاح.

الشريعة والمسألة المذهبية في خطاب الإفتاء الرسمي والسلفي في مصر

أساسي في الأمة الإسلامية، والخلاف بينهم وبين أهل السنة خلاف لا يضّر ومذاهبهم الفقهية تُدرس في الأزهر، بل ويفتى بها في بعض المسائل، وعلى ذلك وفي واقعة السؤال: إذا كان الشاب المتقدم لبنت السائلة واحدا من المعتدلين الذين أشرنا إليهم فإنه يجوز له الزواج من هذه الفتاة السنية لأنهما يدينان بدين واحد وإن اختلفا في بعض الفروع والأحكام الخلافية»⁽⁴⁵⁾.

أما الشيخ ياسر برهامي - وهو من كبار علماء الدعوة السلفية - فقد أجاب على مثل هذا السؤال بقوله: «الشيوعي الإثني عشري مبتدع من شر أهل البدع وعندهم عقائد كفرية كثيرة بل هناك من أهل العلم من يخرجهم نوعا وعينا (أي جماعات وفرادى) من الملة... فليس كفئا للمسلمة السنية لأن الكفاءة في الدين معتبرة اتفاقا فلا يجوز لها أن تقبله زوجا»⁽⁴⁶⁾.

لا يقتصر حظر التعامل بين أفراد المذهبين على علاقات المصاهرة التي تنتمي إلى المجال الخاص، بل يمتد إلى المجال العام فيحظر على الشيوعي أن يترشح في المجالس النيابية ويحرم من ممارسة حقوقه بوصفه مواطنا له كافة الحقوق والواجبات كما ينص الدستور، ولنتأمل جيدا في السؤال التالي:

أنا من بلدة في صعيد مصر بها رجل شيعي كان سنيا، وهو يظهر

(45) دار الإفتاء المصرية، الفتاوى الصادرة عن دار الإفتاء المصرية، القاهرة، 2010، مج 29، ص 371.

(46) ياسر برهامي، فتوى بعنوان: زواج المسلمة السنية من شيعي، موقع صوت السلف.

<http://www.salafvoice.com/article.php?a=4860>

على قنوات شيعية، وله محاضرات في مدينة «قم» بإيران، وفي هذه المحاضرات يدعو إلى المذهب الشيعي، ويسب أصحاب النبي (ص)... وقد قام هذا الشخص بترشيح نفسه لعضوية مجلس الشعب في بلدتنا، فلما علمنا ذلك، نشرنا بين الناس أقواله، وما يدعو إليه... ورغم ذلك كثير من أهالي البلدة يصرون على انتخابه، لأن هذا الرجل يستطيع من خلال موقعه أن يأتي لهم بوظائف وما شابه، ويقولون: «نحن نعرف أنه شيعي، لكن ما يهمنا هو أن يأتي لنا بوظائف، وأن يقدم لنا الخدمات». وعلى الرغم من ذلك أيضاً نحن وضعنا لهم التبعات التي تترتب على تمكين الشيعة في أي بلد من بلاد أهل السنة، وضررنا لهم الأمثال بما حدث في لبنان والعراق وغيرها، ولكنهم يصرون على موقفهم.

ويجب الشيخ ياسر برهامي أن «انتخاب هذا الرجل محرم ومنكر عظيم... والتمكين للشيعة في مصر أو غيرها خطر عظيم، وإثم لا يتصور من يعاون عليه. قدر الآثام التي سيكتسبها من جراء المعاونة على ذلك، وربما امتدت هذه الذنوب والآثام مئات السنين، وأجيال تلو أجيال تضل بسبب المعاونة على التمكين لشر أهل البدع»⁽⁴⁷⁾.

لا يقتصر الخطاب السلفي على حرمان الشيعي من حقه في الترشح في الانتخابات، بل يمتد إلى عدم السماح له بدراسة مذهبه ضمن المناهج التعليمية وفرض المناهج السننية عليه، فقد سئل الشيخ

(47) ياسر برهامي، فتوى بمنوان: معاونة أحد الشيعة على النجاح في انتخابات مجلس الشعب لما يقدمه من خدمات للأهالي، موقع صوت السلف.

الشيعية والمسألة المذهبية في خطاب الإفتاء الرسمي والسلفي في مصر

خالد عبد المنعم الرفاعي هل يجوز تدريس المذهب الشيعي لأبناء الشيعة في دولة ذات أغلبية سنية وبأي منطق يتم فرض المناهج السنية عليهم فأجاب بقوله: «يجب على ولي أمر المسلمين المحافظة على أديان الناس، وغلقت أبواب الشر عنهم، فأما السماح بتدريس منهج الرفض، فهو الشر بعينه. وقوله (أي السائل) لماذا تُفرض المناهج السنية عليهم؟ فجوابه: أنها تفرض لأن في ثناياها المنهج الحق، والقول الصدق، فلولي أمر المسلمين أن يفعل ما يعتقد صواباً، فالأدلة العقلية والنقلية قد توافقت وتواترت على صحة منهج أهل السنة القويم، وعلى ضلال منهج الشيعة الروافض السقيم العقيم»⁽⁴⁸⁾.

شكلت السياسات الإقليمية لحزب الله اللبناني وإيران موضوعاً للعديد من الفتاوى وكما ذكرنا من قبل فإن الجماعة الإسلامية وحدها من بين التيارات السلفية قد أقامت تمييزاً ما بين السياسي والديني فالشيخ أسامة حافظ في إحدى فتاواه التي سئل فيها عن حزب الله الشيعي ومواجهته لإسرائيل أجاب: «إننا نفرق بين وحدة الموقف ووحدة العقائد» فنحن وإن اختلفنا معهم في أشياء فإنهم الآن يحاربون معركتنا جميعاً كمسلمين فمسانداتهم واجبة على المسلمين. أما الشيخ ياسر برهامي من الدعوة السلفية فإنه حين سئل عن جواز القتال تحت راية الشيعة في مواجهة اليهود أجاب أنه لا يتصور أن يحافظ المسلم على دينه تحت راية هؤلاء، وأن حربهم لمصالح خاصة ليست

(48) الشيخ خالد عبد المنعم الرفاعي، فتوى بعنوان: الدين لله والوطن لله والجميع عبيد لله والأمر والملك كله لله، موقع الهيئة الشرعية للحقوق والإصلاح.

من مصالح الأمة الإسلامية⁽⁴⁹⁾. وحين سئل عن تفسير الدعم الشيعي للمقاومين الفلسطينيين وهل يمكن أن يكون نقطة انطلاق لتوحيد المواقف الإسلامية أكد أن الشيعة لهم طموحات في نشر مذهبهم، وتكوين ولاءات لهم في كل مكان، ومن ذلك فلسطين وأشار إلى أن «مداهنة» الفصائل الفلسطينية للشيعة تجلب الضرر، لا النفع فعليهم أن يبحثوا عن بديل آخر يقدم لهم الدعم غير «حزب الله الرفضى الخبيث»⁽⁵⁰⁾.

أسهم الخطاب السلفي المتشدد في رسم صورة ذهنية للشيعة داخل العقل الجمعي السنّي تجعل من مجرد وجودهم داخل المجتمع أمرا يهدد السلام الاجتماعي لما يكتنفه من مخاوف، وقد كشفت عدد من الفتاوى عن ذلك بوضوح فهذا سؤال من أولياء أمور إحدى المدارس (الدولية) في مصر يشي بتخوفهم من وجود بعض الطلاب الشيعة في المدرسة ويسألون عن الحكم الشرعي في ذلك⁽⁵¹⁾، وذاك سؤال آخري «هل يجوز قتل رجل شيعي إذا رأيناه يمشى وسطنا في الطرقات؟»⁽⁵²⁾ وثالث يدور حول جواز تقديم الطعام إلى شباب الشيعة⁽⁵³⁾، وما إلى

(49) ياسر برهامي، فتوى بعنوان: القتال تحت راية الشيعة ضد اليهود .

<http://www.salafvoice.com/article.php?a=3437>

(50) ياسر برهامي، فتوى بعنوان: تمزية الشيعة في وفاة قائد لهم، موقع صوت السلف .

<http://www.salafvoice.com/article.php?a=4800>

(51) دار الإفتاء المصرية، الفتاوى الصادرة عن دار الإفتاء المصرية، القاهرة، 2010، مج 28، ص 144.

(52) الشيخ سعيد عبد العظيم، فتوى منشورة على موقع أنا السلفي .

<http://www.anasalafy.com/play.php?catsmktba=23233>

(53) ياسر برهامي، فتوى بعنوان، إطعام الشيعة، موقع صوت السلف .

<http://www.salafvoice.com/article.php?a=2787>

الشريعة والمسألة المذهبية في خطاب الإفتاء الرسمي والسلفي في مصر

ذلك من فتاوى لا يعبر عن حالة الرعب التي ترتبط في الأذهان من الشيعة وحسب، بل يكشف أيضا عن غياب الحد الأدنى من المعرفة بحقيقة الشيعة وأنهم يشكلون جزءا من الأمة الإسلامية.

يبدو من مجموع الفتاوى السابقة أننا لسنا بصدد خطاب سنّي واحد إزاء المسألة المذهبية، بل نحن بصدد خطابات متعددة، فهناك خطاب رسمي في مقابلة خطابات سلفية تقترب وتبتعد من بعضها في مسائل السياسة وزوايا النظر إلى الشيعة إلا أنها تلتقي جميعا عند بعض الثوابت البنيوية من قبيل عدم التهاون في مسألة نشر التشيع أو تقليص الفوارق بين الأنا السنيّة والآخر الشيعي.

وتكشف الفتاوى عن حالة من التماهي التام بين المواقف السياسيّة المبدئيّة وبين الخطاب الدينيّ. ولا يختلف في هذا الخطاب الرسمي عن الخطاب السلفي فقد جاء الخطاب الإفتائيّ ترجمة أمينة وصادقة للمواقف السياسيّة بحيث يمكننا الادعاء أنّ هذه المواقف السياسيّة هي التي حكمت الخطاب الإفتائيّ وسيّرتة نحو الوجهة التي تريد، ولعلّ آية ذلك تراجع الشيخ علي جمعة عن آرائه المذهبيّة وجنوح الجماعة الإسلامية إلى النكوص على التمييز بين السياسيّ والدينيّ الذي حافظت عليه مدّة طويلة.

وإنّ أخطر ما تنطوي عليه هذه الفتاوى، في ما نظن، الصُورُ الذهنيّة التي تكرّسها في أذهان الجماهير والتي يستدعى فيها الموروث التاريخي والنصوص التراثيّة لترسم صورة معيّنة للشيعة يتمّ توظيفها في الصراع السياسيّ معهم. وهذه الصُورُ الذهنيّة قد ينتج عنها ما يهدّد السلام الاجتماعيّ المصريّ عاجلا أو آجلا.

شهادة: التشيع في مصر بين السياسة والاجتماع

سالم الصبّاغ (*)

مما لا شكّ فيه أنّ قضية التشيع والشيعة كانت على مدار التاريخ قضية حيّة، سالت من أجلها الدماء، وأعلنت من أجلها الحروب، ذلك لأنها تتعلق بأمر (الخلافة العظمى) للمسلمين، وهي القضية التي ذكرها الله في كتابه في قصة استخلاف آدم، ورفض إبليس، وهبوطهما إلى الأرض ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾، (البقرة/36). ومنذ هذه اللحظة والصراع على أشدّه، لم يهدأ لحظة إلاّ ليستعدّ لجولة أخرى من الصراع. والآن وبعد انتصار الثورة الإسلامية بإيران عاد الصراع من جديد متأججا، وخاصة بعد التطور العلمي التكنولوجي والنوويّ لها، وسياستها المعادية لإسرائيل وأمريكا، والداعمة لخطّ المقاومة.

(*) باحث إسلامي، متشيع مصري، تحوّل من المذهب السني إلى المذهب الشيعي ويعد من رموز الشيعة في مصر؛ وتشر هذه المادة كشهادة.

شهادة: التشيع في مصر بين السياسة والاجتماع

ووصل في اللحظة الراهنة لاستخدام أعداء الأمتين العربية والإسلامية قضية الاختلاف المذهبي بين المسلمين ، فاستغلوه بإشعال الفتنة المذهبية في كثير من البلدان، بتصدير ما يُسمّى بـ(المدّ الشيعي) في الدول السنية، وخاصة في مصر معقل المذهب السني والأزهر الشريف.

التشيع في مصر: أسبابه وتطوره في العقود الثلاثة الماضية

كان المذهب الشيعي مجهولاً تماماً في مصر حتى قيام (الثورة الإسلامية 1979) في إيران، حتى أن الكثيرين كانوا لا يفرقون بين الشيعة والشيوعية، والذي يعرف فهو أنه المذهب الذي يدعي أن (جبريل أخطأ فأنزل الرسالة على محمد بدلاً من عليّ) هذه الخرافة التي لا أساس لها في أيّ من كتب الشيعة فضلاً عن أنّ العقل يرفضها تماماً.

بل كان الكثيرون يعتقدون أنه من المذاهب التي اندثرت، ووجوده في كتب التاريخ، أو في المناطق المجهولة، ونستطيع القول إنّ التشيع في مصر مرّ بعدة مراحل:

المرحلة الأولى: الثورة الإسلامية الإيرانية (1979 م) وتداعياتها الفكرية.

المرحلة الثانية: ظهور حزب الله وانتصاره على إسرائيل.

المرحلة الثالثة: ظهور القنوات الفضائية وشبكات التواصل

الاجتماعي (الإنترنت).

المرحلة الرابعة: الثورة المصرية وثورات الربيع العربي والظهور العلني للشيعة.

المرحلة الأولى: الثورة الإسلامية الإيرانية (1979) وتداعياتها الفكرية

يمكن تحديد عام 1979 بدقة ووضوح بدايةً للظهور الشيعي في مصر في العصر الحالي، وسبب هذا التاريخ قيام الثورة الإسلامية بإيران، وما صاحبها من انقلاب الأوضاع في المنطقة العربية والإسلامية، بل الساحة الدولية، ولا نبالغ إذا قلنا إنه مع هذه الثورة بدأ طور جديد من الأطوار السياسية في المنطقة بل العالم، وبدأ الحديث عن الشيعة يملأ الفضاء الإعلامي.

تأثير الثورة الإيرانية في الحالة الإسلامية والشيعية في مصر

بالنسبة إلى مصر: كانت الجماعات الدينية في عنفوانها في هذه الفترة، ودخل معظمها في صراع مع الحكومة، وكان الهدف الرئيسي لها هو: تطبيق الشريعة الإسلامية، فلما أن فاجأت إيران العالم بهذه الثورة، انبهر التيار الإسلامي المصري بها في البداية، إذ كانت تمثل دعماً معنوياً له، وخصوصاً شعاراتها المرفوعة التي كانت كلها شعارات إسلامية وليست مذهبية وأهمها:

شهادة: التشيع في مصر بين السياسة والاجتماع

1- إعلان قيام الحكم الإسلامي في إيران.

2- إعلان فلسطين القضية المركزية للأمة العربية والإسلامية وما تبع ذلك من إغلاق السفارة الصهيونية وتحويلها سفارة لفلسطين.

3- إعلان إسرائيل العدو للإسلام وأنها غدة سرطانية يجب إزالتها.

4- رفض الهيمنة الأمريكية (الاستكبارية) على الشعوب الإسلامية (المستضعفة) واحتلال السفارة الأمريكية وتسميتها (وكر التجسس).

5- الدعوة إلى الوحدة الإسلامية، ورفض الفتنة المذهبية، ولقد كانت الكلمة المشهورة للإمام الخميني:

(إن من يفرق بين السنة والشيعة ليس بسني وليس بشيعي وليس بمسلم).

هذه الشعارات كانت مبررا قويا لتأييد الجماعات الإسلامية للثورة الإسلامية في إيران، وكانوا يطلقون على المؤيدين للثورة أنهم يتبعون (التشيع السياسي).

ودفعت هذه الثورة وهذه الشعارات العديد من المنتمين للتيارات الإسلامية إلى البحث في حقيقة الانتماء العقائدي لهذه الثورة، انتهت ببعضهم إلى اعتناق المذهب الشيعي، لا لوجود خطة إيرانية رسمية

لتصدير المذهب، بل بسبب ارتدادات طبيعية لزلزال الثورة الإسلامية في إيران.

الحرب العراقية الإيرانية والتشويه الإعلامي للمذهب الشيعي

ولكن من جهة أخرى، وفي أثناء الحرب العراقية الإيرانية في الثمانينات وبسببها بدأت حملة شعواء على هذه الثورة ومحاوله تشويهها عن طريق الطعن في (المذهب الشيعي)، وامتلات أسواق الكتب بعشرات الكتب ومئات المقالات التي تهدف إلى تشويه المذهب الشيعي، من اعتباره مذهبا معاديا لأهل السنة، إلى اعتباره أحيانا دينا آخر غير الدين الإسلامي، ومن أمثلة الكتب التي تمّ ترويجها في هذا الإطار، كتاب (الخطوط العريضة لدين الشيعة) لمحب الدين الخطيب، وعنوان الكتاب يحمل (رسالة) لمن يهمه الأمر بأن الشيعة دين آخر غير الدين الإسلامي، وغير هذا من الكتب لآخرين معاصرين، مثل الكاتب الباكستاني (إحسان إلهي ظهير)، وللأسف الشديد أعاد الأزهر الآن طبع كتاب (الخطوط العريضة) وتمّ توزيعه على نطاق واسع مجاناً مع مجلة الأزهر، لمواجهة ما يُسمّى (بالمذّب الشيعي في مصر). وكان كلّ ما يصدرونه للناس عن الشيعة هو:

- أن الشيعة يعبدون القبور (قبوريّون).
- أن الشيعة يكفرون كبار الصحابة.
- أن الشيعة يتهمون السيدة عائشة.

شهادة: التشيع في مصر بين السياسة والاجتماع

. أن الشيعة كفار مشركون.

. أن الشيعة عندهم قرآن آخر.

وهكذا حاولوا بكل الطرق وبكافة الأساليب، استخراج أسوأ ما في كتب التاريخ، للاغتيال المعنوي لشخصية أمة كبيرة من المسلمين وتجاهلوا ما أعلنه زعماء الثورة من مبادئ الوحدة والتقريب والتعايش.

ولكن ما نتيجة هذه الحملة؟

نتيجة الحملة على الشيعة في مصر

الحقيقة أنها جاءت بنتائج عكسية في وقتها، بل ساعدت على

المد الشيوعي، ولكن لماذا؟

حيث إن الحالة الإسلامية بمصر في هذا الوقت كانت تموج بالمناقشات الفكرية الدينية بين أفراد الجماعات لمعرفة أي الجماعات على الساحة المصرية تملك الحقيقة، ودخل المذهب الشيعي على خط الأفكار المطروحة للمقارنة وكانت الجماعات الموجودة كثيرة ومنها على سبيل المثال:

. جماعة التكفير والهجرة.

. الجماعة الإسلامية.

. جماعة الجهاد.

. جماعة الإخوان المسلمين.

. الناجون من النار.

وغيرها من الجماعات، التي دخل معظمها المعتقلات في عام 1981 (اعتقالات سبتمبر 1981) وهي الاعتقالات التي قام بها السادات وشملت كلَّ التيارات، المدنيّة والدينية، هذه المعتقلات التي دارت فيها مناقشات دينية على نطاق واسع أدت إلى خروج كثيرين من هذه المعتقلات، وعندهم قناعة تامّة بضرورة مراجعة ما هم عليه من فكر ومعتقدات، وفي هذا المناخ الملائم لمناقشة أيّ فكر تمّ طرح قضية المذهب الشيعي. وسرّت قضية ضرورة مناقشة هذا الفكر سريان النار في الهشيم على حدّ تعبير أحد أفراد هذه الجماعات لي!!.

معرض الكتاب الدولي ونشر المذهب

والعجيب، ونظرا لعدم وجود كتب من مؤلفات علماء الشيعة في مصر، فإنّه من خلال الكتب التي تهاجم المذهب الشيعي أمكن معرفة عقائد الشيعة، وبعض المسائل الفقهية التي هي موضع اختلاف عن أهل السنة وكانت المشكلة الحقيقيّة التي تواجه الباحث هو عدم وجود الكتب والمراجع الشيعية لاسيّما في غياب قنوات فضائية في الثمانينات، وعدم وجود شبكات التواصل الاجتماعي (النت) و(الفيسبوك)، إلا أن معرض الكتاب الدولي تكفل بحلّ هذه المشكلة آنذاك.

وكان أهمّ الكتب الشيعية المطروحة كتاب (المراجعات) وهو حوار بين العلامة الشيعي السيد عبد الحسين شرف الدين، وشيخ الأزهر الشيخ سليم البشري في أربعينيات القرن الماضي، وانتشر

شهادة: التشيع في مصر بين السياسة والاجتماع

الكتاب انتشارا مذهلا، وحقاً له فهو كتاب قيّم له أسلوب راقٍ في الحوار، ويعتمد الطريقة التي تعتمدها الجماعات الإسلامية في الحوار وهي (الدليل الشرعي) آية قرآنية أو حديث نبويّ.

وبدأ بعض شباب الجماعات الإسلامية يقتنع بالمذهب الشيعي ويدعوه، دون الاتصال بأحد من علماء الشيعة، أو أيّ اتصال بإيران، فالمدّ الشيعي، إن صحت التسمية في هذا الوقت، ناتج عن التأثيرات المعنويّة للثورة الإسلامية في إيران، وليس عن طريق مشروع عمليّ إيراني لتصدير الثورة.

دور الاعتقالات في نشر المذهب

وساعد أيضا على انتشار المذهب قيام مباحث أمن الدولة باعتقالات واسعة النطاق لكل الشيعة الموجودين في مصر، على خلفية الولاء لإيران وثورتها الإسلامية، وعلى خلفية معارضة الحرب العراقية على إيران (زمن صدام)، وتم وضعهم مع باقي الجماعات داخل السجون، مع شنّ حملة إعلامية واسعة ضدهم وضد المذهب، وكل هذا أدّى إلى طرح موضوع التشيع على الجماعات داخل المعتقلات، طرح الأدلة التي كانت مجهولة تماما بالنسبة إليهم.

كانت هذه هي المرحلة الأولى وبداية دخول المذهب الشيعي لمصر بعد قيام الثورة الإسلامية في إيران.

المرحلة الثانية: ظهور حزب الله كقوة مقاومة إسلامية ضدّ العدو الصهيوني

وجاءت حرب 2006 التي صمد فيها حزب الله أمام العدو الصهيوني، ومن ثمّ هزيمة إسرائيل وانسحابها دون تحقيق أهدافها، وكذا الشخصية الكاريزميّة للسيد حسن نصر الله، وحديثه بخطاب وحدويّ إسلامي، لا مذهبي، وقيامه بمساعدة المقاومة الإسلامية في فلسطين مع أنها سنية المذهب، كلّ هذا كان أقوى من حملة التشويه للمذهب الشيعي، وساعدت الكثيرين على البحث عن حقيقة المذهب الشيعي وما يكتب عنه.

عندما سألت أحد الشباب المتشيع حديثاً: لماذا تشيعت؟ قال لي: لأنّ حزب الله وهو شيعي المذهب هو الذي حقق النصر على إسرائيل، في حين أنّ الدول العربية السنية الكبرى عقدت اتفاقيّات سلام مع العدو الصهيوني، وأعلنت أنّ حرب 1973 هي آخر حرب مع الكيان الصهيوني، والروايات الشريفة قد أخبرتنا عن ضرورة قيام معركة أخيرة بين اليهود والمؤمنين. فاستنتج أنّ المؤمنين هؤلاء هم من حزب الله، فعقيدتهم سليمة وليس صحيحاً ما يقال عن كفرهم وضلالهم.. هكذا ببساطة قام هذا الشاب بمعادلة منطقيّة ذات مقدمات ونتائج ووصل إلى هذه النتيجة، فالواقع السياسي بعد خروج مصر من ساحة المواجهة بعقد اتفاقيّة كامب ديفيد مع إسرائيل يدل على أنّ إيران وحزب الله هما اللذان سيحاربان اليهود وينتصران عليهم.. هكذا كانت نظرة هذا الشاب إلى الأمور.

المرحلة الثالثة: ظهور القنوات الفضائية الشيعية والإنترنت

كان للقنوات الفضائية، وكذا الإعلام الرقميّ والعالم الافتراضي المتمثل في الإنترنت والفيديو، أثر كبير على كسر حواجز المعرفة بين الشعوب والثقافات ولقد قلل ذلك من أهمية الكتاب في نشر المذهب الشيعي فلقد كان الشغل الشاغل لرجال الأمن حينما يذهبون إلى بيوت الشيعة في مصر لتنفيذ قرارات الاعتقال، البحث عن الكتب والمؤلفات الشيعية، لا البحث عن أسلحة أو ما شابه من أدوات الإرهاب، إذن كان (الكتاب) في هذه المرحلة هو السلاح الذي يمتلكه الباحث عن الحقيقة وبيحث عنه، ويصادره أعداء الحقيقة، وكان دليل الاتهام أمام القضاء، واختلف الأمر الآن فالقنوات الشيعية خاصة تلك الصادرة من إيران، وما تقدمه من فكر إسلامي بطريقة هادئة وليست متشنجة، ودعوتها المستمرة للتقريب بين السنة والشيعة، كذلك ما تقدمه من برامج ومسلسلات وأفلام درامية ذات قيمة عالية مثل: (يوسف الصديق - مريم المقدسة - أهل الكهف - النبي سليمان وغيرها) ناهيك عن المسلسلات والأفلام الاجتماعية.. كل هذا ساعد على تصحيح الصورة المغلوطة التي تمّ بها تصوير المذهب الشيعي وكذا عن إيران، إذا ما قورن هذا بما تقدمه القنوات العربية من البرامج والأفلام والمسلسلات معظمها هبوط وإسفاف.

قنوات الفتنة المذهبية وتأثيرها السلبي

ورغم التأثير الإيجابي لمرحلة القنوات الفضائية، فإنّ هناك

سالم الصبأغ

أيضاً تأثيراً سلبياً لقنوات الفتنة المذهبية وأكثرها سلفية تبتّ على مدار ساعات الليل والنهار للشحن الطائفي والمذهبي، وهذا أدّى إلى حدوث حالة من الكراهية بين المسلمين أثرت في نظرة عوام الناس في مصر إلى الشيعة والتشيع.. وساعد على ذلك قناة أو قناتان شيعيتان، من قنوات الفتنة أيضاً مجهولة المصدر تبتّ من العاصمة البريطانية لندن.. بل وصل تأثيرها السلبي إلى كثير من البلدان العربية التي يوجد فيها تنوع مذهبي.

كذلك من الأمور ذات التأثير السلبي في التشيع في مصر، انتقال بعض الخلافات (الشيعة الشيعية) في العالم العربي وخاصة بين بعض العلماء الشيعة إلى الساحة المصرية، بما يحمله بعض هؤلاء من نظرة مذهبية تصادمية ضيقة.

المرحلة الرابعة: الثورة المصرية وثورات الربيع العربي والظهور العلني للشيعة

لقد كان للثورة المصرية (25 يناير 2011)، وكذلك لثورات الربيع العربي، بما حملته من يقظة للشعوب العربية، ومطالبتها بالحرية والعدالة الاجتماعية، دور مهمّ في إتاحة الفرصة للشيعة في مصر للتعبير عن أنفسهم بصورة علنية عن طريق:

. المطالبة بإنشاء أحزاب مثل (حزب التحرير) الذي تمّ رفضه من المحكمة لأسباب إجرائية حسب قرار المحكمة.

شهادة: التشيع في مصر بين السياسة والاجتماع

. إنشاء جمعيات أهلية لخدمة المجتمع والتفاعل معه.

. إنشاء مواقع وصفحات على الفيسبوك.

. إقامة الاحتفالات الدينية الشيعية.

كل ذلك بالإضافة إلى ما نتج عن هذه الثورات من المطالبات الشعبية بالحريات العامة وخاصة حرية الاعتقاد، وحقّ المواطنة.. كل ذلك أدى إلى ظهور الكيان الشيعي في مصر على سطح الحياة الإعلامية.. وأصبحت الموضوعات المتعلقة بالشيعة والتشيع في مصر من الموضوعات الحيّة رغم تناول الإعلام لها بصورة سلبية.. بل وأصبحت الحقوق الإنسانية لشيعة مصر مثار مطالبات من المنظمات الحقوقية بوقف الاضطهاد للشيعة في مصر.

ثانيا: التشيع في مصر والسياسة

تأثرت العلاقة بين التشيع في مصر والسياسة بعدة عوامل:

الارتباط بين التشيع مذهباً وإيران الإسلامية

إنّ علاقة التشيع في مصر بالسياسة هي نتيجة مباشرة لارتباط التشيع بإيران الإسلامية بسبب ثورتها وبسبب قيام حكومة ولاية الفقيه فيها، فأصبحت الممثل الرسمي للمذهب الشيعي في العالم، سواء رضيّ الناس بهذه العلاقة أو لم يرضوا، وسواء كانت صحيحة أو خطأ، وبسبب التأثير بالمواقف السياسية للثورة الإسلامية في إيران.

فعندما كانت إيران في عصر الشاه جزءاً من المشروع الأمريكي والصهيوني في المنطقة، كانت العلاقات السنية الشيعية في العالم العربي على أفضل ما يكون، وخاصة في العهد الملكي عندما تمت المصاهرة بين الشاه وبين الملك فاروق آخر الملوك المصريين، في هذا الوقت أي في الأربعينيات تم إنشاء دار للتقريب بين السنة والشيعية ومقرها القاهرة، وصدرت مطبوعات مشتركة للتعريف بنقاط الاتفاق بين المذهبين وهي أكثر من 90% من الموضوعات الفقهية وكذلك تم إصدار مجلة الرسالة عن دار التقريب هذه، يكتب فيها علماء من المذهبين، بل كان الرئيس المصري جمال عبد الناصر يتبنى مشروع التقريب هذا ويستقبل أعضائه أحياناً، ولا ننسى أن السيدة تحية كاظم زوجة الرئيس كانت شيعية، أو على الأقل من أسرة شيعية.

المدّ الشيعي في مصر ضجة سياسية مفتعلة

ولكن بعد الثورة الإسلامية الإيرانية ومواقفها من أمريكا وإسرائيل، وبعد الحرب العراقية الإيرانية قام الإعلام بالتسويق لفكرة المدّ الشيعي في العالم العربي، وتم تبني هذا الشعار في مصر، واستخدامه فزاعةً للتخويف من التشيع والشيعية في مصر، وأنا أرى أن هذه الفكرة ليست دينية ولكنها فكرة سياسية مرت بعدة مراحل:

المرحلة الأولى: شعار (تصدير الثورة)

وكان الهدف منه إخافة الدول العربية وخاصة الخليجية من تصدير إيران للحالة الثورية إلى شعوبها، وليس الحالة الدينية

شهادة: التشيع في مصر بين السياسة والاجتماع

الشيعة، وخوفاً من أمريكا والغرب من أن تنتقل حالة العداء لها إلى شعوب الدول العربية المجاورة، وتقوم بثورات مشابهة، فتمّ اختراع هذا الشعار وتسويقه عربياً وخليجياً، لاستجلاب العداء للثورة الإيرانية، وتصدير الخوف لدول الخليج وللدول العربية.

المرحلة الثانية : شعار (العدو الفارسيّ)

وكان الهدف منها أن يصطف القوميون العرب إلى جانب العراق في حربه مع إيران، ولكن تمّ خرق هذا الشعار بتأييد سوريا (حافظ الأسد) للجانب الإيراني في حربه مع العراق، وذلك بسبب الخلافات التي كانت قائمة بين حزبي البعث الحاكمين في كلٍّ من العراق وسوريا، كذلك لم يكن أحد يؤمن بأنّ صدام حسين وحزب البعث العراقي يمثلون الإسلام في مواجهة ما سمي بالعدو الفارسيّ، فالذي تلقاه الإسلام والمسلمون على مدار أكثر من ثلاثين عاماً من صدام وحزبه يفوق الخيال، وحسبك ما حصل من غزو صدام للكويت وانتهاك كلّ المحظورات بهمجية.

المرحلة الثالثة : (شعار العدو المجوسيّ)

وكان الهدف منه استقطاب المتدينين والإسلاميين العرب إلى صف العراق في حربه ضدّ إيران، على اعتبار أنّ الحرب هي حرب دينية، يمثل فيها صدام (الإسلام السني) وتمثل فيها إيران (المجوس الكفرة عبدة النار)، انتهى هذا الشعار بانتهاء الحرب العراقية الإيرانية، وانقلاب صدام حسين على الدول التي ساعدته

في الحرب (الكويت والسعودية)، بغزوه الكويت، واحتلالها واعتبارها إحدى محافظات العراق، وبضربه للسعودية بالصواريخ، كلّ هذا أدّى إلى خلط الأوراق في المنطقة، ومازالت حتى الآن كذلك.

المرحلة الرابعة: (شعار المدّ الشيوعي) أو الفتنة

المذهبية:

وكان الهدف من رفع هذا الشعار هو تدشين سلاح جديد للغرب هو سلاح (الفتنة المذهبية) وذلك بعد فشل الاحتلال الأمريكي للعراق، وكذلك أفغانستان، وبعد قيام معادلات ردع من حزب الله ضدّ إسرائيل، وتنامي قوته، وعجز أمريكا عن وقف المشروع النووي الإيراني السلمي بشهادة وكالة الطاقة الذرية الدولية، فوجدت أمريكا والحلف الغربي أنّ سياسة (فَرَّقْ تَسُدَّ) الاستعماريّة القديمة يجب إعادة إنتاجها تحت اسم (الفتنة المذهبية) حتّى يتولى العرب والمسلمون تصفية أنفسهم بأنفسهم، فاستخدموا شعار (المد الشيوعي)، وهذا ما نراه في الفتنة المذهبية في سوريا التي لا يعرف القاتل فيها لم قتل! ولا المقتول فيم قتل!!

والغريب أنّ هذا الشعار حاولوا تسويقه في مصر، رغم أنّ نسبة الشيعة المصريين لا تتعدّى 2% من عدد الشعب المصري على أحسن التقديرات حيث إنه لا تقدير حقيقيّ لعدد الشيعة المصريين نظرا للاضطهاد الشديد الذي يتعرضون له ممّا يضطرهم إلى إخفاء مذهبهم حتّى عن أسرهم بعد حملة الاغتيال المعنويّ التي تقوم بها قنوات الفتنة

شهادة: التشيع في مصر بين السياسة والاجتماع

المذهبية، والاعتقالات التي تعرضوا لها على مدار العقود الثلاثة الماضية. ولا أرى لهذه المحاولات - (وهم المدّ الشيعي في مصر) - من هدف إلا استدراج الأزهر الشريف الممثل للإسلام الوسطي، بل ولكل المسلمين في العالم، ليكون مرجعية للعالم السني في مشروع الحرب المذهبية في المنطقة، وهذا ما قام به الأزهر في الآونة الأخيرة، عندما عقد اجتماعا مع زعماء التيارات الإسلامية في مصر (السلفية - الصوفية - الإخوان - الأزهر - الأشراف)، لإعلان وقوفهم ضدّ المدّ الشيعي في مصر، وتم نقل المؤتمر على الهواء مباشرة في القنوات الفضائية، وتمّ عمل مؤتمر صحفي كبير وتُلي البيان فيه.. وقامت الصحف القوميّة وغيرها بوضع بيانات هذا المؤتمر في عناوينها الرئيسية.

إنّ حجم هذه الحملة لا يتناسب إطلاقا بأيّ حال مع حجم الحالة الشيعية في مصر!! ولا مع نشاطهم!! وهذا دليل على أنّ المقصود منها هدف آخر!! والهدف واضح تماما وهو استبدال العدو الإيراني الشيعي بالعدو الصهيوني في الصراع الوجودي بين العرب والصهاينة في فلسطين المحتلة، ولذلك فقد بدأ التيار السلفي يروج للمقولات الآتية:

- الشيعة أخطر من اليهود. الشيعة غدة سرطانية، يجب ملاحظة أن هذا الشعار الأخير كان لصيقا دائما بالعدو الصهيوني.

وتناسى هؤلاء قوله تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ﴾، (المائدة/82).

وتناسوا أنّ الشيعة يتفقون مع أهل السنة في أركان الإسلام

الخمسة: الشهادتين والصلاة والزكاة والحج والصوم.

وتناسوا أيضا الحروب التي خاضتها إسرائيل ضد العرب، وضد مصر خاصة، والتي فقدت فيها مصر عشرات الآلاف من الشهداء، ومازال الفلسطينيون يعانون الولايات من العدو الصهيوني.

إن تحويل الصراع العربي الإسرائيلي إلى صراع عربي إيراني هدف هذه المرحلة التي نعيشها، حتى سمعنا عجباً أن أحد القيادات الصهيونية في أثناء حرب 2006 على حزب الله يدعو إلى إنشاء تحالف (سني - إسرائيلي) لمواجهة الشيعة.

الوضع السياسي للشيعة في مصر بعد الثورة

بعد الثورة في 25 يناير 2011 بدأ شيعة مصر ككل الأطياف والمجموعات والأحزاب والتيارات في الإعلان عن أنفسهم، وخاصة بعد أن رفعت الثورة شعار الحرية والكرامة الإنسانية والعدالة الاجتماعية، ومن أهم هذه الحريات:

- حرية الاعتقاد.

- حرية التعبير.

- حق المواطنة.

في هذا الإطار تمت محاولات شيوعية لتجميع الشيعة في مصر ليظهروا فوق سطح المجتمع، ويتنفسوا نسيم الحرية كباقي أطياف الشعب المصري، وليتعارفوا، وليخططوا لمستقبلهم كمصريين في

شهادة: التشيع في مصر بين السياسة والاجتماع

مجتمع مصري لهم الحقوق نفسها وعليهم الواجبات نفسها، كما حدث في كل التيارات على الساحة المصرية التي خرجت إلى النور وشكلت أحزابها وتنظيماتها، وفي هذا الإطار تمّ الآتي:

1- السعي لإنشاء حزب سياسي، لا ديني، يفتح بابه لكل التيارات (إسلامية/ مسيحية/ يسارية).

2- ولقد تمّ إنشاء هذا الحزب فعلا وتم تقديم أوراقه، ولكن تمّ رفضه لأسباب إجرائية وقامت المحكمة بتأييد رفض قيام الحزب.

3- إنشاء عدد من الجمعيات الأهلية لتقديم الخدمات للمجتمع بهدف عدم انعزال الشيعة وتوقعهم داخل ذواتهم بفعل الهجمة الشرسة والاضطهاد الذي يتعرضون له، ولتفاعلوا مع البيئة المحيطة بهم، حتى يتقبلهم المجتمع ويتفهمهم، وتتغير الصورة المخيفة التي رسمها الإعلام لهم.

4- الدخول إلى العالم الافتراضي (الإنترنت والفيسبوك) بعد أن ضاق عليهم العالم الواقعي، ولا ننسى الدور الرئيس الذي قام به هذا العالم الافتراضي في الثورات العربية والثورة المصرية، وها هم أولاء الشيعة المصريون يمتلكون عشرات المواقع ومئات المجموعات وآلاف الصفحات، ممّا أدى إلى التعارف بينهم وعدم شعورهم بالغرابة، وفي المجال السياسي أدى هذا العالم الافتراضي إلى مناقشة الأحداث السياسية من منطلقات مختلفة، أو لنقل متميزة، عما هو مطروح من الآخرين، وأحيانا متفقة، فهذا متسق مع تأثير الانتماء

الفكري والعقائدي على الرؤية السياسية للفرد.

5- إقامة الاحتفالات بالمناسبات الدينية، وهي كثيرة لدى الشيعة، في هذه الاحتفالات تتعارف الأسر ولا يشعر الأبناء بالغربة داخل المجتمع، ويتم تصحيح المفاهيم، ونشر أهمية معرفة أخلاقيات الرسول الأعظم صلوات الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام، والتخلق بأخلاقهم، واعتبارهم قدوة للأمة في جميع المجالات، وكم هي مليئة سيرة أهل بيت النبوة بالأحداث والمواقف السياسية، فهم كانوا يمثلون المعارضة في الحياة السياسية على مدار التاريخ الإسلامي، وخاصة قصة استشهاد الإمام الحسين عليه السلام في عاشوراء، وما فيها من الرسائل المهمة من مقاومة الظلم، والاتّصاف بالشجاعة، والإباء، والعزة، والكرامة، وتعميق مفهوم الشهادة والشهداء، وما فيها أيضا من دروس سياسية كبيرة جدًا هذا لو استفادت منها الأمة، ولم تحجب عنها.

6- ولو خلعت الأمة عن أعينها النظارة المذهبية، واعتمدت لغة التقريب والوحدة بدلا من لغة التشرذم والتفرق، ولو استبدلت بقضية (الخلاف) بين السنة والشيعة الـ«تنوع» الذي يثري الثقافة العربية والإسلامية، لأصبح الشيعة إضافة إلى الرصيد العربي والإسلامي، لا خصما من هذا الرصيد ولأصبح الشيعة جزءا من حلّ المشكلات العربية والإسلامية بدلا من أن تكون جزءا من المشكلة، فالشيعة ليسوا إيران فحسب، فهم في العراق والدول الخليجية وسوريا وغيرها من دول العالم، وهي ليست قضية مستحدثة فعمرها هو عمر الإسلام

شهادة: التشيع في مصر بين السياسة والاجتماع
نفسه.

7- التوصل مع بعض الصحف، وإصدار بيانات باسم شيعة مصر، توضح موقفهم من الأحداث السياسية التي تمر بها البلاد، وكذلك الأحداث العالميّة، وما قد تتضمنه من بعض التمييز عن الآراء التقليديّة المطروحة على الساحة، وإن كان قد حدث في هذا المجال لغط كبير بسبب وجود بعض المدّعين كذبا أنهم يمثلون شيعة مصر ويلقون ببيانات متطرفة تسيء إلى الشيعة والتشيع!!!

أسلمة المذاهب، لا مذهبية الإسلام

مما لا شكّ فيه أنّ التأثير الديني والمذهبي في حركات الشعوب كبير، فدائماً في أعماق كلّ إنسان ولاؤه لدينه ومذهبه ولأهل دينه ومذهبه، هذا يعني أنّ عقائد الشعوب تؤثر في التوجهات السياسية للشعوب نفسها وفي حكوماتها وخاصة في الدول العربية والإسلامية، وهنا يأتي دور النخبة المثقفة في التوجيه والإرشاد، وإحياء دور العقل لتشخيص مصلحة الأمة على أسس عقلانيّة، لا مذهبية ضيقة، ولتجنب الفتنة المذهبية على أن يكون ذلك تحت شعار (أسلمة المذاهب وليس مذهبية الإسلام)، فدائرة الإسلام أوسع وهو يستطيع أن يضم شمل الجميع داخلها.

ولمعرفة الأثر المدمر لتأثر السياسة في البعد الديني والمذهبي إذا استخدمناه لخدمة مصالح سياسية معيّنة، يجب أن نتأمل المشهد السوري لأنه نموذج لما هو مخطط للأمة العربية، يستخدم فيه سلاح

الفتنة المذهبية أو الدينية:

1- في سوريا ثورة شعبية تنادي بحقوق الشعب في الحرية والعدالة والكرامة الإنسانية كباقي شعوب الربيع العربي، وكانت هذه الثورة سلمية ولو استمرت على سلميتها لحققت نتائجها بعد عدّة شهور قليلة، شأن الثورات العربية في مصر وتونس أو على أقل تقدير كانت على الطريق الصحيح للثورات الشعبية.

2- ولما كانت أمريكا وإسرائيل تخشى وعي الشعوب ونهضتها، أدركت أنّ سلمية الثورات العربية هي سرّ نجاحها، حولت هذه الثورة الشعبية إلى ثورة مسلحة، بحجة أنه لا طريق لتقويض نظام الأسد إلاّ القوة المسلحة.

3- ولما كان الهدف من هذا التحول (من سلمية الثورة إلى عسكريتها) هو القضاء عليها أي على الثورة، وتدمير الدولة السورية وتقسيمها على أساس مذهبي وطائفي، وأيضاً عدم توقف هذه الحرب الضروس ولا حسمها لصالح أحد من الطرفين المتصارعين، حتّى تأتي على الأخضر واليابس، وحتى يتمّ تدمير الدولة السورية وتفتيت كيانها لصالح الكيان الصهيوني.

4- وكانت النتيجة مرور سنتين على هذه الثورة، وضحايا بعشرات الآلاف ومجازر للشعب السوري العظيم لم يشهد العصر الحديث مثلها في المنطقة العربية.

شهادة: التشيع في مصر بين السياسة والاجتماع

5- والغريب أنّ الذين صدروا إلى الشعب السوري فتنة (السنة والشيعية)، على أساس وجود نسبة كبيرة من (العلويين) في البلاد، نسوا أو تناسوا أنّ الشيعة الإمامية هي من الناحية المذهبية على خلاف حاد مع المذهب العلويّ وأنّ العلويين تاريخيا ومذهبيا منشقون عن المذهب الشيعي الإمامي الموجود في إيران والدول العربية.

إنّ الصراع في سوريا هو حرب أهلية لأسباب سياسية تدور بالوكالة لصالح جهات أجنبيّة، وهذا ما صرح به المبعوث الأمميّ للوساطة في الأزمة السورية، بل هي حرب عالميّة تدور بالوكالة على أرض الشعب السوري المظلوم.

الشيعة المصريون بين الأمن والسلفية

موقف الأمن المصري من الشيعة في النظام السابق

كان الشيعة في عصر مبارك مضطهدين من الأمن، وتعرض معظمهم للاعتقالات والتعذيب، ولكنّ ذلك كان لأسباب سياسية، حيث كان الهدف تحقيق أهداف سياسية للحكومة في علاقاتها بأمریکا وبالذات الخليجية التي تخشى المدّ الثوريّ الإيراني.

فكانت هذه الاعتقالات رسالة من الحكومة المصرية بأنها تحمي مصالحهم ضدّ الشيعة المصريين الموالين لإيران حسب زعمهم، ولذلك كان من التهم الموجهة ظلما إلى الشيعة المصريين: مهاجمة المصالح

سالم الصبأغ

الأمريكية والإسرائيلية والخليجية، وهذا كذب تماما، وهدفه مصالح سياسية مصرية ضيقة مع أمريكا وإسرائيل والدول الخليجية.

إذن فالاعتقالات لأسباب سياسية وليست دينية. قال أحد ضباط الأمن لأحد المعتقلين الشيعة: (لا يهمننا أن تكون سنيا أو شيعيا، أو إن كنت تعبد الله أو تعبد الشمس والقمر، الذي يهمننا هو ألا تتخرطوا في تنظيمات سرية سياسية ضد الحكومة).

ولذلك كان العداء للشيعة آنذاك سياسيا وليس لعصبيّة مذهبية، كما كان مقصورا على أمن الدولة، فلم يكن عداءً مطلقا ولم يكن من الشعب تماما كما كان النظام يعمل ضد باقي الجماعات الإسلامية السنية ويضطهدها.. بل كانت هذه الجماعات تعامل بقسوة وشدة تفوق بكثير ما يتعرض له الشيعة المصريون، وذلك بسبب بعض العمليات الإرهابية أو الجهادية حسب أدبيات هذه الجماعات، أما الجماعات الشيعية فكانت قضاياها فكرية ولم تكن أبدا إرهابية.

سألت ضابط الأمن في إحدى المرات التي تعرضت فيها للاعتقال، أعطني سببا واحدا لاعتقالي هذه المرة، فقال: لا يوجد أي سبب، يوجد فقط بعض التيارات الشيعية الجديدة نريد أن نعرف هل لك علاقة بها فلم نجد! ولا تقلق كلها شهرين أو ثلاثة ويفرج عنك لأنّ قضايا الشيعة هي قضايا فكرية!

هذا موقف النظام الأمني في العهد السابق... فما هو موقف

التيار السلفي؟

موقف التيار السلفي من الشيعة قبل ثورة 25 يناير في مصر

كان التيار السلفي قبل الثورة المصرية في 25 يناير تيارا مسالما مهادنا للحكم بل ومتعاوننا إلى أقصى درجة مع أمن الدولة، يهتم بالأمور الشكلية أو الظاهرية في الدين كلبس الجلباب وتقصيره للرجال، ونقاب المرأة، والمحافظة على الصلوات في المساجد، وغير ذلك من الأمور، ولكنهم كانوا يطبقونها بتشدد منفر للناس.. ولم يكن لهم علاقة إطلاقا بالسياسة، وكان الرئيس يعتبر هو ولي الأمر الواجب طاعته مطلقا ويحرم الخروج عليه، ولذلك كان هناك اتفاق بين الأمن والتيار السلفي على ألا يتعرض هذا التيار للاعتقال، ولا يتعرضون هم للسياسة.

وكانت معظم أديياتهم تتركز في الهجوم على الصوفية، وبعض ممارساتهم وشعائهم.. وكذلك الهجوم على معتقدات الشيعة.. ولكن في إطار مجلة وحيدة غير مقروءة اللهم إلا من بعض أعضائها، ولكنهم لم يحاولوا أبدا تصعيد الموقف مع الشيعة المصريين إلى أكثر من ذلك.

موقف التيار السلفي من شيعة مصر بعد الثورة المصرية في يناير

أما بعد الثورة فحصل تغير كبير في نشاط التيار السلفي بل قل: انقلاب وأصبح هذا التيار رقما مهما في معادلة الحكم والسياسة في

مصر، تمثل ذلك في:

دخولهم الانتخابات النيابية وحصولهم على عدد كبير من الأعضاء في البرلمان المصري.

ارتباطهم الوثيق بتيارات السلفية في بعض الدول الخليجية وأفغانستان التي تتبنى العدا المطلق للشيعه، وهذا أدى بطريقه أو بأخرى لأن يصبح ولاؤهم لهذه التيارات، وعلامة ذلك رفعهم لأعلام هذه الدول وهذه الجماعات السلفية في تظاهراتهم، بل كان الأمر واضحا تماما بتسميتهم لتظاهرة في ميدان التحرير (جمعة قنهار)، وكذلك لرفعهم أعلام تنظيم القاعدة في الميدان. كل هذا الارتباط أدى إلى اتخاذ السلطات الجديدة في مصر (وهي تنتمي إلى الإخوان المسلمين) مواقف هذه الدول نفسها وتمية العلاقات معها لإرضاء التيار السلفي، ولذلك اتخذوا موقفا سياسيا معارضا للشيعه بمصر ومضطهدا لها، بل إن حكومة الإخوان لم تستطع إعادة علاقات مصر بإيران بعد الثورة تحسبا لهذه الدول الخليجية، وتحسبا للأصوات السلفية التي يحتاجها الإخوان المسلمون في تدعيم مركزهم السياسي في مصر، أو قلّ لنظرتهم المذهبية الضيقة والمتمثلة في تصريح الرئيس مرسي أثناء زيارته للسعودية حين قال إنه سيدافع عن الإسلام السنّي، وهذه أول مرّة يطرح فيه هذا المصطلح الذي يحمل - حسب نظرية المؤامرة - أبعادا خطيرة، كل هذا رغم أنّ تدعيم العلاقات المصرية الإيرانية هو في صالح مصر بالدرجة الأولى، كما أنه يتفق من ناحية المبادئ العليا للدين مع المشروع الإسلامي الذي

شهادة: التشيع في مصر بين السياسة والاجتماع

تدعي حمله جماعة الإخوان المسلمين.⁽¹⁾

ولقد لاحظنا في المعركة الأخيرة للعدو الصهيوني على قطاع غزة، دور الدعم الإيراني بالمال والسلاح للمقاومة الفلسطينية في غزة وهي تنتمي إلى المذهب السني وذلك خاصة بصواريخ فجر الإيرانية، بل بتقنية هذا السلاح ولولا ذلك لما استطاعت المقاومة الفلسطينية أن تصمد أمام آلة الحرب الصهيونية.

دخول المنطقة العربية في حالة فتنة مذهبية، مثل الوضع في سوريا ولبنان واليمن ضمن المشروع الأمريكي للمنطقة وبالتالي تأثر التيار السلفي المصري بهذه الفتنة، خاصة أن الموقف الإيراني، وموقف حزب الله الرافضين للتدخل الأجنبي في أحداث سوريا والمؤيدين للنظام السوري على خلفية أن هذا النظام هو نظام داعم للمقاومة ضد العدو الصهيوني، وأيضا، وهو المهم، وعيهما التام أن ما على الأرض الآن ليس بثورة بل مؤامرة لتفتيت سوريا وإخراجها من الممانعة والمقاومة ليس إلا، فانعكس هذا الموقف من سوريا على النظرة السلبية على المواقف السياسية للشيعية في مصر.

هذه المستويات الثلاثة أثرت تأثيرا مهما في صياغة المشروع السلفي ومن أهم نتائجه محاربة ما يُسمى (بالمذ الشيعي في مصر).

- وتم التحضير لهذه الحرب على عدة مستويات:

(1) كتبت هذه الشهادة قبل التطورات الأخيرة وزيارة نجاد لمصر، وعقد الاتفاقية بين مصر وإيران. (المحرر)

المستوى الأول: (دور الأزهر الشريف)

لا يمكن فهم تبني الأزهر للمشروع السلفي إلا بصيرورته المرجعية الدينية للمشروع الأمريكي لتفتيت المنطقة العربية إلى دويلات على أسس مذهبية ودينية، لصالح الوجود الصهيوني في المنطقة، وللأسف الشديد تبني الأزهر هذا التوجه، وعقد الندوات والمؤتمرات الصحفية، واعتمد تغيير المناهج التعليمية في مختلف مراحل التعليم الأزهري، وإصدار الكتب والمجلات الدورية لمهاجمة المذهب الشيعي، وعمل دورات تدريبية للوعاظ لتدريبهم على كيفية مواجهة ما يُسمى بالمدّ الشيعي، وبما أنّ الشيعة في العالم لهم مرجعية واحدة، أو عدة مراجع، فإنّ لهم هدفاً واحداً. وأمّا أهل السنة فهم مشتتون لا تجمعهم مرجعية واحدة، فكان لا بدّ من مرجعية سنّية تبرر الحرب الأمريكية الإسرائيلية القادمة- لا محالة - على إيران وحزب الله، وحتى لا تتورثاثة الشعوب العربية ويهبون لنجدة إخوانهم المسلمين، يجب تسويق فكرة أنّ (الشيعة ليسوا بمسلمين)، وأنهم (دين آخر)، وأنهم (أشترّ من اليهود)، فلا بدّ إذن من مرجعية دينية سنّية عالمية تتبنى هذا الطرح، وكان اختيار الأزهر لهذه المهمة.

داخل هذا الإطار فقط يمكن فهم التحركات المحمومة للأزهر في كافة المجالات لمواجهة ما يُسمى (بالمدّ الشيعي في مصر) على المستوى الإعلامي والدعوي والتدريسي، لاستخدامه واجهةً للدور الجديد المرسوم للأزهر، فمصر ليس فيها مدّ شيعي، ولكنّ بها مدّ سني سلفي إخواني جهادي تكفيرى بلغ مداه الوصول إلى سدة الحكم،

شهادة: التشيع في مصر بين السياسة والاجتماع

ويسعى للتحكم في كل مفاصل الدولة المصرية، بل هو يتنامى حتى في العالم العربي، فأين هو المدّ الشيعي الذي يخشى منه على مصر، إنها أكذوبة كبرى لا يصدقها حتى مطلقوها أو من يتبنونها، وضجة مفتعلة يقصد بها تمرير المشروع الأمريكي للفتنة في الشرق الأوسط، والمسمى (بالفوضى الخلاقة).

نعم يوجد مدّ شيعي على مستوى إيران والشرق العربي، والتمدد الشيعي في إيران يتمثل في الطفرة الحضارية التي قام بها الشعب الإيراني بعد الثورة في جميع المجالات العلمية، والتكنولوجية والطبية، وأيضا في المجال السياسي ففيه أصبحت إيران رقما صعبا في كل المعادلات الدولية، وليس التمدد المذهبي هدفا لإيران، ولكن التمدد للمشروع الحضاريّ الإنساني الذي تتبناه والمتمثل في نصرته المستضعفين، وفي الوحدة الإسلامية، وفي رفض الهيمنة الأمريكية على القرارين العربي والإسلامي.

المستوى الثاني: (دور التيار السلفي)

قيام المجموعات السلفية المصرية، بحملات تهديد واسعة للشخصيات التي يعرفونها من الشيعة المصريين، شملت الدعوة العلنية لمجموعاتهم باقتحام بيوت الشيعة والتهديد بهدمها وحرقتها، وإطلاق الشائعات التي تفتال الشخصية المعنوية للمسلم الشيعي، بل إن الأمر قد وصل إلى رفع دعاوى قضائية ضد الشيعة بتهمة ازدراء الأديان وسب الصحابة والرسول وأهل بيته، وزوجاته.

أمثلة عملية لمعرفة الواقع حالياً

(في إحدى هذه القضايا التي تمت ضدّ مدرس شيعي مصري شاب وعمره 26 عاماً. وهو خريج الأزهر، يحفظ القرآن الكريم بكل قراءاته العشر، أذهل أساتذته الذين أخذ عنهم القراءات في أشهر معهودات، حكم القاضي ذو التوجه السلفي عليه بتهمة أطلقوا عليها (تدنيس أماكن مخصصة للعبادة) والمقصود قيامه بمناقشة فكرية بينه وبين بعض رواد المسجد.

حكم القاضي عليه بالآتي

1- السجن ثلاث سنوات.

2- كفالة (100.000) مائة ألف جنيه (ملاحظة مرتب المدرس المصري (500) جنيه (خمسمائة جنيه شهرياً فقط) وملاحظة أخرى: الفنان المصري عادل إمام حكم عليه في قضية مشابهة بكفالة مائة جنيه فقط!!!)

3- عشرة آلاف جنيه حكماً مبدئياً بالتعويض لحين الحكم النهائي.

والعجيب أنّ القاضي في أثناء الجلسة استتاب هذا الشاب، وقال له إنّه لو تاب عن هذا المذهب فسوف يطلق سراحه.

وفي الاستئناف تمّ تخفيف السنوات الثلاث إلى سنة واحدة

شهادة: التشيع في مصر بين السياسة والاجتماع

حبس (وهو ما يزال يقضي العقوبة إلى الآن). ومن الناحية الاجتماعية أجبره أهل زوجته، وأهل القرية التي يعيش فيها على تطبيق زوجته، بل لقد تم إجباره على مغادرة قريته التي ولد وعاش بها.

. وفي حالة أخرى تمّ الدخول إلى منزل أحد قيادات الشيعة بمدينة طنطا بمحافظة الغربية، رغم عدم وجوده في المنزل، وأرهبوا ابنه الصغير، وتم تصوير المنزل من الخارج والداخل، ونشروا في الصحف صورهم داخل المنزل على أنه حسينية شيعية في مصر، وقاموا بتحديد عنوانها في الصحف، ودعوا الناس إلى مهاجمتها.

. بالمقارنة نجد أنّ:

شيعة مصر بعد الثورة يتعرضون للخطر السلفي، المستقي فكره ودعمه من خارج الحدود ومن ناحية الشعور بالأمن والأمان فلا يوجد، بل هناك قلق أكثر ممّا كانوا يتعرضون له من مباحث أمن الدولة في النظام السابق.

من هذه النواحي تأثرت السياسة المصرية بالوضع الشيعي في مصر، ليس قلقاً منه، ولكن لاستخدامه فزاعة يبرر بها مواقف سياسية مفروضة على النظام، أو يريد النظام تبريرها شعبياً.

المستوى الثالث: المستوى السياسي

. محاربة التيار السلفي لحصول الشيعة على حقوقهم السياسية وتمثل ذلك في:

1- رفض تعيين ممثل لهم في اللجنة التأسيسية لوضع الدستور.

2- رفض الحزب السياسي الذي قام بتأسيسه بعض الشيعة المصريين.

3- فتح بعض الصحف صفحاتها للافتراء على الشيعة ليحرموهم من حقوق المواطنة، وخلقها لحالة الفرع أو (الشيعة فوييا).

إنّ المشكلة التي تواجه الأنظمة العربية بصفة عامة والنظام المصري بصفة خاصة هي نظرتهم للخريطة السياسية لبلادهم خارج إطار الخريطة العربية والإسلامية والدولية، فالعالم أصبح قرية صغيرة، ولذلك عندما يشنّ النظام المصري أو الأزهر، أو التيار السلفي هجوماً على شيعة مصر بتفسيق الشيعة أو تكفيرهم، وتسفيه مذهبهم، يجب أن يعلموا أن هذا الهجوم سيؤثر في:

1- العلاقة بالدول العربية التي بها أغلبية شيعية أو يحكمها تيار شيعي كالعراق، ستتأثر العلاقات المصرية العراقية بهذا الهجوم الذي تتعرض له مقدساتهم ومذهبهم الإسلامي، وهذا بالتالي يؤثر في العلاقات الاجتماعية بين الشعوب، بل وفي الاستثمارات الاقتصادية، فالعراق مثلاً: دولة خارجة من عدّة حروب طاحنة مدمّرة، وتحتاج إلى من يعيد بناءها، ومصر لها خبرات طويلة في إعادة البناء، ومصر بالتأكيد ستخسر هذه الفرصة من الاستثمارات بالحملة الإعلامية التي تشنها على المذهب الشيعي الذي يدين به عشرات الملايين من الشعب العراقي.. هذا فضلاً عن التواصل الحضاري والثقافي والاجتماعي مع

شهادة: التشيع في مصر بين السياسة والاجتماع
هذا الشعب العريق.

2- الدول العربية الأخرى وخاصة الخليجية والتي تعيش فيها نسبة كبيرة شيعة- مع اختلاف في التفاصيل - ستأثر علاقاتهم، أيضا، بالعمالة المصرية. والمعروف أن التحويلات المالية لهذه العمالة تمثل دخلا كبيرا للحكومة المصرية.

3- مع شركاء الوطن المصري من المسيحيين، عندما يرون هذه المواقف الراضية لوجود أقلية قليلة من الذين يشاركونهم الدين نفسه، مع بعض الاختلافات ولا يتحملون وجودهم معهم، فكيف هو موقفهم ممن يخالفونهم في العقيدة والدين؟! إنه شيء يبعث على الخوف لشركاء الوطن.

4- التيارات الأخرى غير السلفية، من الليبراليين، والعلمانيين، والاشتراكيين، وهم كثرة كثيرة وعلى درجات علمية عالية، كالدكتور أحمد زويل، والدكتور البرادعي، والدكتور غنيم، وغيرهم من الكتاب والمفكرين، كالأستاذ محمد حسنين هيكل... كل هذه الكفاءات قد تغادر الوطن ويحرم من علمها.

5- كذلك الحال مع الوسط الإسلامي والعلاقة مع إيران الإسلامية، وإنى أرى أن مستقبل التيار الإسلامي في مصر، وخاصة الإخوان المسلمون، سيتوقف نجاحه على التعاون مع الجمهورية الإسلامية في إيران، لأن التيارين يحملان مشروعا إسلاميا، ناتجا عن الصحوة الإسلامية في المنطقة، فلو نجح الغرب في منع مصر من

إقامة علاقات طبيعية مع إيران، فسيكون توجه مصر إلى المشروع الآخر في المنطقة وهو (المشروع الأمريكي الإسرائيلي).. وهذا مما سيضع التيار الإسلامي الحالي في مصر (الإخوان المسلمون) في تناقض أخلاقي في أذهان أتباعهم، الذين تربوا على العداء للعدو الأمريكي والصهيوني على مدار عشرات السنين.. هذا التناقض سوف يعمل عمل المرض السرطاني في جسد هذا التنظيم الكبير، فيهدمه على رؤوسهم، فبدلاً من أن ينتهز الإخوان المسلمون الفرصة التي أتاحتها لهم الثورة المصرية ليكونوا جزءاً من حل المشكلة المصرية، أصبحوا هم جزءاً كبيراً جداً من المشكلة المصرية، وما الانقسام الحادّ الحاصل في الشارع المصري إلا عوارض مبكرة لهذا المرض السرطاني وهو (التعارض بين الأفكار التي تربت عليها الجماعة وبين السلوك العملي لها) نتيجة سعيهم المحموم ناحية السلطة والحكم.

6- كذلك العلاقات على المستوى الدولي، فإن الدول الكبرى لا تحترم إلا الدول القوية ولا تحترم الدول التابعة الضعيفة، لاحظ الحالة الإيرانية وكيفية سعي الدول الغربية رغم عدائها للمشروع الإيراني للتعاور والتفاوض وكسب ودّ الجمهورية الإسلامية، فضلاً عن احترام خصوصياته الدينية حتى في البروتوكولات الدبلوماسية.. في حالة مثلا المصافحة بين المسؤولين الرجال والنساء أو في تغطية الرأس للدبلوماسية الأجنبية في أثناء زيارتهم لإيران.

إن استقلال القرار المصري والإرادة السياسية المصرية مهمّ جداً في وضع مصر الدولي.. وفي هذا الشأن فإن الاضطهاد للشيعنة

شهادة: التشيع في مصر بين السياسة والاجتماع

في مصر، خضوعا للابتزاز الخارجي، سيجعل مصر رقما ثابتا في تقارير منظمات الحقوق العالمية، وسيشكك المستثمرون الأجانب في جدية التوجه الديمقراطي في مصر، وفي جدية الحريات الممنوحة في الدستور المصري، وخاصة حرية العقيدة، وحقوق المواطنة، كل هذا سوف يؤثر في تدفق الاستثمارات الأجنبية على مصر.

النتيجة

إن العالم أصبح قرية صغيرة يتأثر بعضه ببعض، فالشيعية في مصر يجب ألا ينظر إليهم على أنهم أقلية غير مرغوب في وجودها، ولكن يجب النظر إلى امتدادهم الجغرافي على خريطة العالم العربي والإسلامي والدولي، كذلك أهل السنة في إيران يجب أن ينظر إليهم على أنهم ليسوا أقلية، بل يجب أن ينظر إلى امتدادهم الجغرافي في كل أنحاء الكون.

إن الوحدة العربية والإسلامية هي فريضة دينية تسبق باقي الفرائض، وضرورة وجودية تسبق الكثير من الضروريات.

فريضة دينية، لقوله تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾، (آل عمران/103).

وضرورة وجودية، لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾، (الأنفال/46).

لأننا في عصر التكتلات الكبرى والحالة الأوربية خير مثال..

ورغم ذلك فهم يصدرون إلينا الفرقة وقد ساعدناهم على ذلك، لنكون سوقاً مفتوحاً لمنتجاتهم.

فهل يأتي الوقت على العالم الإسلامي والعربي ليتحرك فيه المواطن من مكان إلى مكان لا يسأل عن هويّته ولا يفتش عن معتقده.. هذا التنازع الذي حذر منه القرآن الكريم هو المشروع الذي يتمّ إعادته لتدمير الأمة وتفتيتها عن طريق شغلها بقضايا الاعتقاد، وهي قضايا قلبية، رغم قوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾، (البقرة/256).

وقوله تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾، (الكهف/29). إنّ الله تعالى لم يجبر الناس على عبادته، وقال لرسوله الكريم: ﴿أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾، (يونس/99). إنّ قيمة الإنسان وتميزه من الكائنات حتّى الملائكة في حرّيته، وخاصة حرية الاعتقاد، فحتى إبليس استجاب الله لطلبه بأن يعيش حرّاً لإغواء الآخرين. يقول الله تعالى حاكياً عن إبليس: ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾، (الحجر/36). فرد الله عليه: ﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ﴾ إلى يومِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ، (الحجر/37-38)..

حقاً ما ذكره القرآن من أنّ الرسول سيشكو الأمة لله عزّ وجلّ على هجرانها للقرآن:

يقول تعالى: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾، (الفرقان/30).

شهادة: التشيع في مصر بين السياسة والاجتماع

لولم تهجر الأمة القرآن لعرفت أن الوحدة بين المسلمين فريضة دينية وضرورة وجودية.

فهل نعي هذا الأمر، وهذه الحقيقة قبل فوات الأوان، ونتفرغ للبحوث العلمية، وللتنمية البشرية لشعبونا، والاستفادة من تراث كل المذاهب الإسلامية وتراث البشرية كلها للرقى والحضارة، ولنسرع في ذلك حتى نجد لنا مكانا في قطار المستقبل، وحتى لا يغادرنا هذا القطار فنعيش خارج التاريخ، نثرثر بعضنا مع بعض، وبيحث بعضنا في ضمائر بعض، لنستخرج منها ما يدمر وجودنا، ونقف على محطة الزمان وقد غادرها قطار المستقبل ونحن مازلنا نتساءل:

هل أنت شيوعي؟ .. هل أنت سني؟ .. هل أنت مسلم؟ .. هل أنت مسيحي؟

ولن يتغير شيء، فلن ينتهي الشيعة من العالم، ولن ينتهي السني، ولن ينتهي المسيحي ولا اليهودي ولا الإسلامي إلا أن تشاء الإرادة الإلهية شيئا!

والخلاصة

(إن تأثير التشيع في مصر على السياسة لا يمكن النظر إليه بمعزل عن البعد الإقليمي له، وحالة الصحوة الشيعية في العالم، المتمثلة في وجود دولة قوية ماديا وحضاريا تنتمي إلى هذا المذهب، وما يرتبط بها وحولها من صراعات أصبحت هي طرفا فاعلا في كل

سالم الصبّاغ

معادلاته، ويصبح الشيعة في مصر ورقة تستخدمها الدولة المصرية في الصراعات أو العلاقات الدولية، ويضغط عليها التيار السلفي لاستجلاب مصالح ماديّة من دول أخرى.. ولذلك فالشيعة في مصر هم المتأثرون بالسياسة المصرية في الحقيقة وليس بالعكس على الأغلب، وإن كان هناك تأثير عكسيّ فهو أيضا ناتج من الحالة الشيعية الإقليمية).

ثالثا: التشيع في مصر والمجتمع

1- مقدمة عن الجانب الاجتماعي في المذهب الشيعي

وفي الإسلام:

إنّ التشيع هو مذهب إسلامي يغلب عليه الطابع السياسي نتيجة الصراعات التي قامت بعد وفاة الرسول الأعظم صلوات الله عليه وآله على منصب الخلافة، والتي بلغت ذروتها في الحروب التي قامت ضدّ الإمام علي عليه السلام (الجمل - صفين - النهروان)، ثمّ ضدّ الإمام الحسن عليه السلام، وبلغت ذروتها بقتل الإمام الحسين عليه السلام وذرية النبيّ الأعظم صلوات الله عليه وآله، وسبي نسائه وخاصة السيدة العظيمة زينب عليها السلام في عاشوراء بكربلاء، كلّ هذا أدّى إلى أنّ الشيعة أصبحوا يسمون باسم (الرافضة) وهي تعني بالمصطلح الحديث (المعارضة).

هذا الوضع الذي تعرض فيه الشيعة للملاحقة والمطاردة خاصة في الدولة الأمويّة والدولة العباسيّة، جعلهم يميلون إلى الانطواء

شهادة: التشيع في مصر بين السياسة والاجتماع

والتقيّة والعزلة الاجتماعية، ولكن في الحقيقة كان هذا أمراً مؤقتاً خاضعاً لظروف الواقع الأليم الذي عاش فيه الشيعة فليس الانطواء والانعزال عن المجتمع مبدأ لمذهبهم، فهو حال مؤقتة، فالتشيع مذهب ديني اجتماعي ليس على المستوى الشيعي، ولا الإسلامي فحسب، ولكن على المستوى الإنساني، يقول أمير المؤمنين علي عليه السلام، في عهده، لمالك الأشر:

(الناس صنفان: إما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق...)

روائع نهج البلاغة للإمام علي عليه السلام. قال الأمين العام السابق للأمم المتحدة كوفي عنان: (قول علي بن أبي طالب: (يا مالك إن الناس صنفان: إما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق)، هذه العبارة يجب أن تعلق في كل المنظمات، وهي عبارة يجب أن تتشدها البشرية، وبعد أشهر اقترح (عنان) أن تكون هناك مداولة قانونية حول (كتاب علي إلى مالك الأشر) في اللجنة القانونية في الأمم المتحدة، بعد مدارسات طويلة، طرحت: هل هذا يرشح للتصويت؟ وقد مرّت عليه مراحل ثمّ رُشِح للتصويت، وصوتت عليه الدول بأنه أحد مصادر التشريع الدولي).. طبعا هذا الكتاب أو العهد لا يذكر عنه شيء في العالم السني، رغم أنه لا علاقة له بالتشيع، وكان يجب أن يهتمّ به المصريون خاصة، لأنه كان كتابا من أمير المؤمنين علي عليه السلام لمالك الأشر.. المبعوث من الإمام لحكم مصر، يشرح له فيه كيفية حكمه لمصر والحقيقة أنّ الإسلام دين اجتماعي، حتّى في عباداته.

الجانب الاجتماعي في العبادات الإسلامية

1- الصلاة الجماعية، وصلاة الجمعة، والجهاد، والحج، كلها عبادات جماعية تعمق الروابط بين المسلمين.

2- وطبيعة العلاقات بين أفراد المجتمع حددها القرآن، يقول تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾.

3- وطبيعة العلاقات على المستوى البشري كله جاءت في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾، (الحجرات/13).

4- حتى الجهاد يقول الله تعالى فيه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَانَهُمْ بَنِيَانٌ مَرَّضُوصٌ﴾، (الصف/4).

العلاقات الاجتماعية مع أهل السنة عند الأئمة (عليهم السلام)

وعلى ذلك فالإسلام دين اجتماعي على مستوى الجماعة المؤمنة أو على مستوى العالم كله، ومعظم تشريعاته جاءت على هذا المنوال، ولكن الشيعة كما قلت تعرضوا على مدار التاريخ إلى فواجع اضطرتهم إلى الانعزال والتقوقع داخل النفس وساعدهم المجتمع على ذلك بسبب النظرة السلبية إلى عقيدتهم. بل إن أئمة أهل البيت عليهم السلام أمرهم بالتواصل مع المخالفين

شهادة: التشيع في مصر بين السياسة والاجتماع

من أبناء المجتمع المسلم خاصة أهل السنّة، والصلاة معهم في مساجدهم، وشهود جنازتهم.

ففي كتاب الكافي وهو من المصادر الحديثية المهمّة عند الشيعة.

وفي صحيحة أن معاوية بن وهب، قال: (قلت له: كيف ينبغي لنا أن نضع فيما بيننا وبين قومنا وبين خلطائنا من الناس ممن ليسوا على أمرنا؟ قال: تنظرون إلى أئمتكم الذين تقتدون بهم فتصنعون كما يصنعون، فوالله إنهم ليعودون مرضاهم، ويشهدون جنازتهم، ويقيمون الشهادة لهم وعليهم، ويؤدّون الأمانة إليهم).

بل وصل حث الأئمة عليهم السلام لشيعتهم على التواصل مع أهل السنة إلى حدّ أن وصف ثواب الذي يصليّ معهم بأنه كالشاهر سيفه في سبيل الله.

ففي الحديث: (عن إسحاق بن عمار قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: يا إسحاق أتصليّ معهم في المسجد؟ قلت: نعم قال: صلّ معهم، فإن المصليّ معهم في الصف الأوّل كالشاهر سيفه في سبيل الله) كتاب تهذيب الأحكام.

بل ثمّة ما هو أكثر من هذا.. فمن يصليّ معهم كالمصلي مع رسول الله صلوات الله عليه وآله في الصف الأوّل كما في هذا الحديث: (قال: من صلّى معهم في الصف الأوّل كان كمن صلّى خلف رسول الله صلّى الله عليه وآله في الصف الأوّل) كتاب من لا يحضره الفقيه.

سالم الصبّاغ

إن المتأمل في ما سبق يدرك الأهمية الكبرى التي جعلها القرآن الكريم، وفي المرويّات الصادرة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام، لموضوع الوحدة الإسلامية، فكم بعدت الأُمَّة عن هذه التعليمات، وحلّ مكانها الصراع والقتال والحروب كما لم يحدث بين المسلمين والكفار!! لا بدّ أن تنتبه الأُمَّة الإسلامية إلى ما في قرآنها وحديثها من دُرر وجواهر نفخر بها بين الشعوب والأمم ولكن الأيدي الخبيثة استطاعت أن تسرقها من بين أيدينا وتصدر لنا بضاعتها الفاسدة، ولم أجد أحداً من علماء الفتنة الذين لا يرون في المذهب الشيعي إلاّ سبّ الصحابة، لم أرَ أحداً منهم يذكر هذه الأحاديث للجمهور حتّى يساعد على لم الشمل وتوحيد الأُمَّة وإنقاذها من الفتنة المذهبية المدمرة التي تعدّ لها.

دعوة الثورة الإيرانية للوحدة الإسلامية كـ«ضرورة» اجتماعية

لقد حملت الثورة الإسلامية في إيران معها رياح التجديد والإصلاح، وحثّ الإمام الخميني قائد الثورة الإسلامية على الوحدة الإسلامية ومن مظاهر ذلك:

1- جعل تاريخ المولد النبويّ الشريف لمدة أسبوع ونتيجة للخلاف بين الفريقين فيه، جعله أسبوعاً للوحدة الإسلامية.

(من 12 إلى 17 ربيع الأول) وله احتفالات كبيرة في إيران.

شهادة: التشيع في مصر بين السياسة والاجتماع

2- أفتى بالالتزام بقرار السعودية بتحديد بداية شهر ذي الحجة، وضرورة الوقوف بعرفة مع أهل السنة حتى ولو كانت الحسابات عند إيران مختلفة.

3- أفتى بالانتماء بأئمتهم في المسجد الحرام وفي مسجد المدينة المنورة.

كذلك أفتى السيد الخامنئي المرشد الإيراني ومرجع التقليد بحرمة سب الصحابة وقد لقيت فتواه ترحيبا كبيرا في الأوساط الدينية المختلفة.

الفتاوى الوجودية للسيد الخامنئي

فتوى حرمة سب الصحابة: (أكد السيد الخامنئي، ردا على سؤال وجه إليه حول حكم سب الصحابة والخلفاء الراشدين:

1- إن أي قول أو فعل أو سلوك يعطي الحجة والذريعة للأعداء أو يؤدي إلى الفرقة والانقسام بين المسلمين هو بالقطع حرام شرعا).

2- فتوى الصلاة خلف الإمام السني: (الاستفتاء: أتجزئ الصلاة خلف إمام من أهل السنة في مكة المعظمة والمدينة المنورة أم لا؟.. الجواب: مجزية إن شاء الله).

3- فتوى عدم جواز إقامة الجماعات في الفنادق والمنازل والمساكن في مكة: (الاستفتاء: ورد في بعض الاستفتاءات أنكم لا

سالم الصبّاغ

تجيزون إقامة الجماعات في الفنادق في مكة المكرمة، فهل تجيزون إقامة الجماعة في المساكن والمنازل التي تنزل فيها الحملات عادة، علماً بأنّ هذه الحملات تستقل بالمنزل، وإقامة الجماعة، فلا تشكّل ذريعة عند الحجاج لترك الصلاة في المسجد الحرام؟). الجواب: لا تجيز إقامة الجماعة في المساكن والمنازل أيضاً).

كلّ هذه الفتاوى تعتبر ثورة أخلاقيّة تهدف إلى إزالة المعوّقات أمام الوحدة الإسلامية.

ولقد رحب الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين بالفتوى التي أصدرها السيد علي الخامنئي مرشد الجمهورية الإسلامية الإيرانية بتحريم سبّ الصحابة والخلفاء الراشدين، واعتبرها خطوة مهمّة ومقدرة في إطار السعي نحو التقريب بين أهل المذهبين الكبيرين السنة والشيعة وأشارت صحيفة «الأهرام» المصرية الخميس 23-11-2006 إلى أن السلطات الإيرانية طالبت بتعميم الفتوى وإرسالها إلى وسائل الإعلام المختلفة. وتعليقا على ذلك، اعتبر الدكتور محمد سليم العوا الأمين العام للاتحاد العالمي لعلماء المسلمين في تصريحات خاصة لموقع الاتحاد الجمعة 24-11-2006، أنّ هذه الفتوى تعد خطوة مهمّة طالما نادي بها اتحاد العلماء، لافتا إلى أنها ستساهم في إزالة المشاعر السلبية التي تظهر بين وقت وآخر بين السنة والشيعة، ودعا العوا في هذه المناسبة الإخوة في العراق لمراعاة حرمة الدم المسلم على المسلم مهما تكن الأسباب ومهما يكن عمق الخلافات، معربا عن إدانته لما وقع في مدينة الصدر من تفجيرات أودت بحياة العشرات، وأعرب عن تعازيه لأسر

شهادة: التشيع في مصر بين السياسة والاجتماع

الضحايا ومواساته للمصابين، متمنيا أن تكون هذه آخر الحوادث الأليمة في هذا البلد العربي العريق.

جدير بالذكر أنّ الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين، ويضم العلماء من المذاهب جميعا ولرئيسه نواب ثلاثة من الشيعة والسنة والإباضية، يؤكد على موقفه الثابت من ضرورة وأد الفتنة بين المسلمين في مهدها، ومن ضرورة التقريب بين أهل المذاهب الإسلامية وعلمائها وأتباعها، ومن ضرورة التعاون بين المسلمين كافة فيما اتفقوا عليه، وأن يعذر بعضهم بعضا في ما اختلفوا فيه.

واضح أنّ العقلاء من الأمة، والمخلصين من العلماء، يعرفون أهمية الوحدة بين المسلمين، وأنها خيار مصيريّ للشعوب والدول لا بديل عنه إلاّ خروج الدول العربية والإسلامية المتبئية مشروع الفتنة المذهبية خارج التاريخ.

ولقد ذكرت هذه الأمثلة مقدمة لمعرفة رأي المذهب الشيعي، والأئمة عليهم السلام، والإمام الخميني مفجر الثورة الإيرانية، والمرشد الإيراني السيد الخامنئي، في قضية الوحدة الإسلامية، وهذه مقدمة لمعرفة تأثير التشيع المصري في الحالة الاجتماعية في مصر، لبيان أنّ هذه الحالة تنبع من الانتماء العقائدي لهم.

2- التشيع في مصر والحالة الاجتماعية

مما سبق يتضح أنّ الشيعة في مصر طبقا لمبادئ المذهب وقيمه،

يعتبرون العلاقات الاجتماعية مع أهل السنة فريضة إسلامية مقدمة على بقية الفرائض حتى العبادية منها، لأنه من شأن الاختلاف والفرقة هو ذهاب الإسلام والمسلمين، كما نصت الآية الشريفة: ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾، (الأنفال/46). وهذا هو موقف شيعة مصر من أفراد المجتمع المصري، خاصة في ضوء الملاحظات الآتية:

1- العلاقات مع العائلة

إنّ آباء الشيعة المصريين وأمهاتهم وإخوتهم وأخواتهم وأجدادهم وكل فروع عائلاتهم هم غالبا من أهل السنة، ولذلك فأبى إساءة للسنة فضلا عن أنه مخالف لضروريات الدين والمذهب فهو يتنافى وقيم صلة الرحم، وشيم المصريين وأخلاقهم، وانتمائهم القوي للأهل وللأرض.

والحقيقة أنه في المرحلة الأولى من ظهور التشيع في مصر، لم تكن الدعاية الوهابية المتصاعدة الآن بظهور القنوات الفضائية السلفية، فهذه القنوات حاولت إسقاط الشخصية الشيعية وتدميرها، فأثر ذلك في عائلاتهم، ولكن صلة الدم والرحم، وحسن خلق الشيعي المصري، والمواظبة على الصلاة والعبادات، وهي لا تختلف عما عليه أهل السنة، أفقد هذه القنوات المصدقية لدى مشاهديها.. إنّ ما تعرّض له الشيعة من اضطهاد واعتقالات ظالمة أدّى إلى التعاطف الأسريّ معهم.

ولكن هناك مشكلة اجتماعية مهمّة نتجت عن التحول المذهبي

شهادة: التشيع في مصر بين السياسة والاجتماع

للإنسان المصري من المذهب السني إلى المذهب الشيعي ألا وهي: -
كيفية التعامل بين الزوج والزوجة إذا غير أحدهما مذهبه إلى التشيع
وبقي الآخر على مذهبه السني؟

2- العلاقات بين الزوجة والزوج مختلفي المذهب

في بدايات ظهور التشيع في مصر، وقبل الدعاية السلفية
الفضائية ضد الشيعة وإبرازهم على أنهم كفّار، لم تكن ثمة مشكلة
كبيرة في هذا الشأن، إلا في خوف الزوجة السنية والأبناء بل وباقي
فروع الأسرة من الهجمات الأمنية على المنازل، والاعتقالات وما
يصاحبها من حملات تشويه صحفية، وكذلك ما يصاحبها من انقطاع
وسائل الرزق عن الزوجة، خاصة إذا لم تكن تعمل ولم يكن لها مصدر
للرزق غير راتب زوجها.. الحقيقة أنها المشكلات نفسها التي تواجهها
زوجة وأسرة المعتقل السني أو أيّ معتقل من تيار آخر.

ولكن في الفترة الأخيرة وبعد تحول الحملة على الشيعة في مصر
إلى حملة منظمة متأثرة بتيارات فكرية واردة من خارج الحدود، تخدم
مشروعات أخرى غير المشروع المصري، وبعد الحملة غير الإنسانية
لقنوات الفتنة بتكفير كل الشيعة، وإفهام الزوجة السنية أنها لا تحلّ
لزوجها الشيعي بدأت تحدث خلافات كبرى في بعض الحالات بين
الزوج الشيعي وزوجته وعائلتها وخاصة إن كانوا من التيار السلفي، وفي
الغالب كانوا يجبرون الزوج على التطلق، بل يتم رفع القضايا الكيدية
عليه، وإفهامه أنه غير مرغوب في وجوده بالقرية التي ولد فيها!

ولقد تكررت هذه الحالات، ممّا جعل الأسر الشيعية تحذر من التزوج من الأسر السنية، خاصة ذات التوجه السلفي أو حتّى الديني المعتدل لأنّ الكثيرين أصبحوا ينظرون إلى الشيعة نظرة سلبية، بل نظرة مخيفة وهذا أدى إلى مشكلة اجتماعية أخرى، هي:

3- مشكلة زواج الفتيات الشيعة في مصر

ولما تكررت المشاكل الزوجيّة بين الزوجين السني والشيعة، كان لزاماً أن تنتظر الفتاة المسلمة الشيعية العريس المناسب ليس من النواحي الاجتماعية والقدرة المادية فحسب، بل ضرورة كونه موالياً لأهل البيت عليهم السلام (الشيعة) وبالتالي قد يكون مطلوباً منها أن تقبل بالتخلي عن عناصر التكافؤ الاجتماعي والثقافي والتعليمي، مقابل التكافؤ الديني أو المذهبي، والمعروف أنّ أتباع كلّ مذهب فيهم المحسن والمسيء، فحتى لو اختارت العريس الشيعي فقد تكون أخلاقه سيئة، أو طباعه حادة، أو لا قبول له من الناحية الشكليّة.

هذه المشكلة كان من الضروريّ حلها الانفتاح بين المجموعات الشيعية المختلفة على بعضها، والتعارف، والتزاور، وحضور مجالس العلم في احتفالات أهل البيت عليهم السلام، بل ضرورة التعريف للناس بالجوانب الطيّبة والأخلاقيّة في مذهب أهل البيت عليهم السلام، والتي تعكس أخلاق البيت النبويّ الشريف وأخلاق الرسول الأعظم صلوات الله عليه وآله، وأن تزول الحواجز بين الناس وبين معرفة كلام أهل البيت عليهم السلام وسماعهم، ليس من أجل أن يتشيعوا، ولكن على الأقل من أجل أن تزول هذه الفرقة بين أبناء الوطن

شهادة: التشيع في مصر بين السياسة والاجتماع
الواحد والمجتمع الواحد والعائلة الواحدة.

4- العلاقات مع الجيران

نحن نعيش في عصر تغلب عليه الفردية والمصلحة الشخصية وتقلّ فيه الروابط الاجتماعية وصلة الأرحام، إلاّ في بعض مجتمعات الطبقات المتوسطة أو الفقيرة وبعض القرى والحقيقة المجربة العملية أثبتت لي أنّ الروابط الفطرية بين الناس لا تظهر إلاّ في أوقات الشدة، فعلى سبيل المثال، في المرة الأولى التي تمّ اعتقالي فيها عام 1989، كان لا يعرفني أحد بتشيعي سواء من العائلة أو من الجيران، وتمّ نشر الأخبار في الصحف، وشنت حملات التشهير، وغيرها.

وعندما تمّ إخلاء سبيلي بعد عدّة أشهر فوجئت عند عودتي إلى عملي بمظاهرة حبّ وتأييد وتشجيع من مئات الزملاء الذين اصطفوا في طابور طويل للترحيب بي بالأحضان والقبلات غير مصدقين ما كتب عني في الصّحافة، فعلى مدار سنوات طويلة من التعامل بحسن الخلق لم يبدُ مني، أيّ اختلاف بيني وبينهم، فلقد كنت حريصا على صلاة الجماعة معهم في وقتها، والمشاركة معهم في أفراحهم وأحزانهم، والمساعدة في حلّ مشاكلهم، بل كانوا يقدمونني دائما للصلاة بهم إماماً.. كانت الأوضاع طبيعية جداً، وكنت في الحقيقة متوقعا ذلك، لأنّ الحملة على التشيع لم تكن تُشنّ في هذا الوقت إلاّ من جهة (أمن الدولة) والصّحافة الحكوميّة، وكلهم لا مصداقية لهم عند الناس.

نموذج آخر بعد خروجي من السجن، وكان قد تمّ وقف صرف مرتبي للأسرة طوال فترة الاعتقال ولم أستلم عملي بعد، كنت عندما أخرج لمشوار وأعود إلى المنزل، أجد موضوعاً أمامه ظرف به نقود مجهولة المصدر، وواضح منها أنها مجموعة من عدد من الناس البسطاء. وأحياناً كنت ألقاها موضوعة في ظرف أو ملقاة في «بلكونة» المنزل وغير ذلك من النماذج، هذه النماذج تفتح أمام الباحث الاجتماعي باباً كبيراً للبحث عن عامل كبير مفعول عنه يجمع بين كل الناس، وهو عامل (الفطرة) يقول تعالى: ﴿فَطَرَةَ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾، (الروم/30).

وهو عامل يجتمع عليه كل الأفراد والشعوب والبشرية جمعاء، لأن الفطرة الإنسانية لا تتبدل من شعب إلى شعب، ولا من فرد إلى فرد، لأنها هي الأخلاق والقيم الثابتة التي أودعها الله في خلقه كل إنسان، وهي عشق كل قيم الجمال من صدق، وأمانة، وعلم، وكرم، وإيثار، ومحبة، وعفو، ومغفرة، وكل خير...

وكذلك النفور من كل نقص مثل الكذب، والخيانة، والجهل، والبخل، والطمع، والكرهية، والانتقام، وكل الشرور...

هذه الفطرة أطلق عليها القرآن الكريم أنها: (الدِّينُ الْقَيِّمُ).. إن التأمل في هذا المعنى يوضح لنا كيف نفهم ما يجري حولنا من شحن ديني، وشحن مذهبي، وما الوسيلة لتجنبه؟

وهنا نستطيع أن نفهم قول الرسول الأعظم (صلوات الله عليه

التأثير السلبي والإيجابي للتطور في وسائل التواصل

الاجتماعي

إن انفتاح المجتمع المصري والمجتمعات العربية والإسلامية على جميع الأفكار بفعل انهيار الحواجز بين الشعوب للتقدم العلمي، ووجود وسائل تواصل اجتماعي عالمية (النت والفيسبوك وغيرها..)، وكذلك الانتشار الواسع للقنوات الفضائية، كل ذلك له جانبان:

جانب سلبي

فهو قد يمثل خطورة كبيرة على المجتمعات العربية ذات الفكر التقليدي والعادات الثابتة، والحكام المنعزلين عن شعوبهم في أبراجهم العالية، هذا التدفق الهائل للمعلومات من خلال أنابيب التواصل الحديثة لمجتمعات مغلقة لم تهيأ بعد للاستقبال أدى إلى انفجار في الدول العربية في ما سُمِّي «ثورات الربيع العربي»، ولا بدّ أن نلاحظ دور وسائل التواصل الاجتماعي الحديثة في إشعال الثورات العربية.. هذه الحال لم يواكبها تطور فكري، وثورة ثقافية يتم فيها تهيئة الناس لاستيعاب المتغيرات الناتجة عن هذه الثورة في وسائل الاتصال، ولذلك نرى ما يحدث من قلاقل اجتماعية وسياسية وكلها من توابع زلزال ثورات الربيع العربي، أو قل الصحوة الإسلامية حسب ما يغلب على توجهات الشعوب الثائرة.

جانب إيجابي

وهو يتمثل في ازدياد الوعي عند الشعوب، واليقظة لما يجري حولهم، هذا الوعي وتلك اليقظة سيزيلان بمرور الوقت الحواجز الفكرية المصنوعة بين أفراد الشعب الواحد، فلن يكون تيار وحده قادرا على استيعاب هذا الحجم الرهيب من التدفق المعلوماتي والتغيرات الإنسانية، فلا بدّ من تعاون الجميع للخروج من المأزق العالمي، وفي هذا الإطار نستطيع أن نلتمس:

خلاصة: تأثير التشيع في مصر على الحالة السياسية والحالة الاجتماعية

ويتمثل في أن التشيع بمصر يمكن تشبيهه بالرقائق أو الشرائح الإلكترونية، والتي بدورها تستقبل تدفقات الثقافة الإسلامية الشيعية، وتعيد ضخها بطريقة تتلاءم مع طبيعة واحتياجات الشعب المصري، وما يساهم في حلّ مشاكله الاجتماعية والسياسية، أعرف أنّ الأمر ليس بالسهولة، وأنّه قد يحتاج إلى فترات طويلة، ولكن بالصبر وتضافر المخلصين في العالمين العربي والإسلامي، وللضرورة الحيويّة أو حتّى الوجوديّة، بهذا الصبر ستزول هذه العصبّيات المذهبية والدينية بين أبناء الشعب الواحد.

التصوف والتشيع في الواجهة .. بيليوغرافية سرديّة

محمّد حلمي عبد الوهّاب (*)

في أغسطس (آب) 1958، تقدّم الباحث العراقي كامل مصطفى الشيببي بأطروحة علمية لنيل درجة الماجستير تحت إشراف العلامة أبو العلا عفيفي (1897 - 1966م) حول الصلة بين التصوف والتشيع. وكانت لجنة المناقشة مؤلفة من المرحوم الأستاذ محمود الخضيرى، والدكتور علي سامي النشار وانتهت إلى منح الباحث درجة الماجستير بتقدير جيّد جدًا من قسم الدراسات الفلسفية والاجتماعية بكلية الآداب جامعة الإسكندرية.

(*) باحث بالمعهد الألماني للأبحاث الشرقية.

للتصوف والتشيع في الواجهة. بيليو جرافية سردية

وعلى الرغم من أن الباحث استغرق نحو خمسة أعوام كاملة في كتابة أطروحته، فإنه اضطر إلى إعادة النظر فيها مرة أخرى بالزيادة والنقص حيناً، والإجمال والتبيين حيناً آخر. وقد استغرق ذلك ثلاث سنوات إضافية، أضاف إليها ما خبره طول ست سنوات أخرى اشغل فيها بالتدريس الجامعي «وهكذا يمكن القول إن أربع عشرة سنة من الجهد المتصل سقت عروق هذا البحث»⁽¹⁾، فاستوى على سوقة، وصدرت الطبعة الأولى من الكتاب في ثلاثة أجزاء ببغداد في الأعوام 1963، و1964، و1966م، ثم صدرت الطبعة الثانية في جزأين بالقاهرة سنة 1969. أما الطبعة الثالثة التي نعتمد عليها فصدرت في جزأين أيضاً ببيروت 1982.

ويمكن القول إنه منذ ذلك الحين وكتاب الشيبلي يثير جدلاً لا ينقطع بشأن طبيعة الصلة بين التصوف من جهة والتشيع من جهة أخرى، فالنتيجة الأساسية التي خلص إليها المؤلف في بحثه هذا هي التي عبر عنها في تقديمه للطبعة الثالثة بالقول: «وهذا الكتاب بجناحيه يتناول الأول منها دور التشيع في القرون الثلاثة الأولى في مداد التصوف بسماته التفصيلية في الولاية والسمو الروحي، ويتناول لثاني منهما دور التصوف - بعد نضجه واستقلاله - في ردِّ هذا الدين إلى التشيع. ومن عجب هذه العملية المتبادلة أنها تمت دون ضجيج ودون كثير اتصال».

(1) مصطفى كامل الشيبلي: الصلة بين التصوف والتشيع، الجزء الأول العناصر الشيعية في التصوف، دار لأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة، بيروت، 1982م، ص9.

محمّد حلمي عبد الوهّاب

ويضيف قائلاً: «والمشربان المذكوران سائران في خطين متوازيين كقضبان السكة الحديد، وكأن شرارَ كلٍّ منهما وصل إلى الآخر بفعل القاطرة التي تحركهما والطاقة التي تسيّرهما، ولا بدّ من تشبيههما بالكيان الإسلامي منطلقاً وتطوراً»⁽²⁾.

يسعى بحثنا هذا إلى الوقوف على تطور الاهتمام بدراسة الصلة بين التصوف والتشيع في الكتابات الحديثة، وإبراز أهم تجليات هذه الصلة في النص والوعي والتاريخ، وربط ذلك كله بمجرى أحداث الربيع العربي وما خلفته من بروز الإسلام السياسي ووصوله إلى السلطة. ويبقى أن نعترف بداية أن هذه الأهداف تمثل طموحاً معرفياً قد لا تستوعبه الدراسة، ومع ذلك فإنّ تجشّم المخاطرة أسمى وأولى خاصة بعد وقوفنا على العديد من الأطروحات الجامعية التي صدرت مؤخراً والتي لا صلة تربطها بالموضوعية أو حتى مجرد الإلمام بموضوع بحثها.

تاريخ الصلة بين التصوف والتشيع

لا يتعلق الأمر - حين ندرس طبيعة الصلة بين التصوف والتشيع - بالأقدمية التاريخية، بقدر ما يتعلق بتغلغل أيٍّ منهما في جملة الممارسات الحية والتجربة الذاتية. ومع ذلك تبقى التراتبية التاريخية على أهميتها لجهة البحث العلمي والتحقق التاريخي.

ومع ذلك يمكن القول بصفة عامة إنه يصعب حتى على الباحث

(2) المصدر السابق، ص7.

التصوف والتشيع في الواجهة. بيليو جرافية سردية

المدقق تبين دقائق الصلة الكامنة بين التصوف من جهة والتشيع من جهة أخرى وعلاقتها، وليس ذلك «لأن أموراً قد جدت على كل منهما منذ بدأ في الإسلام حتى صار مستقلاً مستغنياً عن الآخر» فحسب⁽³⁾، بل لأن هذه الاستقلالية المزعومة تبقى في إطار التنظير ليس إلا، فالتداخل ما بين العالمين قد احتفظ باستمراريته حتى بعد تحقق كل منهما وانفصاله عن الآخر في عالم التنظير، لا في دنيا الواقع!

وليس أدل على ذلك من أنه أياً كان توجه العالم الإسلامي في الحقب التاريخية المتتالية، وكذلك في المناطق الجغرافية الشاسعة، سنياً كان أم شيعياً، بقي التصوف مختلطاً بهذين المذهبين، بل وموجوداً بقوة ضمن تضاعيفهما.

في البداية حرص أقطاب التصوف الإسلامي على تأكيد أصالته وانتمائه إلى مذهب أهل السنة والجماعة، وكان القشيري قد عقد فصلاً بعنوان «في بيان اعتقاد هذه الطائفة في مسائل الأصول» ضمن كتابه «الرسالة القشيرية» لتأكيد هذا المنحى وللرد على دخلاء المذهب. يقول في مقدمته: «اعلموا رحمكم الله أن شيوخ هذه الطائفة بنوا قواعد أمرهم على أصول صحيحة في التوحيد صانوا بها عقائدهم عن البدع ودانوا بما وجدوا عليه السلف وأهل السنة من توحيد ليس فيه تمثيل ولا تعطيل»⁽⁴⁾. وقد استمر هذا المنحى بقوة على يد كل من سيد الطائفة الجنيد البغدادي (ت 297 هـ / 910م)، وحجة الإسلام

(3) الصلة بين التصوف والتشيع، ج 1، ص 13.

(4) القشيري، الرسالة القشيرية، تحقيق عبد الحليم محمود، محمود بن الشريف، انتشارات بيدار، طهران، طبعة مصورة عن طبعة دار الشعب، القاهرة، 1350م / 1931م، ص 19.

أبي حامد الغزالي (ت 505هـ / 1111م).

على أنه سرعان ما نشأ في السياق الشيعي المتأخر بعض المتصوفة كحيدر بن علي الأمدي المتوفى بعد سنة 479هـ / 1392م، وبهاء الدين العاملي المتوفى سنة 1031هـ / 1679م، ومحمد تقي المجلسي المتوفى سنة 1070هـ / 1660م، ومحسن الفيض المتوفى سنة 1090هـ / 1679م وغيرهم.

ومثلما يردّ الباحثون نشأة التصوف إلى حياة النبيّ صلى الله عليه وسلم ذاته، يردّ بعض الباحثين نشأة التشيع إلى حياة النبيّ بالمثل! أما الفريق الأول فيتذرع بنسبة لفظة صوفيّة إلى أهل الصفة فقراء يثرب الذين كانوا بمسجد الرسول⁽⁵⁾، وبعض هؤلاء يردّ التصوف إلى تحنث النبيّ صلى الله عليه وسلم في غار حراء قبل الوحي⁽⁶⁾ لوإذا انتقلنا إلى الفريق الآخر الذي يردّ نشأة التشيع إلى حياة النبيّ فس نجد على رأس هذا الاتجاه كل من: الشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء الذي يعدّ من أبرز مجتهدي الشيعة المتأخرين⁽⁷⁾، والأستاذ أحمد أمين في كتابه «ضحى الإسلام»⁽⁸⁾.

(5) قارن على سبيل المثال بما كتبه لويس ماسينيون والشيخ مصطفى عبد الرازق تحت عنوان «الإسلام والتصوف»، ضمن دائرة المعارف الإسلامية حول هذه النقطة. وقارن أيضا بجولدتسيهر العقيدة والشريعة في الإسلام، ص 136. ونيكلسون في التصوف الإسلامي، ص 48.

(6) قارن بما كتبه الدكتور محمد مصطفى حلمي ضمن كتابه «الحياة الروحية في الإسلام» وردنا عليه ضمن تقديمنا للكتاب، ص 52-57.

(7) محمد الحسين كاشف الغطاء، أصل الشيعة وأصولها، الطبعة التاسعة، بيروت، 1956م، ص 87.

(8) أحمد أمين، ضحى الإسلام، الطبعة الأولى، القاهرة، 1936م، 3/209.

على أنّ اللافت للنظر في هذا السياق هو ذلك القاسم المشترك بين من يعدونهم الشيعة من أوائل فرقتهم ومن يعدون من قبل المتصوفة أرباب أحوال اشتهروا بالزهد والتصوف! فمن المعلوم أن المصادر الشيعية تجمع على أنّ كلاً من سلمان الفارسي وأبي ذر الغفاري وعمار بن ياسر والمقداد بن الأسود يمثلون أوائل الشيعة بالإضافة إلى جموع العبيد والمستضعفين والغرباء الذين والوا علياً اتباعاً لوصايا النبيّ وتوسماً للولاية فيه!! وقد لقب هؤلاء الصحابة الأربعة من قبل مؤلفي الشيعة الأوائل بالنقباء، ثم بالأركان في زمن متأخر⁽⁹⁾!

ووفقاً لذلك الرابط وتلك الواشجة يمكن ربط الزهد بالتشيع منذ نشأته الأولى والنظر إلى زهد سلمان الفارسي بوصفه «شيئاً روحياً يتصل بالنفس البشرية التي تطمح إلى السمو الروحي، لا زهداً قائماً على الأحداث السياسية والثورات الاجتماعية والأسباب المادية. فيكون سلمان سابقاً إلى الزهد الذي أوصل إلى التصوف، أو أبلغ إلى الغاية التي يطمح إليها المتصوفة»⁽¹⁰⁾.

لكن رأياً كهذا، ومقاربة كهذه، تتضمن مخالفات شتى لأنها تحيل الأصل فرعاً والفرع أصلاً! فبحسب قراءة الشيبلي يبدو التشيع أصلاً انبثق عنه التصوف! وتلك مغالطة تاريخية كبرى! ليس هذا فحسب، بل إنه يقوم بمزج الآثار المسيحية والشيوعية والصوفية في شخص سلمان الفارسي لتنتج في النهاية شخصية أسطورية لا وجود

(9) قارن بتفسير علي بن إبراهيم المنشور بعنوان «كلمات مكونة من علوم أهل الحكمة»، ص 50 وما بعدها.

(10) الصلة بين التصوف والتشيع ج 1 ص 32-33.

يقول الشيبّي في معرض تدليله على صلة التصوف بالتشيع من خلال سلمان الفارسي إنّنا «نستطيع أن نجعل من عقيدة سلمان السرية التي كان يخشى البوح بها من فضائل عليّ بن أبي طالب خوف القتل اعتقاداً مؤصلاً للغلوّ الذي صرح به غلاة الشيعة بعدئذ، ثم دخل التصوف في شخص الحلاج وأبي يزيد البسطامي. وليس عجيباً إذن أن يركب سلمان الزاهد حمارة كما فعل السيد المسيح... وكان سلمان من أهل الصفة وله المقام الثاني في ثبت الأربعة والثلاثين الذين ذكرهم وجمعهم السلمي مؤرخ الصوفية، فهو من الفقراء الذين انقطعوا للعبادة في مسجد رسول الله وكانوا أسلاف المتصوفة»⁽¹¹⁾. وكذلك الأمر بالنسبة إلى الشخصيات الثلاثة المتبقية.

اللافت للنظر ضمن أنّ محاولة الشيبّي هذه قد قوبلت برفض من قبل الشيعة أنفسهم! فما هو هاشم معروف الحسني يؤلف كتاباً بعنوان: «بين التصوف والتشيع»، رداً على كتابات الشيبّي موضحاً فيه الهوة الفاصلة بين التصوف والتشيع في المعتقدات والآراء والأفكار، معتبراً أنّ أبحاث الشيبّي مهاجمة للشيعة وأنها تمثل عدواناً صارخاً عليهم وأنّ الشيعة يتبرؤون من شعوزة المتصوفة وضلالهم⁽¹²⁾!

وهذا التوجه الذي ذهب إليه الحسني يبدو متجزراً في السياق الشيعي وليس أدل على ذلك من تسميتهم أباً هاشم الكوفي، أول من

(11) الصلة بين التصوف والتشيع، ج1، ص33.

(12) قارن بهاشم معروف الحسني، بين التصوف والتشيع، الطبعة الأولى، دار القلم، بيروت، 1979م.

التصوف والتشيع في الواجهة. بيلوجرافية سردية

لُقِّب بالصوفي وكان معاصرا لجعفر الصادق وجابر بن حيان، بمخترع الصوفية!! «وينقلون عن الصادق أنه قال فيه: (إنه فاسد العقيدة جدا، وهو ابتدع مذهبا يقال له التصوف وجعله مقرا لعقيدته الخبيثة) كل ذلك لينفوا أن يكون التصوف من اختراع شيعي!! وذلك أمر يدل على التنصل من مسؤولية لم تمحص نتائجها ولا أغراضها»⁽¹³⁾.

وإذا انتقلنا لعلم آخر يُنسب إليه أنه أول من لُقِّب بالصوفي، ألا وهو عبدك (عبد الكريم) فسنلاحظ أنه كان جامعا لاتجاهات شتى «نابعة من التشيع الممتزج بالزهد المتأثر بظروف الكوفة»، ولهذا كانت الصوفية تجمع تحت لوائها عارفي العراق وتقابلها كلمة «ملامتية» التي كانت تطلق على عارفي خراسان، وقد زال هذا الفرق منذ القرن الرابع الهجري وصار يقصد بالصوفية كل عارفي المسلمين⁽¹⁴⁾.

وفي الأحوال كلها يمكننا، من خلال قراءتنا العميقة لكتاب مصطفى كامل الشيبلي بجزأيه، تأكيد استخلاصه العناصر التالية:

إن كلمة صوفي التي قطع الباحثون المحدثون بصورها عن الصوف قد صارت كذلك، لأن التصوف عمَّ زهاد الكوفة ومن ثم نبغ لبس الصوف من بيئة الكوفة التي عُرفت بتمسكها بالتشيع ومعارضتها لمن نكَّل بالأئمة العلويين⁽¹⁵⁾.

(13) الصلة بين التصوف والتشيع، ج1، ص292.

(14) قاسم غني، تاريخ التصوف في الإسلام، ترجمة صادق نشأت، مراجعة أحمد ناجي القيس ومحمد مصطفى حلمي، مكتبة النهضة المصرية، 1970م، ص42.

(15) الصلة بين التصوف والتشيع، ج1، ص293.

محمد حلمي عبد الوهّاب

إنّ هذه البذور الزهدية التي صبّت في التصوف قد أضيفت إليها بذور أخرى مختلفة الألوان من البصرة والشام وخراسان ليستكمل التصوف ملامحه بعد انتقاله إلى بغداد ونضجه فيها. فبعد أن انتظم أمر الزهد في مدرسة الكوفة برئاسة سفيان الثوري الذي تنقل بين البلاد سائحا استقر بالبصرة في أخريات أيامه فاعترف له أهلها بالفضل والعلم. ثم جاء داود الطائي الذي كان بمنزلة الصلة ما بين الكوفة وبغداد الذي انتظمت لديه مسائل الزهد في الطعام والإعراض عن زخرف الحياة الدنيا، وكذلك الموقف بالنسبة إلى كل من الفضيل بن عياض وفرقد السبخي وغيرهما⁽¹⁶⁾.

أمّا في البصرة، فرغم ما كان بينها وبين الكوفة من تقارب مكاني وزماني فإنّ الاختلاف بينهما يكاد يصل إلى حدّ التضاد! فقد كانت البصرة على عكس الكوفة جامعة للأجناس والأخلاق المختلفة، ولم تول أهمية وعناية كبرى للتشيع ولا لكافة المذاهب العاطفية أو الدينية عامة. ومع ذلك ساهم العنصر الفارسي الذي احتفظ سراته بتقاليد موغلة في الرفاهية في إذكاء روح الزهد، ناهيك بانتقال عنصر الزهد الفارسي إلى البصرة. وكما كان في الكوفة طرازان من الزهد أحدهما ينبع من الإسلام والآخر ينبثق من الظروف المحيطة بها، كذلك كان في البصرة زهدان أحدهما إسلامي الطابع، والثاني محلي تتداخل فيها عناصر أجنبية فارسية⁽¹⁷⁾.

(16) المصدر السابق، ص 297-302.

(17) نفسه، ص 311.

يعدّ الحسن البصري مؤسساً لمدرسة الزهد في البصرة، كما أنّ زهده يشبه إلى حدّ كبير زهد الإمام علي، ووجه الشبه بينهما «أنهما كانا غاية في الزهد، وأن الحسن كان يندمج على علم الباطن أخذاً عن حذيفة (أحد أركان التشيع) صاحب سرّ الرسول. وقد التفت العطار إلى هذه الصلة التي لاحظناها بين الحسن وعليّ فقال: وكان إرادته مرتبطة بعليّ وأخذ العلوم عنه»⁽¹⁸⁾.

استطاعت البصرة أن تشكل زهداً النابع من انعكاسات المجتمع على الزهاد بانعكاسات مختلفة غلب عليها طابعي الخوف والحزن بالإضافة إلى الرجاء. ثم استطاعت مدرسة البصرة وحدها أن تطور مشاعر الخوف وتنتقل به إلى الحب، حدث ذلك أوّل ما حدث على يد عامر بن عبد الله بن عبد قيس، ثم خلود بن عبيد الله العصري (وعصر بطن من عبد قيس الشيعية)!! وصولاً إلى رابعة العدوية⁽¹⁹⁾.

إذا أردنا جمع النقاط التي اتصل منها الزهد بالتشيع، فإنّ أوّل ما يلفت انتباهنا أنّ الزهد عموماً قد شاع في الإسلام على صورته الجديدة، لأنّ أهل بيت النبيّ قد قتلوا وشردوا وسالت دماء الناس أنهاراً في سبيل نصرتهم، ورأينا شخصية الحسن البصري نسخة ثانية من شخصية الإمام عليّ، كما أنّ هارون بن رثاب الذي كان يلبس الصوف تحت ثيابه صنيع جعفر الصادق⁽²⁰⁾.

(18) السابق، ص 314-315.

(19) نفسه، ص 317-325.

(20) السابق، ص 329.

محمد حلمي عبد الوهّاب

على خلاف كل من الكوفة والبصرة، صدرت نزعات الزهد في خراسان عن رواسب قديمة فارسية وغير فارسية مزجت مزجا خفيفا بالزهد الإسلامي المتأخر. ونتيجة لذلك تطورت مفاهيم مثل الولاية والتوكل بفعل «المثل الشيعية» التي ملأت خراسان أيام الكفاح ضد الفتح العربي⁽²¹⁾!

أضاف الفرس، كنوع من رد الفعل على هزيمتهم إزاء الفتح الإسلامي، القداسة إلى البيت النبوي باعتبارهم أساسا موازيا لأسسهم السياسية والدينية السابقة من تأليه الملوك وقولهم بالنور الذي ينتقل من ملك إلى آخر. ونتيجة لذلك وصل المتصوفة أئمة الشيعة بمشربهم وجعلوهم من مؤسسي طريقتهم، ومن ذلك قول الجنيد البغدادي في الإمام عليّ: «إن شيخنا في الأصول والفروع وتحمل البلاء عليّ المرتضى، لأنه في مباشرته الحرب قد نطق بأشياء وحكايات لم يكن لأحد طاقة على سماعها. لقد وهبه الله تعالى جمًّا من العلم والحكمة والكرامة»⁽²²⁾.

اعتبر المتصوفة الولاية نوعا من الإمامة، لأنها وراثه النبوة، وطبقوا مثل الإمامة على الولاية وهو ما يعكسه قول التستري: «إن الله ما استولى وليا من أمة محمد، صلى الله عليه وسلم، إلا علمه القرآن إما ظاهرا وإما باطنا. قيل: إن الظاهر نعرفه، فالباطن ما هو؟ قال:

(21) السابق، ص 356.

(22) نفسه، ص 373.

التصوف والتشيع في الواجهة. بليوجرافية سردية

فهمه، وإن فهمه هو المراد»⁽²³⁾. كما توافق المتصوفة والشيعة في إسباغ العصمة على الأئمة والأولياء، لكن المتصوفة بحسب الشيعي استبدلوها بلفظة الحفظ إخفاء للصلات الكائنة بينهم وبين التشيع⁽²⁴⁾!! وكذلك يمكن تتبع الصلات بينهما في ما يتعلق بكل من الكرامات، والشفاعة، والتقية، والتفسير⁽²⁵⁾.

أخيرا انعكست التقاليد والنظم الشيعية على التصوف كما هو الشأن بالنسبة إلى لبس لمرقعة والخرقة، ومفهوم الصحبة، والسلاسل، والطريقة!! وكذلك الأمر في ما يتعلق بالحقيقة المحمدية، ومراتب الصوفية، وفكرتهم حول الإنسان الكامل، والمهدية، والرجعة الصوفية⁽²⁶⁾.

حاولنا أن نلخص في النقاط العشر السابقة أبرز تجليات التشيع في التصوف بحسب ما فصلها الشيعي في الجزء الأول من كتابه الذي يزيد عن ستمائة وستين صفحة!! لم يكد يدع فيها ملمحا صوفيا واحدا لم يجعله امتدادا للتشيع!

في الجزء الثاني من كتابه الذي وضع له عنوانا فرعيا هو: «النزعات الصوفية في التشيع من بعد عصر الأئمة حتى سقوط الدولة الصفوية»، يستقصي الباحث هذا النزعات بالتفصيل على

(23) السابق، ص 410.

(24) ص 414.

(25) ص 416-454.

(26) ص 455-512.

نحو ما فعل في الجزء الأول. ونتيجة لذلك نلاحظ تجليات التصوف في التشيع والآثار التي خلفها وصولاً إلى اندماج قادة التشيع في التصوف. ولا يخفي الكاتب أنّ العلاقة الحاكمة لهذين المنزعين بالحرب التي استمرت لنحو ألف سنة، وأنّ الدائرة دارت أولاً على التصوف حين اضطر إلى الخضوع للتشيع بسبب حاجته الماسة إلى الاستمداد منه في شؤون الفكر والتنظيم! لكن التصوف ما لبث أن وقف على قدميه وانطلق يحقق استقلاله في بطن ويتسرب إلى التشيع حتى ضاق الأخير به ذرعاً في أواسط العهد الصفوي حين عصف محمد باقر المجلسي بالتصوف والمتصوفة، وحاول أن يعقّي على آثارهما بل أصر على نفي قادة الصوفية من حاضرة الدولة وكانوا في ذلك الوقت بمثابة سراة الدولة ومترفيها⁽²⁷⁾!

وإذا ما تجاوزنا الفصل الأول للكتاب الذي يتحدث فيه المؤلف عن «التشيع من بدئه حتى غيبة المهدي» فسوف نلاحظ على عكس بدايات الجزء الأول أنّ آثار التصوف في نشأة التشيع تكاد تكون منعدمة!! حيث ركز المؤلف على إبراز الطابع السياسي والفكري والعقلي لنشأة التشيع على حساب الطابع الروحي⁽²⁸⁾.

ولعل أبرز دليل على ذلك، أنه بعد أن انتهى من وضع صورة تخطيطية للتشيع إبان القرنين الرابع والخامس الهجريين تبين ما كان فيه من تيارات فكرية متنوعة هدّدت بصورة مباشرة استقرار التشيع

(27) الصلة بين التصوف والتشيع، ج 2، ص 5.

(28) المصدر السابق، ص 13-60.

التصوف والتشيع في الواجهة. بليوجرافية سردية

وسلامته، حتى جعل لجوء الشيعة إلى التصوف مجرد ردّ فعل أو حلّ للخروج من المأزق الذي أدى إليه الإفراط في الاجتهاد الذي وصل إلى حدّ التفريط!!

يقول في ذلك: «ولما بلغ الإفراط في استعماله حدّ التفريط، حاول الفقهاء البارزون أن يعودوا إلى الأخبار المتضمنة في كتبهم الأربعة من جديد... ولم يكن ذلك حلاً مناسباً لطبيعة التشيع فأدى ذلك إلى ردّ فعل أشد من الاجتهاد انعكست في حركة الشيخية المتأخرة التي تبنت الكشف والفيض وطريقة التصوف في مباشرة الأمور الروحية والدينية»⁽²⁹⁾.

ولعل ذلك يشي صراحة بأن التصوف لم تكد تظهر آثاره في التشيع إلا متأخراً، وكرد فعل على المأزق الذي وصل إليه حال التشيع!! ليس هذا فحسب، بل إن اللجوء إليه في هذه الحالة أدى إلى تجليات سلبية على التشيع!! إذ سرعان ما «انتهى المطاف بنتيجة متطرفة عند الباييين، فرع الشيخية، الذين جمعوا لرؤسائهم أوصاف المهدي الشيعي والقطب الحلولي معاً وأخيراً خرجوا من التشيع ومن الإسلام ليدعوا إلى دين متصل بفكرة المسيح المنتظر»⁽³⁰⁾!!

ويصل الشيعي إلى نتيجة مفادها أنّ التصوف التقى مع التشيع في هذا المدى الواسع من الاختلاف الشديد بين السالكين! وبحسبه أيضاً، كانت الظروف مواتية لالتقاءهما لكن الدولة ومن سار في ركابها

(29) نفسه، ص 59-60.

(30) ص 60.

محمّد حلمي عبد الوهّاب

من الصوفية حاولوا أن يؤخروا هذا الاتصال ما أمكنهم ذلك نظرا إلى الخطر الذي كان يتهدد الدولة العباسية من الدولة الفاطمية التي كانت تجاورهم في مصر والشام وتناوئهم في إيران!

يرصد الشيبلي بعد ذلك أبرز الشخصيات الشيعية المتأثرة بالتصوف كَمَيْثَمَ البحراني، ورضي الدين علي بن طاووس، والحسن بن يوسف بن مطهر الحلي، وبهاء الدين حيدر بن علي الآملي «الصوفي المتشيع والشيعي المتصوف» الذي اتخذ - بناء على واقع الاتصال بين التشيع والتصوف وعلى رئاسته لكلا المشربين- بداية منهجه من تقسيم عليّ الثلاثي للناس، فاعتبر الصوفية الطبقة الأولى، والشيعية الطبقة الثانية، والعوام الطبقة الثالثة! وصار الشيعي هو المؤمن العادي، والصوفي هو المؤمن الممتحن، استنادا إلى أقوال الأئمة: «إن أمرنا صعب مستصعب لا يحتمله إلا ملكٌ مقربٌ، أو مؤمنٌ امتحن الله قلبه للإيمان»⁽³¹⁾.

وفي الأحوال كلها، يبدو واضحا جدا من تصفح الجزء الثاني من كتاب الصلة بين التصوف والتشيع أنّ هذه الصلة التي كانت واضحة في ما يتعلق بأثر التشيع في التصوف في الجزء الأول تكاد تكون منعدمة في ما عدا إشارات بسيطة جدا في ما يتعلق بأثر التصوف في التشيع!! وحتى الشخصيات الشيعية التي تعرض لها المؤلف في الجزء الثاني لا يبدو فيها أثر التصوف واضحا أو مستقلا بقدر ما يبدو نتاجا لتشييعها في المقام الأول!! وربما يجسد بهاء الدين حيدر بن علي الآملي

(31) نفسه، ص 107.

الاستثناء الوحيد في هذا السياق!

التصوف والتشيع في الواجهة.. بيلوجرافية سردية

تزايد في العقود الأخيرة، وقبل أحداث الربيع العربي، الاهتمام بدراسة كل من التصوف والتشيع. ساهم في ذلك في ما يتعلق بالتصوف دعم بعض الدوائر الغربية للطرق الصوفية في وضعها الجديد مقابل المذهب الوهابي وفي سياق الحرب على الإرهاب. ومن ثم كثرت المقاربات المتعلقة باستدعاء أتباع ابن عربي في مواجهة أتباع بن لادن، وسالت تحليلات عديدة تتحدث عن استدعاء الغرب للصوفية على طريقة النموذج التركي.

أما تزايد الاهتمام بالتشيع، فقد حصل هو الآخر نتيجة التكتلات السياسية التي برزت في الجانب العربي تجاه المحور الإيراني وامتداداته. ومع أنّ الاهتمام بالتصوف في مساره الأول الذي ألمحنا إليه كاد أن يكون مقتصرًا على الأدوار السياسية والفكرية التي يمكن للحركات الصوفية أن تقوم بها للحد من التطرف، فإن إبراز العلاقة بينها وبين التشيع ضمن هذا المسار يكاد يكون معدوماً لغلبة النقاشات السياسية على هذا المستوى من التحليل.

في الوقت ذاته، ما إن احتدت المناقشات حول التشيع في المسار الثاني حتى برزت على السطح طبيعة العلائق التي تجمعها بالتصوف ضمن إطار البحث عن امتداداته ووسائله التي يحاول من خلالها

وعلى الرغم من جوانب الاختلاف بين المذهبين، التصوف والتشيع، وفي مقدمتها مفهومهما المتعلق بالإمامة، فإنه جرى تصوير الأمر كما لو كانا وجهين لعملة واحدة من قبل العديد من الكتاب والباحثين والصحفيين والإعلاميين بصفة خاصة!! ونتيجة لذلك كثر الحديث عن تزايد المدين الصوفي والشيعي في البلدان العربية، كما جرى الحديث حول محاولة إحلال الدعوة الصوفية بديلا من الدعوة السلفية في عدد من الأقطار الإسلامية، وما يتبع ذلك من تأكيد واقع استغلال الشيعة للنزعات الصوفية بوصفها مدخلا للتشيع، وصولا إلى القطع بأن التصوف هو الوجه الآخر للتشيع⁽³²⁾!

ولعل من بين الأسباب التي دفعت لتبيان الصلة بين هذه المذهبين تنوع النظر إلى موضوع هذه الصلة ما بين التاريخي والسياسي والعقدي والسوسيولوجي.... فمن الملاحظ أنّ عددا كبيرا من الأطروحات الجامعية التي ظهرت في الجامعات السعودية والخليجية بصفة خاصة حول هذا الموضوع اكتفت بدراسته من زاوية عقدية لا أكثر!! وليس أدلّ على ذلك من نقدها الموجه لكتابي الشيبلي: «الصلة بين التصوف والتشيع» و«الفكر الشيعي والنزعات الصوفية حتى مطلع القرن الثاني عشر الهجري» بحجة طغيان المنهج التاريخي مع غض الطرف عن الجانب العقدي⁽³³⁾.

(32) قارن على سبيل المثال بما ورد في: عبد الرحمن عبد الخالق، الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة، مكتبة ابن تيمية، الكويت، الطبعة الثالثة، 1416هـ، ص34.

(33) قارن على سبيل المثال بما ورد في مقدمة أطروحة: زياد بن عبد الله الحمام، العلاقة بين الصوفية والإمامية

على الجانب الآخر، سبق أن ألمحنا إلى معارضة بعض الكتابات الشيعية لكتاب الصلة على نحو ما نحا هاشم معروف الحسني في كتابه «بين التصوف والتشيع» الذي أنكر كل صلة بينهما تقريبا معتبرا أن أبحاث الشيعي مهاجمة للتشيع، وأن الشيعة يبرؤون من شعوزة التصوف!

ومن بين الأطروحات التي قدمت في هذا السياق أطروحة الدكتور فلاح إسماعيل أحمد بكلية الدعوة وأصول الدين في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة سنة 1411م وعنوانها: العلاقة بين التشيع والتصوف، وتتكون من ثلاثة أبواب تقليدية أولها بعنوان التشيع (في معاني الشيعة والتشيع، في تاريخ الشيعة والتشيع)، وثانيها بعنوان التصوف (في معاني التصوف، في تاريخ التصوف)، وثالثها بعنوان العلاقة بين التشيع والتصوف (وحدة المنشأ)، ووحدة المناهج التعليمية والتربوية)⁽³⁴⁾.

ويتجاوز الصفحات الأولى من مقدمة الأطروحة التي تتحدث عن حالة سلفية مثالية أيام الخلفاء الراشدين، وإذا ما تجاوزنا أيضا المئات من الأخطاء اللغوية والإملائية، سوف نلاحظ المعالجة التقليدية للموضوع ناهيك بآلاف الأمثلة من الاستطرادات التي لا قيمة لها، وغلبة النغمة المؤامراتية التي تتحدث عن لجوء «الفاستدين المجرمين»

جذورها واقمها أثرها على الأمة، الطبعة الأولى، مجلة البيان، الرياض، 1432م، ص10.

(34) هذه الأطروحة غير مطبوعة لكنها متاحة على العديد من مواقع شبكات الانترنت، انظر على سبيل المثال موقع صوفية حضر موت على الرابط التالي:

<http://www.soufia-h.net/showthread.php?t=7965>

محمّد حلمي عبد الوهّاب

إلى توجيههم سهامهم ومكرهم وكيدهم إلى النواحي الفكرية والعقدية في الإسلام بعد فشل سيوفهم وجنودهم⁽³⁵⁾!

ونتيجة لتلك الجهود التي ترمي لإفساد «الدين من داخله» ظهر كل من التشيع والتصوف! هكذا ببساطة أسرة يرمي «الباحث» عن كاهله كل الأعباء التي تتعلق بالجذور التاريخية والتعقيدات الفكرية والدينية والملابسات السياسية والاجتماعية التي أدت، في ما أدت، إلى بروز كل من حركتي التصوف والتشيع!

على أيّ حال، ما يهمننا في هذا السياق هو الوقوف على الدافع الأول لإنجاز أطروحات على هذا النحو يفترض فيها توخي الدقة والأمانة والموضوعية. وقد أجاب الباحث في صدر رسالته تحت عنوان «سبب اختيار الموضوع» حين أسهب في الحديث عما سماه أصول عقيدة أهل السنة والجماعة التي حذرت من الغلو في جميع صورته وأشكاله منتهيا إلى القول:

«وقد رأيت أنّ أعظم ما حورب به المسلمون في دينهم، أن فُتح لهم باب الغلو في قيمه وأدابه وحتى عقائده... ورأيت أنّ فرقة الرافضة (الشيعة) ما استطاعت أن تحقق شيئا من أهدافها في حربها هذا الدين وأهله، إلا بعد أن أحسنت استغلال هذا المبدأ الخبيث... ورأيت أنّ التصوف، والدعوة إلى التزهّد والتنسك، من أهم المطايا التي امتطتها الرافضة في سبيل تحقيق مآربها... ورأيت أنّ من انخدع من

(35) المصدر السابق، ص 4.

التصوف والتشيع في الواجهة. بليوجرافية سردية

أهل السنة والجماعة، بالتصوف، وانحرف عن الجادة القويمية بسببه، أعظم عددا ممن انحدر بالتشيع وانحرف عن دينه بسببه، وذلك لأن التشيع قد باين مذهب أهل الحق مباينة لم تعد بعدها قدرة على إنفاذ حيلها ومكرها بين المسلمين... وأما التصوف، فقد نجح الأعداء في زرعه، شوكة عظيمة في جسد هذه الأمة، وداء عضالا في قلبها»⁽³⁶⁾!

وبطبيعة الحال يجسد النص السابق المأزق الوجودي الذي يغلب على عدد كبير من الأطروحات الجامعية التي تدرس الظاهرة البحثية وهي محملة سلفا بالعديد من الآراء والأحكام المسبقة، وبما يتنافى مع طبيعة البحث العلمي المجرد! ليس هذا فحسب، بل إن طالب الدكتوراه الذي يتأسف لانخداع العديد من الأفاضل بشعارات التصوف ومقولاتهم ينصّب نفسه وليّا على الآخرين حين يقول: «كان هذا من أهم الأسباب والدوافع وراء اختياري هذا الموضوع تبياننا للحق وربطها بين هذه البدعة، وبين أهم أصولها، أعني التشيع الذي كان حظيرة هذه البدعة، ومزروعاتها، فساهموا في نشأتها، وتربيتها، وتغلغلها في صفوف أهل السنة والجماعة»⁽³⁷⁾!

الغريب في الأمر أنّ ترتيب البحث جاء مشابها إلى حدّ كبير جدا مع كتاب الشيبلي لجهة أفراد كل مذهب بتوضيح معناه ونشأته وكذلك طريقة التبويب والتقسيم. على أن المدخل لدراسة أي من المذاهبين واحد في الأحوال كلها! ونقطة الانطلاق التي تكاد تكرر عشرات المرات

(36) نفسه، ص 8.

(37) السابق، ص 9.

تبدأ عادة بنفي أيّ مظهر للاختلاف والافتراق بين الصحابة في حياة النبيّ، صلى الله عليه وسلم، الذي كان يسارع إلى فضّ أيّ اختلاف⁽³⁸⁾. وهذا المدخل في حدّ ذاته، فضلا عن أنه غير صحيح كليا، يبشر بما يجيء بعده ألا وهو النظر إلى كل من التشيع والتصوف، لا بوصفهما تطورا تاريخيا نتيجة تغير الواقع، أو امتدادا لما سبق، بوصفهما شاذين عن القاعدة الأصلية وأمرنا منبت الصلة بها كلية!

ولا أدلّ على ذلك مما خلص إليه الباحث بعد تعرضه لنشأة التشيع وتطوره من القول: «والحق أنّ التشيع لم يكن ظهوره ونشأته نتيجة اختلاف وتباين آراء المسلمين في قضية (خلافة النبيّ) أو حدث (السقيفة أو صفين) كما يحاول الشيعة إثباته (لكن ماذا عن غير الشيعة كابن خلدون الذي يصفه في موضع لاحق بالعلامة⁽³⁹⁾)! وأحمد أمين وحسن إبراهيم حسن وجولدتسيهر...؟»، إنه نشأ في أواخر عهد عثمان رضي الله عنه لأنه، كما سبق تقريره، إنما نشأ وظهر نتيجة مؤامرة دبرها أعداء الإسلام والمسلمين الحاقدين في أواخر عهد عثمان، ولكنهم أخذوا يتسترون ويختفون وراء الأحداث السياسية والتاريخية إيهاما منهم للعامة أن فكرهم ومعتقدهم إنما هما! وليدا تلك الأحداث»⁽⁴⁰⁾!!

والأمر نفسه في ما يتعلق بأصل ومعنى كلمة التصوف ونشأتها!

(38) نفسه، ص 27.

(39) قارن بما ورد في ص 66.

(40) المصدر السابق، ص 49.

فبعد أن أورد الباحث عشرات التعريفات والآراء والنظريات المتعلقة باشتقاق الكلمة بادر إلى القطع بأن «ما يتناقله المتصوفة المتقدمون منهم والمتأخرون!»، ويزعمون أنها تعريفات، لم يقصد بها قائلوها تعريف التصوف... بل إن العارف منهم قصد التمويه، والتضليل، والتشتيت، حتى يصعب على المعترضين بيان فساد التصوف كله!!... أما غير العارفين بحقيقة هذا الأمر، ومخالفته للإسلام، فإنهم اغتروا بما زيّن لهم أئمتهم باطلهم، وآمنوا وصدقوا جهلا منهم بحقيقة التصوف»⁽⁴¹⁾!

ومضيا في هذا الطريق إلى منتهاه يؤكد الباحث عند تعرضه لنشأة التصوف أنه «نشأ وترعرع في صفوف طائفة من المتعبدين والمتزهدين الذين خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا، واتصفوا بشيء من الغفلة أو السذاجة أحيانا مع بعض الجهل في السنن والآثار»⁽⁴²⁾!

ولا شك في أن هذه الأحكام العامة الخاطئة ليست إلا نتيجة لعاملين اثنين أولهما: أن الباحث مشبع بالأحكام المسبقة عن التصوف والتشيع وما بحثه إلا مساحة لإسقاط أحكامه المسبقة هذه. أما العامل الآخر فيتمثل في دراسة موضوع البحث من زاوية عقديّة دون أن يكون الباحث متخصصا في مجال العقائد وإن انتسب إلى شعبة العقيدة بكلية الدعوة وأصول الدين! وإلا كيف يمنح الباحث نفسه الحق لوسم سلف الزهاد من التابعين بالسذاجة والجهل؟! وكيف يمكن له أن يقرر

(41) ص 78.

(42) ص 86.

محمد حلمي عبد الوهّاب

ببساطة شديدة «أنه ليس في الإسلام تصوف لا في اسمه ولا في رسمه»، وبالتالي فلا يصح قول القائلين عند ذكرهم للتصوف وأقسامه بوجود ما أسموه (بالتصوف السني) فالتصوف أمر مخالف ومقابل للسنة تماماً»⁽⁴³⁾!

وإذا ما انتقلنا للجزء الخاص برصد العلاقة الكامنة بين التصوف والتشيع فسنلاحظ تأكيد الباحث مجدداً على عدم وجود أيّ من هذين المذهبين في زمن النبيّ صلى الله عليه وسلم، وسبق التشيع للتصوف في نشأته وظهوره على يد ابن سبأ⁽⁴⁴⁾! على أنه يكتفي بذكر مجموعة من الشخصيات التي كانت تجمع برأيه بين هذين المنزعين كأبي هاشم الكوفي، وجابر بن حيان، وبعبدك. ولكنه يعود لينفيّ التشيع عن الأول ويؤكد تشيع الآخرين، وأن عبدك كان رأساً في التشيع، وهو أول من أطلق عليه لقب صوفي⁽⁴⁵⁾!!

وأخيراً عرّج الباحث على دراسة بعض المسائل المشتركة بين التصوف والتشيع من زاوية عقدية وفي مقدمتها: الظاهر والباطن، والشريعة والحقيقة، والتقية، والعلم اللدني، والإمامة، والولاية، والتوسل، وزيارة القبور والأضرحة.

في خاتمة أطروحته يعيد الباحث التذكير بعدم وجود كل من التشيع والتصوف في زمن النبيّ، وأنّ الأول نشأ تحت ستار محبة

(43) ص 97.

(44) ص 113.

(45) ص 119.

التصوف والتشيع في الواجهة. بليوجرافية سردية

آل البيت، أما التصوف «فقد نشأ أولاً على أيدي أناس من الشيعة اندسوا في صفوف الزهاد والعباد والصالحين!! لبثَّ سمومهم وتحقيق أهدافهم!! وتهيات لهم الأجواء. فالتشيع والتصوف قد اشتركا في التستر والتظاهر والعمل تحت مظلات أصول دينية شرعية عظيمة المحبة في نفوس المسلمين عامة»⁽⁴⁶⁾!

وبحسبه أيضاً، فإن كلا المذهبين يشتركان - بالإضافة إلى وحدة المنشأ- في كثير من المناهج التعليمية والطرق التربوية المتبعة في تربية أتباعهم وتضليلهم!! وإلى جانب التحذير المتكرر من الرفضة الذين يريدون من أهل السنة أن يتنازلوا عن عقائدهم، يسخر الباحث من أن الصوفية يعتبرون أنفسهم من أهل السنة والجماعة، ويؤكد أن دعاة التصوف قد تمكنوا من إجادة دورهم في التظاهر بذلك، فاخترعوا بعض الروايات السننية التي توهم انتسابهم إلى أهل السنة والجماعة!! «والحق أن التصوف أبعد ما يكون عن الدين الإسلامي، فضلا عن مذهب أهل السنة والجماعة، وأنه أحد الأوجه الكثيرة للشرك والكفر والزندقة والإلحاد!! فالصراع بين أهل السنة وبين الصوفيين هو صراع بين التوحيد والشرك أو بين الإيمان والكفر»⁽⁴⁷⁾.

ما بين الصوفية والإمامية

نتقل الآن إلى أطروحة أخيرة سبق أن ألمحنا إليها، وعنوانها «العلاقة بين الصوفية والإمامية». وقد رجع فيها صاحبها إلى عدد لا

(46) ص 430.

(47) ص 441.

محمّد حلمي عبد الوهّاب

بأس به من المصادر، كما انتقد فيها الدراسات السابقة عليه خاصة كتاب الشيببي وأطروحة فلاح بن إسماعيل. وبحسب الباحث فإنّ ثمة دواع استجبت لطرق المسألة من جديد في مقدمتها: ملاحظة أنّ بعض متأخري الصوفية من الأشاعرة يمتازون بموقف مخالف للإمامية في مسائل الإمامة، وعدالة الصحابة⁽⁴⁸⁾.

وعلى عكس الأطروحة السابقة التي عرض فيها الباحث مذهب كل فريق من المسألة على حدة دون أن يبرز جوانب العلاقة بينهما وصفتها من اتفاق أو افتراق، فضلا عن إبراز ما ترتب على العلاقة بينهما من آثار على الفرقتين خاصة، وفي حياة الأمة عامة، لم يستغرق الباحث زياد بن عبد الله حمام في المسائل التاريخية ولم يدرس كل مذهب بمعزل عن الآخر، بل خصص التمهيد لتعريف بالصوفية والإمامية، ثم عرض في الفصل الأول لجذور الصلة بينهما.

وهكذا تبدو الأطروحة متقدمة من ناحية التبويب والتقسيم عن سابقتها، مع ملاحظة التركيز على بحث الخصائص المشتركة بين الإمامة والولاية عند الفريقين. أيضا من ميزات الأطروحة أنّ الباحث فصل المسائل النظرية عن المسائل العملية المتعلقة بالتوسل وزيارة القبور، ومراحل الترقّي في المذهب، والمصنّفات والشروح لعلماء الطائفتين! مع تأكيدنا أن هذا الفصل يقع في الذهن ليس إلا، وأنّ المسألة الأخيرة المتعلقة بالمصنّفات تبدو أقرب إلى المسائل النظرية منها إلى العملية.

(48) العلاقة بين الصوفية والإمامية، مصدر سابق، ص 12.

التصوف والتشيع في الواجهة. بليوجرافية سردية

على أية حال، فإن الإضافة الجديدة في رأيي، بالنسبة إلى هذه الأطروحة، لا تكمن في بحث أوجه الصلة ولا تقسيمها، بل في ذلك الفصل الأخير الذي عرض فيه الباحث لموقف أهل السنة والجماعة من أبرز مسائل العلاقة بين الصوفية والإمامية، والذي يتضمن مبحثين أولهما يدور حول المسائل العلمية (التوحيد، والنبوة، والإمامة، والولاية، والموقف من الصحابة)، وثانيهما الموقف من المسائل العملية كالتوسل وزيارة الأضرحة، وما أطلق عليه الطقوس البدعية!!

لكن الجانب المشترك بين الأطروحتين يبقى واحداً بحث المسألة في حدها العقدي، وليس أدلّ على ذلك من تعقيب زياد بن عبد الله على تعريفات التصوف بالقول: «وكما هو واضح أيضاً، فإن هذه التعريفات تطفئ عليها الرمزية والإشارات العامة غير المفهومة، والمخالفة لبعض تعالين الشريعة الثابتة في نصوص الكتاب والسنة»⁽⁴⁹⁾.

وعلى عكس الأطروحة الأولى التي جعل صاحبها التصوف نتاجاً مباشراً لحركة التشيع، لم يتطرق الباحث هنا للحديث عن تأثير التصوف بالإمامية إلا عند دراسته للطرق الصوفية التي ظهرت في حقبة متأخرة زمنية. وأول ما يشير إليه في هذا السياق هو تأثير أتباع الطريقة الرفاعية بالإمامية - بفضل الدور الخطير الذي لعبه أبو الهدى الصيادي - في عدة معتقدات كجعل الرفاعي في المنزلة بعد الأئمة الإثني عشرية مباشرة، وتعظيم كتاب الجفر، وانتظار الإمام

(49) المصدر السابق، ص 29. وهو يحيل في الهامش من أجل تفصيل هذه المخالفات على كتاب: الانحرافات العقدية عند الصوفية، تأليف إدريس محمود إدريس، ج1، ص 30، وهذا الكتاب يعد نظيراً لكتاب عبد الرحمن عبد الخالق، الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة.

أمّا في ما يتعلق بأسباب نشأة العلاقة بين التصوف والإمامية وأصولها، فيردها الباحث إلى مؤثرات خارجية، بالإضافة إلى أوجه الاتفاق في مصادر التلقي ومنهج الاستدلال بينهما. على أنّ الإشكال يبقى قائماً بالنسبة إلى النظر للتصوف كما لو كان متأخراً زمنياً عن التشيع!!

وليس أدلّ على ذلك من قول الباحث: «أول ما ولج التشيع إلى المتصوفة كان من باب حب آل البيت، ومدح النبيّ صلى الله عليه وسلم حتى أفلح الشيعة في كسب ودّ الصوفية، بل تشيع بعضهم... ثم ليعلم أنّ التشيع بث أفكاره ودسّ معتقداته، وروّج نظرياته بين الصوفية عن قصد وعمد لتشويش المسلمين في عقائدهم ومعتقداتهم، وتبكييت أهل السنة عن الاعتراض على التشيع وزيفه وضلاله، وإلزامهم السكوت بإبراز طائفة تنتمي إليهم، وتحسب عليهم، وتحمل المعتقدات نفسها التي تشتمل عليها هي، وهذا أمر خطير في تاريخ الطوائف والفرق»⁽⁵¹⁾!

لكن هذا الأمر الخطير الذي يشير إليه الباحث، أعني تسلل التشيع إلى التصوف بهدف صرف النظر عنهم، لا يستند وأشباهه إلى أدلة!! وتبقى آفة هذا النوع من الاستنتاجات أنه تقوم على الاسترسال والإسناد إلى نظريات المؤامرة دون أن تكون هنالك أدلة، بالمعنى

(50) العلاقة بين الصوفية والإمامية، ص 34-38.

(51) المصدر السابق، ص 77.

التصوف والتشيع في الواجهة. بليوجرافية سردية

العلمي، تؤيدها!! كما أنّ استناد الباحث إلى معلومة أن الثلاثة الذين اشتهروا في التاريخ الإسلامي باسم التصوف كانوا اثنين منهم من الشيعة، أو متهمين بالتشيع، يثير الغرابة بعض الشيء:

أولاً: لأن لفظة «صوفي» كانت معروفة قبل مجيء الإسلام. والدليل على ذلك، أنّ السراج الطوسي، وفي سياق دفعه تهمة الحدوث عن هذا اللفظ، بادر بعقد باب في كتابه اللمع تحت عنوان «في الرد على من قال: لم نسمع بذكر الصوفية في القديم وهو اسم محدث»، راجعاً بتاريخ الكلمة إلى ما قبل الإسلام، استناداً إلى ما ذكره إسحاق ابن يسار (ت 150م) في كتابه الذي جمع فيه أخبار مكة من أنه «قبل الإسلام قد خلت مكة في وقت من الأوقات (من الناس أو الحجاج ربما لأسباب صحية أو تجارية أو حربية)، حتى كان لا يطوف بالبيت أحد، وكان يجيء من بلد بعيد رجل «صوفي» فيطوف بالبيت وينصرف» مؤكداً - استناداً إلى هذا الخبر - أنّ هذا الاسم كان معروفاً قبل الإسلام حيث «كان ينسب إليه أهل الفضل والصلاح»⁽⁵²⁾.

ثانياً: أنه بغض النظر عن صحة هذا الخبر من عدمه، وما إذا كان الطوسي قد أورده للاستئناس ليس إلا، فمن المؤكد أنّ مصطلح «صوفي» كان معروفاً في النصف الأول من القرن الثاني الهجري، استناداً لقول الحسن البصري (ت 110 هـ): «رأيت صوفياً في الطواف فأعطيته شيئاً ولم يأخذ، وقال معي أربعة دوانيق فيكفيني ما معي»،

(52) الطوسي: اللمع، حققه وقدم له وخرج أحاديثه: عبد الحليم محمود، طه عبد الباقي سرور، لجنة نشر التراث الصوفي، دار الكتب الحديثة، ومكتبة المنشي ببغداد، 1960م، ص 42، 43.

محمد حلمي عبد الوهّاب

كما رُوِيَ عن سفيان الثوري (ت 161 هـ) أنه قال: «لولا أبو هاشم الصوفي (ت 150 هـ) ما عرفت دقيق الرياء»⁽⁵³⁾. مثلما شاع استعمال لفظة «تصوف» مبكراً، أو على الأقل في النصف الأول من القرن الثاني الهجري، ومما يعزز رأينا هذا، ما أورده ابن عبد ربه في «العقد الفريد» من أبيات مساور الوراق (ت 150 م) التي يعيب فيها تظاهر شخص ما بالصلاح رياء ومكابرة وفيها يقول:

تصوف كي يقال له أمين وما يعني التصوف والأمانة

ولم يرد الإله به ولكن أراد به الطريق إلى الخيانة⁽⁵⁴⁾

ومن ثم، يمكننا القول بأن لفظة «التصوف» قد عرفت إبان القرن الأول الهجري وذلك لسببين:

1- أن الحسن البصري قد توفّي في مطلع القرن الثاني الهجري وتحديدًا في سنة (110 م)، وإذا علمنا أنه ولد عام (21 هـ)، أدركنا على الفور أن القسم الأعظم من حياته (79 عامًا) كان في القرن الأول من الهجرة، وبحسب رواية الطوسي، فإن الحسن لقِيَ الرجل الذي دعاه «صوفياً» وهو يؤدي مناسك الحج، فإذا كان الحسن قد بلغ من العمر نحو 90 عامًا، فربما كان من الصعوبة بمكان أن يكون قد داوم على الحج حتى هذه السن المتقدمة. ومن ناحية أخرى ليس معنى إطلاق

(53) المصدر السابق، الصفحة نفسها.

(54) ابن عبد ربه: العقد الفريد، شرحه وضبطه وصححه وعنون موضوعاته ورتّب فهرسه: أحمد أمين، أحمد الزين، إبراهيم الإياري، تقديم: عبد الحكيم راضي، سلسلة النخائر، الهيئة العامة لتصور الثقافة، الجزء الثالث، رقم 13، أول فبراير، 2004م، ص 217.

التصوف والتشيع في الواجهة. بليوجرافية سردية

اللفظ أن ذلك يعني تاريخ بدايته، بل هو تقرير لمصطلح متعارف عليه من قبل.

2- يفيد المعنى المراد من بيتي الوراق، أن الرجل المهجو ليس متصوفاً حقاً، بل هو دعويٌّ من أديائه، وهو اتهام يكشف عن أنّ التصوف كان معروفاً وممارساً منذ زمن بعيد أو من مدة طويلة نسبياً، لكي يتسنى ظهور أدياء فيه. بل ويقرر بعضهم ظهور أدياء في عهد الحسن البصري الذي «أنكروا ابن السماك على هؤلاء الأدياء مذهبهم»⁽⁵⁵⁾. ونتيجة لما سبق، فإننا نرجح أنّ لفظة «التصوف» قد عرفت ومورست في ما بين الخمسين من الهجرة ومطلع القرن الثاني الهجري على أقل تقدير⁽⁵⁶⁾.

وبهذا ينتفي الأساس الذي بنى عليه كل من: فلاح بن إسماعيل، وزياد بن عبد الله الحمام، في أطروحتهما، تأثر التصوف كليةً بالتشيع!! بل إن الأول منهما عمد إلى تزييف الحقائق التاريخية المتواترة في كتب التصوف التي تؤكد أن أبا هاشم الكوفي هو أول من لقب بالصوفي ليطرح في المقابل مقاربتة الخاصة بأن عبدك هو أول من لقب بهذا اللقب وليس أبا هاشم أو جابر بن حيان!! أما ثانيهما فيلمح إلى أن أبا هاشم الكوفي وإن لم يُرمَ بالتشيع، فإنه كان من الكوفة

(55) إبراهيم بسيوني: نشأة التصوف الإسلامي، القاهرة، 1969م، ص15.

(56) لمزيد من التفاصيل قارن بتقديمنا لكتاب محمد مصطفى حلمي: الحياة الروحية في الإسلام، مصدر سابق، ص68-70، والكتب متوفر على الرابط التالي:

<http://ia601701.us.archive.org/13/items/books4all00/book001.pdf>

محمد حلمي عبد الوهّاب

الشيعة!! ومتهما بالزندقة والدهرية⁽⁵⁷⁾، بغضّ الطرف عن اتهام الشيعة لأبي هاشم وحملتهم عليه!!

وبطبيعة الحال، لا يكتفي المؤلف بذكر ذلك فحسب بل يشير في المبحث الخاص بالمؤثرات الخارجية إلى الآثار اليهودية والنصرانية والهندية واليونانية والفارسية التي تأثر بها كل من الصوفية والإمامية!! وذلك كله يفضي إلى النتيجة ذاتها التي وصل إليها سلفه فلاح بن إسماعيل، وهي نفي الطابع الإسلامي الأصيل عن كلا الفرقتين، وإخراجهما كلية من دائرة الإسلام الصحيح⁽⁵⁸⁾!!

ونظرا لضيق المقام، سنضطر إلى أن نقفز إلى جملة النتائج التي توصل إليها الباحث وضمناها خاتمة كتابه وفي مقدمتها: أن التقارب بين الصوفية والإمامية كان على وجه الخصوص مع غلاة الصوفية المتأثرين بالفلسفة، أمّا متكلمو الصوفية من الأشاعرة والماتريدية فلم يحققوا إلا جزءا يسيرا من صور التوافق. كما يعرض الباحث لأهم الطرق الصوفية التي ترتبط ارتباطا مباشرا بالإمامية وعلى رأسها الطريقة الرفاعي، والبكتاشية، والختمية، والعزمية. وأخيرا يوصي الباحث القيام بدراسة مستفيضة لوسائل الاختراق الشيعي للطرق الصوفية وبعض حركات المقاومة في العالم الإسلامي⁽⁵⁹⁾.

(57) العلاقة بين التصوف والإمامية، ص 78.

(58) راجع هذه المؤثرات في الصفحات 79-94، مع ملاحظة عدم مراعاة الترتيب التاريخي حيث يعرض للأثر النصراني قبل اليهودي!!

(59) ص 569-575.

التصوف والتشيع في الواجهة. بليوجرافية سردية

ويبقى القول: إن محض النظرة المنتبهة المتيقظة إلى عدد كبير من الأطروحات الجامعية التي تصدر حول هذا الموضوع، فضلا عن آلاف المواد الصحفية والمواقع الالكترونية والمنتديات الإسلامية، تؤكد مدى اللبس الحاصل بشأن دراسة التصوف والتشيع والعلاقة الكامنة بينهما، كما تدفع باتجاه إحداث مزيد من الخلط والتشويه المتعمد. وهذا بدوره يلقي عبئا ثقيلا على كاهل الباحث العلمي الذي يروم التجرد في عمله ويهدف إلى تحريّ الدقة والموضوعية.

الصوفيّة والشيعيّة من منظور سياسي معاصر

بلال مؤمن (*)

العلاقة بين التصوف والتشيع علاقة قديمة ترجع أصولها إلى القرون الأولى من الهجرة التي شهدت فترات تعميد نظريات الفرقتين، غير أنّ الالتقاء بينهما كان في الأساس التقاءً روحياً التزم في أكثر الأحيان الاتجاه الروحيّ النابع من المصدرين الأساسيين للشريعة والثقافة الإسلامية وهما القرآن الكريم، والسنة النبويّة المطهرة، فكلاهما على سبيل المثال يحتفظ بمكانه خاصة لآل البيت النبويّ، لكننا نجد أنّ كليهما قد ذهب تجاه تلك المكانة مذهبا خاصا فيلتقيان حيناً ويتباعدان في أكثر الأحيان.

(*) باحث متخصص في التصوف الإسلامي.

وقد نشأت في التاريخ الإسلامي فرقٌ صوفية تنتسب إلى كلا الجماعتين، فهناك فرق صوفية سنية كالنقشبندية، والخلوتية وغيرها ممّا لا حصر له من الطرق الصوفية السنية في أقطار العالم الإسلامي المختلفة، كما نشأت فرق صوفية ذات مرجعيةً شيعية كالبكتاشية، «وقد نشأ في الشيعة المتأخرين متصوفة واضحو الاتجاه كحيدر بن علي الأملي المتوفى بعد سنة (794هـ / 1392م)، وبهاء الدين العاملي (ت1031هـ / 1622م)، ومحمد تقي المجلسي (ت1070هـ / 1660م)، ومحسن الفيضي المتوفى سنة (1090هـ / 1697م)»⁽¹⁾.

من هنا فلا بأس في الحديث عن علاقة تاريخية ذات طابع روحانيّ جمعت بين أتباع الفرقتين على مدار التاريخ الإسلامي، تمثلت في عدد من القضايا النظرية التي تدور في فلك نظريّتيّ الولاية والمعرفة الصوفية.

لكن الإشكاليّة الحقيقية - التي يدور حولها موضوع دراستنا- هي دخول تلك العلاقة المعاصرة بينهما في إطار مشاريع سياسية توسعية ذات أهداف إيديولوجية، لاسيما أنّ أحد أطراف المعادلة، ونعني بذلك المذهب الشيعي، بات مرتبطاً بمشروع توسعي واضح المعالم للنظام السياسي الإيراني، خادماً لمصالحه، منحصرًا في إطار انتماء عرقيّ معين هو الفُرس في مقابل العرب حاملِي لواء السنّة.

وهو وإن كان تصنيفاً عرقيّاً بعيد عن الروح الإسلامية تتامى عن

(1) كامل مصطفى الشبيبي، الصلة بين التصوف والتشيع، طبعة أولى ص 15. دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بغداد 1963م.

بلال مؤمن

حركات شعوبية قديمة نجح الأقدمون في السيطرة عليها وإخمادها، فإننا نجد بعض المتعصبين المعاصرين من الاتجاهين يستأنفون بعثها وإحياءها من جديد، فالعرب سنة، والشيعه فرس، وإن وجد بين أبناء العرب من يتبع المذهب الشيعي فهو بلا شك تربطه علاقات خفية بالدولة الإيرانية، ويسعى لتنفيذ أجنداتها.

وبغض النظر عن مدى صدق تلك الادعاءات، فقد كثرت الاتهامات في مصر للطرق الصوفية باعتبارها البوابة الخلفية لنشر التشيع في مصر، والحاضنة للمشروع الشيعي الفارسيّ التوسعي على حساب العرب من أهل السنة لاسيما في أعقاب ثورة الخامس والعشرين من يناير، وهي الثورة التي نجحت في إسقاط نظام سياسي كان يحمل القطيعة والعداء للنظام السياسي الإيراني الذي يعد الراعي الرسمي للمشروع الشيعي في العالم المعاصر.

وقد تزامنت تلك الاتهامات مع عودة العلاقات السياسية المصرية - الإيرانية في أعقاب ثورة يناير، وانتهاز عدد من القيادات الدينية الشيعية الفرصة لزيارة مصر واللقاء مع بعض قيادات التيار الصوفي السني المصري مثل الزيارة الشهيرة لعالم الدين اللبناني الشيعي علي الكوراني، بل تجاوز الأمر ذلك إلى حد إقامة بعض الحسينيات الشيعية في مصر، وإقامة عدد من الندوات الدينية بمنازل بعض قيادات الشيعة المصريين، وهو ما برهن على وجود محاولات جادة للتبشير للمذهب الشيعي في مصر، وجعل مثل هذه الاتهامات ما يبررها.

التقريب ليس بدعة صوفية

لكن وعلى الرغم من وجهة بعض هذه الاتهامات، نجدها قد استخدمت ذريعة من قبل بعض التيارات الدينية المحافظة كالتيار السلفي لتصفية خصوماته التاريخية مع بعض الاتجاهات والمدارس الدينية المختلفة معها، ونعني بذلك على وجه خاص الطرق الصوفية.

وينبغي ألا ننسى أنّ دعوى التقريب لم تكن بدعاً من المتصوفة أو خلقاً على غير مثال، فمنذ أربعينيات وخمسينيات القرن الماضي جرت العديد من محاولات التقريب بين المذهبين السني والشيعة، كان الأزهر يقود الجانب السني فيها، وقد كللت تلك الجهود بإنشاء دار التقريب بين المذاهب في القاهرة، ومثلها دار التقريب بالعاصمة الإيرانية طهران، وبتوى فضيلة الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر بجواز التعبد على مذهب الشيعة الإثني عشرية، وإنشاء مجلة «رسالة الإسلام» التي ترأس تحريرها فضيلة الشيخ محمد المدني، وظلت على مدار عقود تسج على منوال التقريب بين المذاهب الإسلامية.

وهناك أمر آخر - لا ينبغي أن نغفله - قد لا يقل أهمية عن سابقه وهو النظر إلى الموقف السلفي من مسألة التقريب باعتبارها انعكاس للعلاقات السياسية المتوترة دائماً بين النظامين السعودي الوهابي، والنظام الإيراني الشيعي.

ففي حين يرتبط بعض رموز التيار الصوفي في مصر بعلاقة مباشرة بالنظام الإيراني كالشيخ الدكتور محمد علاء الدين ماضي

أبو العزائم شيخ الطريقة العزمية، فإن المملكة العربية السعودية هي الحاضنة لوجود التيار السلفي في مصر والرأعية لنفوذ، ومن الطبيعي أن تشهد هذه العلاقة المتوترة بين النظامين: السعودي والإيراني، انعكاسا على الساحة السياسية المصرية من خلال أذرع كل منهما في المشهد السياسي المصري الذي بات مرتبكا في أعقاب ثورة يناير، إلى الحد الذي يدفع العديد من المحللين للتحذير من محاولة «لبننة» مصر، والزجّ بها في دوامة الصراع الديني والطائفي.

وإذا كنا بصدد محاولة لاستبيان حقيقة تلك الاتهامات، وكشف مكنون تلك العلاقة بين الاتجاهين الصوفي والشيوعي، وتبيّن حقيقة الدور الصوفي في تنفيذ البرنامج التبشيريّ الشيعي، فإننا نؤكد أنه من غير الموضوعي أن نضع موقف جميع أبناء التيار الصوفي في سلة واحدة بحيث ننفي وجود مثل تلك العلاقة عن هذا التيار برمته أو نثبته إليه برمته كذلك.

وإنما يختلف موقف الطريقة الصوفية من محاولة التبشير بالمذهب الشيعي بحسب شخصية العناصر القائمة عليها، وهي مواقف تتباين ما بين أبناء الطرق الصوفية على كلّ حال، ولكي تكون المسألة أكثر وضوحا فإننا سنقارن بين موقف جماعتين من جماعات الطرق الصوفية ليستا بحال بعيدتين عن أتون ذلك الصراع، وإن كان بين موقف كل منهما الكثير من أوجه التباين.

ونعني بذلك موقف أبناء جماعة العشيرة المحمديّة من أتباع الشيخ محمد زكي إبراهيم رائد العشيرة المحمديّة، وموقف جماعة

الطريقة العزمية من أتباع الشيخ الدكتور محمد علاء الدين ماضي أبو العزائم، لنقارن بين موقفهما حول عدد من القضايا التي تبيّن مدى صدق تلك الدعاوى والاتهامات.

العشيرة المحمديّة والتقريب

أما عن موقف العشيرة المحمديّة فيتلخص في العبارة التي يستهل بها الإمام الراحل محمد زكي إبراهيم رائد العشيرة المحمديّة كتابه «أهل القبلة كلهم موحدون» حيث يقول:

(أهل القبلة جميعا إخواننا ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ فلا خصومة أبدا بيننا وبين أيّ مذهب من مذاهب (أهل لا اله إلا الله) سواء كانوا من الأحناف، أو المالكية، أو الشافعية، أو الحنابلة، أو الزيدية، أو الإمامية، أو الظاهريّة، أو غيرهم.. فإنّ الاختلاف في الفروع ضرورة طبيعية، ويستحيل استحالة مادّيّة جمع الناس على مذهب واحد، أو رأي واحد، في مسائل ظنيّة هي موضع نظر واجتهاد إلى يوم القيامة، ومادام مرجع الجميع كتاب الله وسنة رسوله، والخلاف على الفرعيّات إنما هو في الفهم والتوجيه والترجيح وطلب الحقّ، فلا خصومة قطّ⁽²⁾.

ويتضح من العبارة السابقة للإمام الراحل شيخ العشيرة ومؤسس الطريقة - التي يضع فيها مذاهب أئمة أهل السنة الأربعة: المالكية والأحناف والشافعية والحنبلية إلى جوار مذاهب أهل الشيعة

(2) محمد زكي إبراهيم، أهل القبلة كلهم موحدون، ص 5، طبعة أولى 1987م.

بلال مؤمن

من إمامية وإباضية وزيدية - حقيقة موقف أبناء العشيرة المحمدية من مسألة التقريب، وهو موقف يتأسس على قواعد ثلاث كثيرا ما يطرحها الشيخ في مؤلفاته المختلفة:

فأما القاعدة الأولى فهي: الإيمان بأن الاختلاف فطرة بشرية، وضرورة طبيعية نابعة من الاختلاف في طبيعة العقول والفهم والبيئات والخلفيات الثقافية، لذلك فهو يسوق العديد من وقائع الاختلاف بين الصحابة والنبي صلى الله عليه وسلم، وبين الصحابة في ما بينهم كالخلاف حول صلاة العصر في بني قريظة، ومصير أسرى بدر، والعدول والكلالة، وعدة الحامل المتوفى عنها زوجها، وزواج المتعة، والطلاق الثلاث بلفظ واحد، وبعض مسائل المواريث، ورفع اليد قبل الركوع وبعده، وصورة حركة الأصبع في التشهد، والجهر بالبسملة، وغيرها من القضايا العديدة التي مازال بعضها موضع نقاش بين الفقهاء، وجميعها فروع خلافية لا تمس أصول الدين.

وأما القاعدة الثانية فهي أن الاختلاف شريعة، لأنه ينبع في الغالب من التحري في طلب الصواب، والمجتهد مصيب في ذاته حتى لو سلمنا بخطئه، والرسول صلى الله عليه وسلم أقرّ الخلاف الاجتهادي في الفروع في حياته، والوحي يتنزل من السماء، لذلك فقبول الخلاف الاجتهادي في ما فيه الوجهان شريعة بالإضافة إلى كونه طبيعة حتمية، يقول الشيخ:

«إن كل ما انسحب عليه حكم الجواز والمنع، فمحملة الفروع، والفروع محلها الخطأ والصواب، فحكمها الحلال والحرام، فنقل هذا

الحكم إلى الكفر والإيمان، والشرك والتوحيد تلبس وتديس، لا تعرفه الأخلاق العلمية، ولا تعرفه أخلاق أهل العلم أو طلاب الحقيقة، وإنما هو بضاعة الحمقى والمفلسين من العلم الصحيح»⁽³⁾.

وأما القاعدة الثالثة فهي أنّ الوحدة هي الصانعة لمستقبل الأمة، وهي السبيل الوحيد لخروج الأمة من المأزق الحضاري الذي تعيشه، يقول الشيخ: «وكيف يمكن تحقيق الوحدة بين أهل القبلة، ونحن لم نترفع بعد عن السّبّ والشتم، والسفاسف والاتهام، وعدم الإحساس بفحش خطيئة المجازفة برمي المسلم بالشرك والكفر والفسوق والتبدّع، في ما يتنازع قولان أو يتعاوره دليلان، الأمر الذي يستنزف الجهد، ويلهب في كيان الأمة حريق الاستهلاك الذاتي المدمر في وقت تتجمع فيه حولها كلّ عوامل الهلاك»⁽⁴⁾.

من هم أهل القبلة؟

وانطلاقاً من تلك القواعد الثلاث يتأسس موقف العشيرة المحمديّة ورائدها الشيخ محمد زكي إبراهيم من الاتجاه الشيعي، وفرقه المتعددة التي لا يتعامل معها جملة، وإنما يميّز بين فرقها بحسب معتقداتها، فيقرر ما يحفظ منها موقعه من (أهل القبلة) وما ينحرف عنها، بحسب توافق معتقداتها مع الأصول العقديّة لجماعة أهل السنة، حتى أنه ليميّز بين مفهومي الشيعة والتشيع، وهو يعني بهما التمييز بين مرحلتين في تاريخ تكوّن الفرقة الشيعية تعود الأولى

(3) محمد زكي إبراهيم، الفروع الخلافيّة، ص 46، الطبعة الأولى 1995م، مطبوعات ورسائل العشيرة المحمديّة.

(4) المرجع السابق نفسه، ص 15.

بلال مؤمن

منها إلى الفترة التي لحقت بوفاة النبي صلى الله عليه وسلم مباشرة، والتي وقع فيها الخلاف حول قضية الإمامة، فشيعة الإمام «علي» هم من رأوا أحقيته بالخلافة في البداية، ثم من ناصروه أثناء وقوع الفتنة الكبرى، وقد كان من بينهم عدد من كبار الصحابة عليهم السلام كحذيفة بن اليمان، وسلمان الفارسي، وعمار بن ياسر وغيرهم، وهو خلاف سياسي كما يبدو.

أما المرحلة الأخرى فهي المرحلة التي تحول فيها ما هو سياسي إلى ما هو عقدي بحيث ظهرت بعض الاعتقادات الخاصة في الإمام علي وآل بيت النبي، والتي رأى فيها المسلمون وعلى رأسهم الإمام علي خروجاً على عقيدة أهل السنة والجماعة، لذلك يقول فيهم:

«أما مدعو التشيع فطائفة مختلفة تماماً، إنهم جماعات تعادي الإسلام والمسلمين، وقد تظاهر هؤلاء بدخول الإسلام، وبالانضمام إلى الشيعة ليوقدوا ناراً بين جماعات المسلمين، وقد أدخل هؤلاء في التشيع ألواناً من الضلالات والأكاذيب التي لا تمت له بصلة، وقدموها على أنها جزء من الإسلام، ووصل بهم الضلال إلى القول بأن علياً ليس بشراً عادياً... بل تمادى بعضهم إلى القول بألوهية علي»⁽⁵⁾.

الشيعة وأهل القبلة

يذهب الشيخ محمد زكي إبراهيم إلى بيان فرق الشيعة ومذاهبهم ليقرر من هم أهل القبلة، وليؤكد أننا «لو استطعنا أن نخلص الشيعة

(5) محمد زكي إبراهيم، أهل القبلة كلهم موحدون، ص 32، طبعة أولى 1987م.

من أفكار مُدّعيّ التشيع لعاد الحب والوئام بين المسلمين ولحلّ التعاون محلّ القطيعة، فإنّ إجماعاً أو شبه إجماع يكاد يوجد بين المسلمين على حبّ الإمام علي وتمجيده والولاء للصالحين من أولاده»⁽⁶⁾.

فالشيعة الإمامية - بحسب الشيخ - مسلمون، وهم أتباع الإمام جعفر الصادق، واشتهروا بالإمامية لقولهم بإمامة أهل البيت الاثني عشر من علي رضي الله عنه إلى محمد بن الحسن الإمام الغائب عندهم، الذي ينتظرون خروجه وظهوره كما ينتظر أهل السنة ظهور المهدي.

وقد أفتى الشيخ شلتوت شيخ الأزهر بصحّة مذهب الإمامية وأذن بتدريسه بالأزهر والعمل به بين المسلمين، وبالفعل أخذ واضعو قانون الأحوال الشخصية الحاليّ ببعض ما جاء في كتب الإمامية، وذلك خاصة في كتاب «المختصر النافع» الذي طبعته الأوقاف ووزّعته، وقدم له بعض علماء السنة ومنهم الشيخ محمد الفزالي، واعتمد مجمع البحوث بالأزهر المذهب الإمامي من مصادر الفقه الإسلاميّ المأذون بتدريسه والفتوى به.

والشيعة الزيدية: هم أتباع الإمام زيد بن علي زين العابدين بن الإمام الحسين بن الإمام علي وفاطمة رضي الله عنهم جميعاً، ومذهب الزيدية - بحسب الشيخ - هو أقرب شيء إلى مذهبيّ مالك وأبي حنيفة، وليس فيه الغلو الموجود في سائر مذاهب الشيعة وكثيراً ما

(6) المرجع السابق نفسه، ص 32، 33.

أشار الشيخ الشوكاني والشيخ الصنعاني في كتبهما الفقهية إلى هذا المذهب ، وقد يسمى عند الفقهاء بمذهب (أهل البيت).

غلاة الشيعة وضلالاتهم

إلى جانب الفرقتين المتقدمتين من فرق الشيعة، التي يعتبرهما الشيخ محمد زكي إبراهيم مسلمين لا يخرجون عن أهل القبلة، يذكر بعض الفرق المغالية من الشيعة كالنصرية، والأغاخانية من الإسماعيلية، والغرابية، التي يعتبرها فرقاً ضالة ويعدد عقائدهم كالقول بأن جبريل خان أمانة الوحي ونزل على محمد بدلا من النزول على عليّ، أو الذين يعتقدون أنّ الله يحلّ في زعيمهم فهو إله لا يسأل عما يفعل، أو الذين يقولون إنّ محمدا وعليّا يشبه أحدهما الآخر في كلّ شيء كما يشبه الغراب الغراب، ويقولون: لهذا لم يستطع جبريل التفريق بين محمد وعليّ.

أو الذين يقولون بأنّ المصحف الذي بين يدينا منقوص، وأنّ الصحابة حذفوا منه كلّ ما يتعلق بعليّ وفاطمة وأنّ القرآن التام عندهم ستأتي به فاطمة عند ظهور المهدي المنتظر، أو القول بأنّ مصحف فاطمة هذا مصحف خاص ليس فيه من القرآن حرف واحد، وأنّ جبريل علمه فاطمة، وكتبه علي بالسمع من جبريل وفاطمة.

وهكذا ينتهي الشيخ من تعدد عقائد فرق الشيعة، ويعلق عليها جميعا بقوله: «وكل هذه الفرق كما ترى (في ما عدا الإمامية الجعفرية والزيدية والبهرة) فرق ضالة شاذة منطوية على نفسها لا

تكاد يعرفها اليوم أحد ولعلها ممّا أشار إليه حديث افتراق الأمة (إن صحّت روايته). والذي نريد تسجيله من هذا البحث هو أنّ الإمامية إنّما هم مسلمون فعلا وهم كثرة في الإسلام كاثرة بحق، وكذلك الزيدية باتفاق أهل العلم وليس من العدل أو العلم إخراجهم من حظيرة الإسلام بالشبهات التي يقول بها المتفلسفة، وبرغم اختلافهم مع جمهور أهل السنة في كثير من الفروع فإنّ الاختلاف في الفروع طبيعة بشرية خالدة وهو شريعة إسلامية⁽⁷⁾.

مهدي الشيعة

ولنعرج على قضية أخرى سيكون في بيانها جلاء لمدى التوافق والارتباط بين جماعتي العشيرة المحمديّة والعزمية من الشيعة، وهي قضية ظهور المهدي المنتظر.

إذ نجد أنّ شيخ العشيرة يتفق مع عموم أهل السنة في القول بتواتر الأحاديث التي تثبت صحّة مجيء المهدي المنتظر، وأنه سيجيء ليصلح ما أفسده المسلمون ببُعدهم عن شريعة الله، وأنه سيملا الأرض عدلا بعدما ملئت جورا. يقول الشيخ:

«والذي ندين الله عليه أنّ «المهدي» حق، وأنّه سيأتي ليصلح ما أفسد المسلمون خاصة، والناس عامة، والعرب بصفة خاصّ، وإنّ هذا يقتضي أن يكون مستوعبا للحياة، وتقدم الحضارات والعلوم المختلفة، والمخترعات والمبتكرات، وغير ذلك من ضروريّات الحاكم الواعي

(7) المرجع السابق نفسه، ص 35.

المتفتح في عصر الفضاء والذرة والتكنولوجيا المذهلة»⁽⁸⁾.

أما عن صفاته فهو - بحسب الشيخ - أحد أبناء بيت النبوة من نسل الحسنين، ويكون قريب الشبة من النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صورة وقولا وعملا، كما يشبه اسمه اسم النبي وكذلك اسم أبيه، وهو لا يعرف نفسه ولا مهديته، وإنما يختاره الله فيختاره الناس فجأة.

أمّا عن مدى توافق شيخ العشيرة مع فكرة المهدي عند الشيعة، فإنّ الشيخ يجيب عن هذا السؤال بقوله: «أمّا المهدي المنتظر عند إخواننا الشيعة بفرقهم المختلفة فله حديث طويل، فهم بفرقهم يختلفون مع أهل السنة في أنّ المهدي معروف لهم، وبحسب اعتقاد كلّ طائفة منهم في شخص معين، وأمّا المجهول فهو وقت خروجه»⁽⁹⁾.

وهكذا يتضح ممّا سبق أنّ الشيخ محمد زكي إبراهيم يتفق مع الشيعة الإمامية في أنه لم يشترط أن يكون اسم المهدي هو اسم النبي نفسه واسم والده هو اسم والد النبي أيضا، أي محمد بن عبد الله، وإنما يصرف نص الحديث ليكون الاسم الأوّل والثاني من اسمه يشبهان اسم النبي ووالده بمعنى أن يكون الاسم الأوّل أحد الأسماء المحمديّة، بينما يحمل الثاني معنى العبودية لله، وهي المسألة التي يدافع عنها أتباع المذهب الإمامي بشده لأنهم يواجهون صعوبة في التوفيق بين نصوص تلك الأحاديث التي تؤكد على تواطؤ الاسم الأوّل

(8) محمد زكي إبراهيم، قضية المهدي المنتظر بين الرفض والقبول، مطبوعات ورسائل العشيرة المحمديّة، الطبعة السادسة 2000م.

(9) المرجع السابق نفسه، ص48.

والثاني للمهدي، مع الاسم الأوّل والثاني للنبيّ، لأن المهدي عندهم هو محمد بن الإمام الحسن العسكري، وهو اسم لا يواطئ اسم النبيّ.

لكن هل يعني هذا أنّ الشيخ يدعم فكرة أنّ المهدي هو مهدي الشيعة (محمد بن الحسن العسكري) إمام السرداب؟ الحقيقة أنّ عدم اشتراط الشيخ اتفاق الاسم لا يفيد الإمامية في اعتقادهم على ما يبدو، لأنّ الاسم الثاني لإمامهم لا يشتق من مفهوم العبودية كما رجح الشيخ، بالإضافة إلى أن رائد العشيرة يؤكّد أنّه شخص غير معروف، ولم يأت أوّانه بعد، وأنه سيأتي آخر الزمان، وأنّ دوره سيقوم على إصلاح ما فسد من حال البشر، كما ذكرت الأحاديث النبويّة، وهو على خلاف الإمامية الذين يعرفون مهديهم وتاريخه حق المعرفة.

هكذا يميز الشيخ بين اعتقاده في صحّة المهديّة، وبين اعتقاد أتباع المذهب الشيعي، وهو اعتقاد لا يبتعد فيه كثيرا عن اعتقاد عموم أهل السنة.

آل العزائم وقضية التقريب

ولا يختلف موقف أبناء الطريقة العزمية عن موقف العشيرة المحمديّة من قضية التقريب بين المذاهب فالطريقة العزمية تؤكّد ضرورة مفهوم التقريب باعتباره الضامن للإسلام والمسلمين والحامي له ولهم من غول المشاريع الاستعماريّة والتبعية للغرب، بالإضافة إلى أنّ حجم المختلف عليه بين السنّة والشيعة من المسائل الفقهيّة والعقدية لا يتجاوز حجم المختلف عليه بين أبناء السنة أنفسهم، أو بين أبناء

بلال مؤمن

الشيعية في ما بينهم، ومن هنا فالتقريب أمر واجب. يقول الشيخ محمد علاء الدين ماضي أبو العزائم:

«إنّ الخلاف الطائفي الشيعي السني ليس الخلاف الوحيد في تاريخنا الإسلامي وواقعنا المعاصر، فقد كانت ولا تزال هنالك خلافات مريرة داخل كل طائفة، داخل الشيعة أنفسهم وكذلك السنة، إضافة إلى الخلافات القومية والقبلية والطبقية التي تفجرت عبر التاريخ وتتفجر هنا وهناك باستمرار. بحيث نستطيع القول: إنّ الخلاف الشيعي - السني يتراجع إلى درجة كبيرة أمام تلك الخلافات، وإنّه لا يوجد في الحقيقة خلاف جدي بين الطائفتين، ما عدا وجود بعض الحواجز النفسيّة والمسائل البسيطة»⁽¹⁰⁾.

ورغم هذا الحديث الثريّ لشيخ الطريقة العزمية عن ضرورة الوحدة والتقريب بين المذاهب، فإنّ اللافت أنّ مشروع التقريب عندهم بعين واحدة، بحيث يسع التقريب مع أتباع المذهب الشيعي، ويرفضه مع أتباع المنهج الوهابي السلفي، وهم منهج سني على أيّ حال، بل يتعالى عنه إلى حدّ اعتبار أتباع الشيخ محمد بن عبد الوهاب النجدي يهودا وليسوا حنابلة⁽¹¹⁾.

(10) محمد علاء الدين ماضي أبو العزائم، مقال منشور بمجلة الإسلام ووطن. بتاريخ 24/ديسمبر /2011، رابط المقال:

<http://www.islamwattan.org/index.php?option=comcontent&view=article&id=51:-13&catid=14:2011-12-23-17-09-41>

(11) محمد علاء الدين ماضي أبو العزائم، يهود أم حنابلة، دار الكتاب الصويّة، القاهرة 1999م.

العلاقة بين آل العزائم والشيعيّة

والشيخ محمد علاء الدين أبو العزائم هو عضو دار التقريب السنّي الشيعي في القاهرة، وعضو دار التقريب بين السنة والشيعيّة في إيران، وقد أثير حول علاقته بالنظام السياسي الإيراني، وبالمنظمات الشيعية العالميّة - فضلا عن علاقته ببعض القيادات الشيعية داخل مصر - الكثير من اللغط حول دوره في التبشير بالمشهد الشيعي في مصر.

وترتبط العلاقة العزمية بعلاقة خاصة بالنظام الإيراني، وبالتنظيمات الشيعية الكبرى في العالم مثل «المجمع العالميّ لأهل البيت»، وهو المجمع الذي أسس في عام 1990م ببركات الثورة الإيرانية - بحسب الموقع الرسمي للمجمع - وعلى أيدي نخبة من كبار قادة الفكر الشيعي في العالم، ويهدف المجمع إلى تنظيم أمور الشيعة في العالم، وللمجمع العديد من المقرات حول العالم لاسيما أمريكا، ويقوم بتنظيم المؤتمرات والندوات للرموز الشيعية والإسلامية بوجه عام، كما يسعى لإقامة مجامع مناظرة لأهل البيت في العديد من دول العالم⁽¹²⁾.

وقبل أن نخوض في الحديث عما تمثله الطريقة العزمية من دعم إستراتيجيّ للسياسة الإيرانية في المنطقة العربية، دعونا نبدأ بالبحث في أوجه التعاون النظريّ بين الجماعتين،

(11) راجع الموقع الرسمي لمجمع أهل البيت:

رابط الموقع الرسمي:

<http://www.shia-today.com/index.hp?show=news&action=article&id=5545>

فالعزمية لا تدخر جهداً في الدعوة للتقريب مع المذهب الشيعي، وفي هذا الإطار قدمت الطريقة ضمن (سلسلة الفتوحات العزمية)، وهي سلسلة تصدر عن لجنة البحوث والدراسات بالطريقة العزمية، ستة مجلدات من القطع الصغير، بالتعاون مع «المجمع العالمي لأهل البيت»، والتي قام بطباعتها مؤسسة الفكر الإسلامي بهولندا، وهي مؤسّسة شيعية أيضاً، تحت عنوان (الشيعية والتشيع في فكر القادة ورؤية الأئمة)، وأسفله عنوان فرعيّ (شبهات حول الشيعية)، وقد اعتذرت عنه في مقدمة السلسلة مؤكدة أنّ هذا العنوان لا يحمل ترجيحاً لأحد المذاهب على الآخر.

ويأتي العنوان الرئيسيّ للسلسلة (الشيعية والتشيع في فكر القادة ورؤية الأئمة)، من العدد الذي سبق سلسلة شبهات حول الشيعية، وهو العدد الذي احتوى على عدد من وجهات النظر الدينية كمفتي الجمهورية السابق علي جمعة، والشيخ محمود عاشور رئيس دار التقريب بين المذاهب، بالإضافة إلى شيخ الطريقة العزمية، وعدد من القيادات السياسية هم الرئيس السابق لمصر محمد حسني مبارك، والرئيس الإيراني محمد خاتمي، والليبيّ معمر القذافي، وهو العدد الذي أطلق فيه الرئيس الليبيّ السابق دعوته الغريبة إلى إحياء الخلافة الفاطمية في مصر وبلدان شمال أفريقيا، وهي الدعوة التي ستلقى اهتماماً ملحوظاً من شيخ الطريقة العزمية منذ إطلاقها على لسان معمر القذافي في عام 2010م وحتى الآن⁽¹³⁾.

(13) خطاب للرئيس معمر القذافي نشر بالعدد 29 من سلسلة الفتوحات العزمية. بعنوان (الشيعية والتشيع في فكر القادة ورؤية الأئمة)، وانظر خبر منشور بجريدة الوطن الكويتية بتاريخ 2011/6/2م.

<http://alwatan.kuwait.tt/ArticleDetails.aspx?Id=115760>

وقد بيّنت لجنة البحوث والدراسات بالطريقة العزمية أن الهدف من السلسلة هو «أن يعرف كلّ فريق ما لدى الآخر، ويعذر بعضنا بعضهم في ما اختلفنا فيه»⁽¹⁴⁾.

وما يهّمنا هنا هو المحتوى المعرفي لتلك السلسلة، فقد رأت لجنة البحوث والدراسات بالطريقة العزمية أن تضع أيديها على نقاط الخلاف بين أتباع المذهبين، وأن تعرض وجهة النظر الشيعية والسنية في المسألة المطروحة في حياض تامّ، ومن ثمّ فقد قامت لجنة البحوث والدراسات بالطريقة العزمية بتحديد نحو أربعة وعشرين شبهة سنية حول الشيعة، وهي المسائل الخلافية الشهيرة بين المذهبين، لتعرض فيها وجهتي النظر السنية والشيعة على نحو متوازٍ، مع محاولة التقريب بين وجهتي النظر.

بدأت سلسلة شبهات حول الشيعة في الجزء الأوّل منها بمعالجة قضية الإمامة من حيث كونها نصّاً أو شورى، وشبهة مصحف الإمام علي عليه السلام، ثمّ توالت القضايا في الأجزاء الخمسة التالية حول المسائل الموالية تفنيد شبهة تأسيس عبدالله بن سبأ لمذهب الشيعة، شبهة الغسل أو المسح على الأرجل، مسألة التقيّة، حول الجمع بين الصلاتين، نظريّة عدالة الصحابة، البكاء على موتى المؤمنين، شبهة الغدير، عصمة الأولياء، في السجود على التربة الحسينية، قضايا الأذان، الزواج المؤقت، زيارة القبور، القول بالبداء، في الإيمان بالمهدي

(14) لجنة البحوث والدراسات بالطريقة العزمية، مقدمة سلسلة (شبهات حول الشيعة الجزء الرابع، عدد، 33 ص7.

بلال مؤمن

المنتظر، حول المقصود بأصحاب الكساء الخمسة، الاعتقاد بالرجعة، في التسمية بعبد النبي وأمثاله، في عقيدة الشيعة بالسيدتين حفصة وعائشة، رفض القياس والاستحسان، في صلح الإمام الحسن ومعاوية، في الافتراء بأن الرسالة كانت للإمام علي عليه السلام.

بذور الفتنة

وبصرف النظر عن مدى التوافق السني الشيعي حول تلك المسائل، فما يهمننا في الأساس هو تعرّف كيفية معالجة السلسلة لهذه القضايا، وكيف طرحتها للقارئ المصري - وهو مواطن سني المذهب في الأساس - على نحو يراعي التوازن بين وجهتي النظر، ولا يغلب معه الظنّ بترجيح أو تبين لموقف أحد المذهبين على المذهب الآخر.

ففي الجزء الأول من (سلسلة شبهات حول الشيعة)، وهو يأتي رقم 30 في سلسلة الفتوحات العزمية، استعرضت آراء الشيعة حول قضية الإمامة والنص في الصفحات من (11 إلى 106) بينما عرض ردّ الطريقة العزمية، الذي جاء فيه اعتقاد آل العزائم بأنّ الشيخ محمد ماضي أبو العزائم هو الإمام الثاني عشر في سلسلة أئمة أهل البيت الاثني عشر، التي تبدأ بالإمام علي بن أبي طالب وتنتهي بالشيخ محمد ماضي أبو العزائم في الصفحات من (106 إلى 112)، أي نحو 95 صفحة لعرض عقائد الشيعة الإمامية بتفصيلاتها، وردود السنة التي يعبر عنهم آل العزائم باعتقادهم في شيخهم في ستّ صفحات.

أمّا بقية صفحات الجزء الأول فيبرهن فيها الشيعة الإمامية

موقفهم من المصحف المعروف بمصحف الإمام عليّ، ويؤكدون فيها أنّه نسخة المصحف الشريف نفسها التي بين أيدي أهل السنة لكنها بجمع الإمام عليّ، وعلى هوامشه شرحه وتفسيره وأسباب نزوله بحسب الإمام عليّ، وذلك من الصفحة 115 حتى 127.

بينما جاءت الصفحة الأخيرة 128 على لسان لجنة بحوث الطريقة العزمية لتؤكد أنّه لا خلاف بين السنة والشيعيّة حول مصحف عليّ، وذلك في نحو نصف صفحة من القطع الصغير، متغافلين عمّا يزعمون أنّه شروح وتأويلات وعلوم الإمام علي على هامش المصحف، هي التي ستكون حاوية لسائر عقائدهم، وستكون مصداقيتها من مصداقيّة النص القرآنيّ المصاحبة له والمعروفة بمصحف علي.

أمّا الجزء الثاني فقد خصص لمعالجة قضيتن الأولى هي دور عبد الله بن سبأ في تأجيج الفتنة الكبرى، وفي تأسيس المذهب الشيعي، وقضية وجود شخصية عبد الله بن سبأ التي ستصير محل جدال ونظر بين العديد من الباحثين لاسيما مؤرخي الشيعة وكتابهم، الذين يرون في وجوده انتقاصا من عقليّتهم وطعنا في أصوليّة معتقداتهم، والقضية الثانية هي شبهة الغسل أو المسح على الأرجل.

النبيّ واضع بذور التشيع

وينصب اهتمامنا هنا على المسألة الأولى، وهي معالجتهم لقضية وجود عبد الله بن سبأ، ورغم أنّ لجنة البحوث العزمية، قد أكدت منذ مقدمة هذا الجزء في البداية أنّ النبيّ صلّى الله عليه وسلم

بلال مؤمن

هو المؤسس الحقيقي للتشيع، فهو باذر بذرته وراعي غرسها وثمارها.

«والحقيقة أنّ أوّل من وضع بذرة التشيع في حقل الإسلام - هو صاحب الشريعة الإسلامية نفسه - وهذا يعني أنّ بذرة التشيع وضعت مع بذرة الإسلام جنباً إلى جنب وسواء بسواء، ولم يزل غارسها يتعهدا بالسقي والعناية حتى أزهرت في حياته، ثمّ أثمرت بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى»⁽¹⁵⁾.

وهم في سبيل ذلك يسوقون العديد من روايات الأحاديث التي يبشر فيها النبيّ صلّى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب وشيعته بالجنة، لكنهم لم يكتفوا بذلك بل تركوا المساحة كاملة لعلماء المجمع العالميّ لأهل البيت لتنفيذ (أسطورة ابن سبأ)، وقد بدأ حديثهم من الصفحة التالية للمقدمة، أي من الصّفحة الرابعة عشرة إلى نهاية الفصل في الصفحة الثامنة والتسعين، فمرّوا خلالها بتنفيذ روايات معظم مؤرخي أهل السنة عن عبد الله بن سبأ ودوره في نشأة المذهب الشيعي بدءاً بالطبريّ، وابن عساكر، وابن كثير، والحافظ الذهبيّ، وفتدت فيها كتابات كثير من علماء السنة ومؤرخيهم المعاصرين، ومنهم الشيخ محمد أبو زهرة، ومحمد زاهد الكوثري، وأحمد أمين، لكننا لم نجد ردّاً من لجنة البحوث والدراسات بالطريقة العزمية على تلك الآراء، ولم يتح المجال لأحد الباحثين السنة لمناقشتها.

وقد كان الشيخ محمد زكي إبراهيم في حديثه السابق عن الفئة

(15) لجنة البحوث والدراسات بالطريقة العزمية، مقدمة الجزء الثاني من سلسلة الفتوحات العزمية، عدد 29،

التي دخلت الإسلام حتى تنخر في عظامه، وتنال منه من الداخل بإيقاع الفتنة بين المسلمين، بعدما عجزت عن مواجهته من الخارج يشير إلى عبد الله بن سبأ، وجماعته التي عرفت بالسبئية، وهو الذي يقول عنه أحمد أمين «أول من دعا إلى تأليه «علي» عبد الله بن سبأ اليهودي، وكان ذلك في حياة علي، وقد رأيت من قبل طرفاً من سيرة ابن سبأ هذا، فهو الذي حرّك أبا ذر الغفاريّ للدعوة إلى الاشتراكية، وهو الذي كان من أكبر من ألّب الأمصار على عثمان، والآن أله علياً، والذي يؤخذ من تاريخه أنه وضع تعاليم لهدم الإسلام»⁽¹⁶⁾.

ولا يفوت أحمد أمين أن يعلق على عبارته السابقة بقوله «يذهب بعض الباحثين إلى أن عبد الله بن سبأ رجل خرائفيّ ليس له وجود تاريخي محقق، ولكننا لم نر لهم من الأدلة ما يثبت مدعاهم»⁽¹⁷⁾، وقد رأينا التعويل على هذه المسألة لأهميتها.

لكن السلسلة لا تتيح المجال للتعرف على هذه الآراء، وإنما تمضي سلسلة الفتوحات العزمية في عرض قضايا الخلاف بين السنة والشيعية، بإتاحة المساحة كاملة لعلماء الشيعة بعرض آرائهم وتقنيدهم آراء أهل السنة لتطرح السلسلة في الأسواق لقارئ مصري سني في الأساس، وبسعر رمزي لا يتجاوز الجنيهين للعدد، وكأننا بصدد محاولة صريحة لدعوة أهل السنة لتبني عقائد الشيعة وإن صرحوا في المقدمة بأن ليس هذا هو هدف السلسلة.

(16) أحمد أمين، فجر الإسلام، مطبوعات لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ص 269.

(17) المرجع السابق نفسه، تعليق على هامش صفحة 269.

بلال مؤمن

وربما لا يسعنا المرور على أجزاء السلسلة الستّ لنعرض طريقة معالجتها لقضايا الخلاف لكننا سنعرض عرضا سريعا لقضية أخيرة مهمّة، وهي معالجة سلسلة شبّهات حول الشيعة لقضية الإيمان بالمهدي المنتظر، وهي واحدة من موضوعات الجزء السادس.

مهدي آل العزائم

وقد عولجت المسألة ابتداءً من ص 53، ودارت حول كون المهدي المنتظر هو الإمام محمد بن الحسن العسكري، وقد لُوِيَتْ فيها أعناق أغلب كتاب التراجم والطبقات من المسلمين بحيث يكون كلامهم معبرا عن إيمانهم بأنّ المهدي المنتظر هو محمد بن الحسن العسكري صاحب السرداب على عقيدة أهل الشيعة.

وقد بدأ السيد علاء الدين القزويني أحد علماء الشيعة بنقده لكتاب عبد الله الجميلي (بذل المجهود) والذي أنكر فيه أن يكون للإمام الحسن العسكري ولدٌ بقوله (هذا ما يزعمه الأستاذ عبد الله الجميلي، وغيره ممن كتب عن الإمام المهدي المنتظر عليه السلام، ولم يأت الجميلي بجديد، بل نقل ذلك عن أسلافه أمثال موسى جار الله التركستاني، وإحسان إلهي ظهير، وأحمد أمين، ومحمد مال الله، وغير هؤلاء من المفتريين على الله وعلى رسول الله صلى الله عليه وسلم»⁽¹⁸⁾.

ثم يورد تراجم الإمام الحسن العسكري، وولده محمد على السنة العديد من مؤرخي السنة وعلمائهم، على نحو يقطع النصوص

(18) لجنة البحوث والدراسات بالطريقة العزمية، الجزء السادس، عدد 35، ص54.

من سياقاتها العامّة، ويفهم منه اعتقاد هؤلاء بأن محمد بن الإمام الحسن العسكري هو المهدي المنتظر لا ريب، ويأتي على رأس هؤلاء ابن حجر الهيثميّ في الصواعق المحرقة، وابن خلكان في وفيات الأعيان، وابن الأثير في الكامل في التاريخ، وفي مرآة الجنان لليافعي الشافعي، كأن يقول:

«وجاء في وفيات الأعيان لابن خلكان أحد علماء أهل السنة في ترجمة الإمام الحسن العسكري عليه السلام (أبو محمد الحسن بن علي بن محمد... أحد الأئمة الاثني عشر على اعتقاد الإمامية، وهو والد المنتظر صاحب السرداب)⁽¹⁹⁾.

ومن الواضح في النص أنّ ابن خلكان إنما ينقل اعتقاد الشيعة الإمامية فيه، لا اعتقاد مؤلف وفيات الأعيان على نحو شخصي، لكن رغم ذلك فإننا نجد القزويني يتقول على علماء السنة ومؤرخيهم، وينتهي من عرض أرائهم المجتزأة بقوله: «ولهذا اتفق أكثر أهل السنة مع جميع الشيعة، على أنّ المهدي المنتظر من ولد الإمام الحسين عليه السلام، وأن اسمه محمد بن الحسن العسكري، وقد اعترف بهذه الحقيقة حتى الخوارج»⁽²⁰⁾.

ونحن لا نستغرب أن يعلن الشيعة عن معتقدتهم في محمد بن الإمام الحسن العسكري باعتباره المهدي المنتظر، لكن وجه الغرابة في أن تترك لهم المساحة ليعلنوا هذا الاعتقاد على السنة علماء السنة

(19) المرجع السابق نفسه، ص57.

(20) المرجع السابق نفسه ص70.

بلال مؤمن

في مطبوعة تنشر برعاية جماعة سنية على كل حال لتوزع في نهاية المطاف بين أهل السنة، بينما لا تقوم جماعة العزمية بدورها الطبيعي في نفي مثل هذا الاعتقاد عن أهل السنة.

ومن البديهي أنّ هذه ليست عقيدة أهل السنة، ويجب الشيخ محمد زكي إبراهيم يجيبهم برأي أهل السنة في اعتقاد الشيعة هذا، ويوضح الفارق بين الفرقتين العشيرة المحمديّة، والطريقة العزمية فكلاهما يؤمن بالتقريب، ويسعى إليه، لكن الشيخ محمد زكي إبراهيم وأتباعه يتخذون موقفا حاسما تجاه عقائد أهل السنة وقضاياهم خاصة في مناطق الصراع مع الشيعة على ما سيأتي بيانه.

يقول الشيخ محمد زكي إبراهيم رائد العشيرة المحمديّة في اعتقاد الإثنيّ عشرية عن المهدي المنتظر:

«وَدَّعَتِ الشَّيْعَةُ الْإِمَامِيَّةُ أَنَّ الْمَهْدِيَّ هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ الْعَسْكَرِيِّ، وَزَعَمُوا أَنَّهُ اخْتَفَى يَوْمًا عَنْ أَعْوَانِهِ فِي سَرْدَابٍ فِي بَيْتِ أَبِيهِ بِ«سَامِرَاءَ». وَهَذَا بَاطِلٌ، لَا دَلِيلَ عَلَيْهِ»⁽²¹⁾.

لا نريد أن ننساق وراء أعداء المتصوفة على وجه العموم، والصراع المحموم بين أبناء الطريقة العزمية وأتباع المذهب الوهابي السلفي على وجه الخصوص، بحيث نؤكّد فكرة سعي العزمية للترويج لعقائد المذهب الشيعي في مصر، لأن قضية التقريب مسعى أساسي

(21) محمد زكي إبراهيم، قضية الإمام المهديّ بين الرفض والقبول، ص15، مطبوعات ورسائل العشيرة المحمديّة، الطبعة السادسة 2000م.

الصوفيّة والشيعيّة من منظور سياسي معاصر

للعديد من المدارس الدينية، وعلى رأسها الأزهر الشريف، وهي قد لا تكون ممتهنة إلاّ عند أتباع المدرسة السلفية المعاصرة، ولعل ذلك هو ما دفع الشيخ محمد زكي إبراهيم في خاتمة كتابه (أهل القبلة كلهم موحدون إلى إعلان استغرابه من هذا الموقف العدائيّ الذي تتخذه المدرسة السلفية المعاصرة من مسألة التقريب، على الرغم من أنّ الجهود الأولى للتقريب التي أنشأت (دار التقريب بين المذاهب) باعتبارها واحدة من نتائجها المباشرة، قامت في الأساس بمباركة عدد من علماء الأزهر الشريف المحسوبين على المدرسة السلفية كالشيخ المدني رئيس تحرير مجلة رسالة الإسلام، والشيخ عبد المجيد سليم، والشيخ محمود شلتوت وغيرهم..

يقول الشيخ: «وكانت قد تألفت في مصر جمعية للتقريب بين أهل المذاهب كان صاحب دعوتها الشيخ محمد القمي، وكان من أعضائها الشيخ شلتوت، والشيخ محمد المدني، والشيخ عبد المجيد سليم رضي الله عنهم، وكلهم من أنصار السلفية ولا يزال في الأزهر من العلماء العقلاء من يقولون بقولهم، ومن غير المفهوم بعد هذا أن يتزعم «المسلفون» اليوم حركة الشعوبية ضدّ الشيعة المعتدلين كمسلمين، لا (كسياسيين)»⁽²²⁾.

وقد تكون العبارة الأخيرة للشيخ محمد زكي إبراهيم التي يميّز فيها بين التقريب بين المذاهب الدينية، وبين الانضواء إلى الإيديولوجية السياسية هي النقطة المركزية للمسألة برمتها، فإذا معظم المدارس

(22) محمد زكي إبراهيم، أهل القبلة كلهم موحدون ص 33، طبعة أولى 1987م.

بلال مؤمن

الدينية، وعلى رأسها العشيرة المحمدية، تميّز بين هذين النمطين من التقريب: الديني والسياسي، بحيث تسعى للأولى، وتدعّ الثانية لأصحابها من أهل السياسة، فإنّ العزمية- متجاوزة لحدوها تمزج بين هذين النمطين من التقريب بحيث تبدو راعية للمشروع السياسي الإيراني، ولتنتبج مواقف شيخ السادة العزمية بشيء من التدقيق من بعض القضايا التي هي محلّ للنزاع بين السياسة العربية والإيرانية.

فيحسب جريدة «المصريون»، داوم شيخ الطريقة العزمية السيد محمد علاء الدين ماضي أبو العزائم على زيارة إيران منذ نهاية التسعينيات، وحتى العام الجاري، فكانت الزيارة الأولى عام 1997م، والثانية عام 2006م، والثالثة عام 2007م، وهي السنة التي أعيد فيها إعادة عمل دار التقريب بين المذاهب، على الرغم من أن هذه الفترة هي ضمن سنوات القطيعة السياسية بين النظامين المصري والإيراني، وأنها شهدت الكثير من الاضطرابات بين البلدين حول العديد من القضايا العالقة في منطقة الخليج العربي⁽²³⁾.

ثم سارع إلى قيادة وفد شعبيّ لزيارة إيران جمع فيه عدد من قيادات الطرق الصوفية في أعقاب ثورة الخامس والعشرين من يناير، وهو الموقف الذي قُبل بالاستهجان من المجلس الأعلى للطرق الصوفية.

لم يتوقف الأمر عند هذا الحدّ، ففي الحوار الذي أجرته معه

(23) خبر منشور بجريدة «المصريون»، بتاريخ 23 ديسمبر 2013م.

رابط الخبر:

جريدة الوفد الإلكترونيّة بتاريخ 12 / أغسطس/ 2012م أكد الشيخ محمد علاء الدين ماضي أبو العزائم، شرعية تحول أهل السنة إلى المذهب الشيعي وأن لا خوف على المتحوّلين فهم من أهل الجنة، بينما أكد على الصعيد السياسي رفضه للثورة السورية معتبرا إياها مخطئاً قطرياً سعودياً لضرب حزب الله، وعلى سياق آخر دافع عن الثورة البحرينيّة مؤكداً أنّ البحرين ذات أغلبيّة شيعية مضطهدة، وأنها تاريخياً جزءاً من الدولة الإيرانيّة⁽²⁴⁾.

هذا التمييز، وعدم خلط الأوراق ما بين الدين ومحاولات التقريب المذهبي، وما بين التبعيّة السياسية إلى حدّ الدفاع عن الأطماع التوسعية للنظام الإيراني في المنطقة العربيّة - والذي يغيب عن قيادات الطريقة العزمية - هو مسألة واضحة تماماً لدى القيادات الدينية الرسميّة للأزهر الشريف، ولأبناء الإمام الرائد شيخ العشيرة المحمديّة.

فبينما رفض الدكتور أحمد الطيب شيخ الجامع الأزهر الدعوة التي وجهها الداعية السعودي أحمد بن سعد بن حمدان الحمدان الغامدي أستاذ الدراسات العليا بقسم العقيدة بجامعة أمّ القرى لسحب اعتراف الأزهر الشريف بمذهب الإمامية الإثنيّ عشريّة كأحد المذاهب المعترف بها لأهل السنة والجماعة، مؤكداً تمسك الأزهر بدعوة التقريب بين السنة والشيعيّة التي قادها فضيلة الشيخ محمود

(24) حوار منشور بجريدة الوفد الإلكترونيّة بتاريخ 12 / أغسطس/ 2012م، رابط الحوار:

<http://www.alwafd.org/>

شلتوت⁽²⁵⁾.

نجده يتخذ موقفا يتسم بالحزم والصرامة تجاه محاولات التبشير بالمذهب الشيعي في مصر، وتجاه القضايا العربية العالقة مع النظام السياسي الإيراني.

وهذا الموقف الحازم هو ما بدا واضحا في المؤتمر الإعلامي الذي عقد بين الأزهر الشريف، والرئيس الإيراني أحمدني نجاد عقب زيارته للقاهرة، وهي الزيارة التي طاف بها بالعديد من مرافد أهل البيت وبالأزهر الشريف، وكان الدكتور حسن الشافعي ممثلا لجانب الأزهر باعتباره نائبا للمشيخة في المؤتمر وقد جاء فيه أنّ محاولات التطبيع المصرية الإيرانية، والتقريب بين المذهبين السني والشيعي مشروطة بالتزام الجانب الإيراني بما سمي اللاءات الأربعة وهي: «عدم التدخل في شؤون الخليج، واحترام البحرين كدولة عربية شقيقة، ورفض المدّ الشيعي في بلاد أهل السنة والجماعة، ووقف النزيف الدموي في سوريا الشقيقة والخروج بها إلى برّ الأمان ومنح السنة في إيران كامل حقوقهم»⁽²⁶⁾. وهو الأمر الذي أشعر الجانب الإيراني بالحرج.

ولعل موقف الفرقتين الصوفيتين اللتين سلف الحديث عنهما العشيرة المحمدية، والطريقة العزمية من تصريحات الأزهر، وموقفه

(25) خبر نشر بجريدة «الوطن» الكويتية بتاريخ 17 / 6 / 2010م، رابط المقال:

// alwatan.kuwait.tt/ArticleDetails.aspx?id=36843 http

(26) خبر منشور بصحيفة عكاظ السعودية:

http://www.okaz.com.sa/new/Issues/20130206/PrinCon20130206570754.htm

من زيارة الرئيس الإيراني لمصر يعكسان لنا حقيقة موقف كل منهما من مسألة العلاقات المصرية الإيرانية، وبالأخص حرص كل منهما على الحفاظ على الحضيرة السنية دون اختراق شيعي.

فالشيوخ حسن الشافعي إلى جانب كونه نائباً لشيخ الأزهر، فهو مدير أكاديمية الإمام الراحل للدراسات الصوفية، وهي أكاديمية تعبر عن مفهوم التجديد الصوفي للعشيرة الحمدية لذلك فقد تبنت مجلة «المسلم» التي تصدر عن العشيرة الحمدية في عددها الأخير موقف الأزهر وشيخه، ونائبه الدكتور حسن الشافعي⁽²⁷⁾، واعتبرته معبراً عن رؤيتها لمستقبل العلاقة بين المذهبين السني والشيعي، وفي تصريح خاص للشيخ محي الدين حسين يوسف الإسنوي، وهو أحد تلاميذ الشيخ محمد زكي إبراهيم، وجامع تراثه، ومدير تحرير جريدة المسلم الناطقة باسم العشيرة الحمدية، فلقد أكد أنّ «ملخص موقف العشيرة وشيخنا الراحل من قضية الشيعة والتشيع، أننا لا نرى بأساً من التقريب بين مذاهب المسلمين، لكن التقريب عندنا لا يعني الاندماج ولا التذويب، بل يعني أن نلتقي ونتعاون في المتفق عليه، ونتجاوز ونناقش فيما اختلفنا فيه.. ونرفض رفضاً تاماً التعدي على آل البيت أو التعدي على صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم.

وكما نرفض التعدي على الصحابة وآل البيت، فإننا لا نقبل الاختراق والتعدي الشيعي على أهل السنة، ومحاولات نشر التشيع

(27) خبر منشور بجريدة المصري اليوم المصرية بتاريخ 2013/2/21، الرابط:

<http://www.almasryalyoum.com/node/1487906>

بلال مؤمن

بينهم، ولا نرى أبداً صلة بين التصوف والتشيع، ورغم محاولات الشيعة استغلال حبّ الصوفية وعاطفتهم تجاه آل البيت، في محاولات تشييعهم، إلا أننا نرى أنّ التصوف الحقّ هو باب الدفاع الأوّل عن السنة⁽²⁸⁾.

أما الطريقة العزمية فقد نشرت مقالا للكاتب وائل لطفي بعنوان «خطأ الإمام الأكبر»، وهو مقال اعتبر فيه الكاتب أنه من غير التهذيب ولا الكياسة أن يفاجأ الرئيس الإيراني على الملأ بحديث لم يتفق عليه، مؤكداً أنّ دور الأزهر هو التقريب بين المذاهب الإسلامية. أمّا المواقف السياسية فهي مسؤوليّة الخارجية، ويحيل فيه الكاتب الأزهر وشيخه إلى تراث دار التقريب بين المذاهب، وفتوى الشيخ شلتوت كأن لم يسمع عنهما، وإذا كان المقال قد نشر للمرة الأولى بتاريخ 12/ فبراير/ 2013م فلا تزال الجريدة تحتفظ به على صفحتها الرئيسيّة حتى تاريخ كتابة الدراسة 25/ فبراير/ 2013م⁽²⁹⁾.

وإنّه، في نظرنا، إذا كان هذا الإصرار من قبل آل العزائم للدفاع عن التقريب السياسي فضلا عن العقدي بين المذهبيّن، واحتفاظهم بتلك العلاقة الخاصة التي تربطهم بالدولة الإيرانية، وبرموز التيار الشيعي في مصر، واستضافتهم لتلك الرموز في العديد من مؤتمراتهم، واحتفالاتهم بموالد أئمة أهل البيت- يجعل للاتهامات التي تلتصق بهم بعض الوجاهة فإنّ هذا الاتهام يجب ألاّ ينال من جميع أبناء

(28) الشيخ محي الدين حسين يوسف الأسنوي. شهادة خاصة لصاحب الدراسة.

(29) مقال نشر بجريدة (الإسلام وطن) بتاريخ 3102/2/21م بعنوان «خطأ الإمام الأكبر»:

<http://www.islamwattan.com/index.php/australia/technology/item/11-10>

الصوفية والشيعية من منظور سياسي معاصر

المنهج الصوفي الذين احتفوا طوال تاريخهم بحبهم لآل البيت النبويّ كنوع من القربى إلى النبيّ صلّى الله عليه وسلم دون أن ينال ذلك من إخلاصهم للمذهب السني، بل إنّ التاريخ ليحفظ ذلك الدور الذي لعبه هؤلاء المتصوفة في القضاء على المذهب الشيعي في مصر في زمن الدولة الأيوبية.

التشيع الممنوع وإستراتيجية المنطقة

محمود جابر (*)

شيعة مصر قادمون على جياذ الاشتراكية بحزب قالوا إنه يستهدف نُصرة المستضعفين، وتبني مبادئ الاشتراكية الديمقراطية، يحاول شيعة مصر الانخراط في العمل السياسي، في أوّل ظهور رسمي لهم بعد انهيار النظام السابق، إذ يتقدمون بأوراق تأسيس حزبهم «الوحدة والحرية» للجنة الأحزاب، عقب إجازة عيد الفطر. وكشف مؤسسو الحزب للجزيرة نت عن أنهم استوفوا العدد المطلوب لإشهاره، وهو خمسة آلاف توكيل، وأنهم بصدد التنسيق مع قوى اشتراكية ويسارية، كما بدؤوا تنظيم لقاءات في مختلف المحافظات للدفع بمرشحيهم للانتخابات البرلمانية.

الجزيرة نت 28/8 /2011م

(*) باحث وكاتب مصري.

يجب على الإعلام أن يقوم بدوره في تبين خطر المدّ الشيعي في مصر. بهذه العبارة بدأ الشيخ الداعية محمد حسّان من مشيخة الأزهر يُطلق تصريحات نارية يزعم فيها تحقّق إجماع العلماء حول قرارات بشأن المدّ الشيعي في مصر والحسينيات، بل إنّه ناشد الإعلام المصري أن يقوم بدوره في تبين هذا الخطر الشيعي المزعوم وتوعية المصريين ضدّ زندقة من يسبّون الصحابة، مردّدًا عبارات مثل: إنّنا نتقرب إلى الله بيفض من يبغضون الصّحابة، كما نتقرب إلى الله بحبّ آل البيت! ما بدأه الشيخ حسان قبل شهور أكملته مجلة الأزهر في عددها الأخير بكتاب دين الشيعة الذي جاء ليخرج الشيعة من الملة ويكفرهم ويعتبرهم الخطر الأكبر على الإسلام.

البداية خالد البلشي، خطر الشيعة في مصر، القاهرة 24 أكتوبر 2012م

ما إن قامت الثورة حتى عمد نفر من الشيعة المصريين إلى تأسيس حزب مدنيّ، ساعتهما قامت القيامة!!

فبين مستنكر ورافض ومحذر⁽¹⁾، وما بين الصحف القطريّة، والإقليمية⁽²⁾، مروراً بعدد من الأقالام الدولية التي كانت تدور في معركة بين محاولات العديد من شيعة مصر لترسيخ وجودهم السياسي والبحث عن غطاء حمائي في وجه سلطة كثيرا ما اضطرتهم إلى الخفاء والسرّ، وأودعتهم في محاسنها بدعاوى متعددة.

(1) العربية نت: تأسيس حزب شيعة في مصر. 30 أكتوبر 2011م.

(2) الراصد: «إنذار مهمّ ولادة حزب الله الشيعي في مصر»، 2011/8/12 العالم «حزب شيعي بمصر يطالب بالمشاركة بتأسيسية الدستور»، 21 مارس 2012م.

محمود جابر

كانت الفترة التالية للثورة تشهد حراكاً كبيراً من جانب العديد من الشخصيات الشيعية، للبحث في قضية الشرعية السياسية والاجتماعية والثقافية وما بين محاولات السلطة للحيلولة دون ذلك.

المجتمع المصري كان في الغالب بعيداً عن هذه المعركة رغم محاولات جهات إعلامية للسيطرة عليه لدفعه في اتجاه بعينه، ولكن ومن أجل البحث عن إجابة شافية للسؤال: لماذا يحاول الشيعة المصريين البحث عن الشرعية؟ وبين منع السلطة لهذه الشرعية نخطّ الأوراق التي بين يديك عبر محاور ثلاث هي:

الأول: مقدمة تاريخية حتى عام 1947م.

الثانية: ما بعد الثورة الإسلامية في إيران حتى 2009م.

الثالثة: قراءة مستقبلية لمصر في ضوء الصراع الإقليمي..

الحالة الشيعية.

مقدمة تاريخية

عرف المجتمع المصري الإسلام منحازاً إلى جانب الإمام علي بن أبي طالب، ولهذا كان عامة الثوار في المدينة على الخليفة الثالث عثمان بن عفان من المصريين⁽³⁾، ولهذا ليس من الغريب أن تحظى مصر بوجود أهم قادة الإمام علي ومنهم مالك الأشتر⁽⁴⁾، وكذلك محمد بن

(3) ابن قتيبة: الإمامة والسياسة، 1/12.

(4) مالك الأشتر: هو مالك بن الحارث الأشتر النخعي مات مسموماً بمصر سنة 38 وقبره معروف ويزار بالمرج.

التشيع الممنوع وإستراتيجية المنطقة

أبي بكر⁽⁵⁾، وكلاهما قتل في مصر وما يزال قبرهما مشهداً وساحة للزوار، بيد أنه حدث انقطاع كبير في مسيرة التشيع في مصر، حتى جاء المعز لدين الله الفاطمي متخذاً من مصر قاعدة للدولة الفاطمية، ومع سقوط الدولة الفاطمية جرى حالة تطهير عرقي للفاطميين في مصر عامة والشيعية خاصة واستمر هذا طوال الدولة المملوكية والدولة العثمانية بعد ذلك⁽⁶⁾، ويمكننا أن نجد هذا في السبب الذي ما يزال مستمرًا في مصر حينما نجد أحدهما يسب الآخر فيقول: «يا بن الرفضي».

كانت فاتحة حروب العثمانيين ضدّ الصفويين الشيعة هي تلك الغزوة التي شنّها السلطان سليم خان بعد انقلابه على أبيه السلطان بايزيد حيث كان الشاه إسماعيل في صف الأمير أحمد شقيق سليم خان وقام بإيواء أخيه الأمير أحمد.

ولإيجاد مبرر للحرب أمر سليم بحصر الشيعة الأتراك ثمّ قام بإبادة أكثر من أربعين ألفاً منهم وهي المذبحة التي شبهها محمد فريد في كتابه عن الدولة العثمانية بالمذبحة التي تعرض لها البروتستانت في باريس يوم 24 أغسطس سنة 1572م المشهورة بمذبحة سانت برتليمي⁽⁷⁾.

(5) محمد بن أبي بكر: هو محمد بن أبي بكر الصديق القرشي التميمي قتل في مصر سنة 38 هـ وقبره معروف بيزار بمصر القديمة.

(6) أحمد راسم النفيس، التشيع الممنوع، ص 33، المحجة البيضاء. بيروت 2008م.

(7) محمد فريد: تاريخ الدولة العلية. ص 189.

وظل هذا الحال في مصر حتى اختفى التشيع بسبب ممارسات التقيّة التي استمرت أكثر من قرن من الزمان.

وحيثما جاء السيد عبد الحسين شرف الدين إلى مصر هاربا من وجه الاحتلال الفرنسيّ للشام عام 1330هـ / 1912م، لم يكن أحد من مثقفي مصر وكتابها ونخبها بشكل عام يلتفت لقضية الشيعة أو التشيع، وحتى رحلة السيد عبد الحسين شرف الدين لم تكن ذات مغزى مذهبي أو ديني، لأنّ الرجل فر من وجه الاحتلال الفرنسيّ الذي كان يحتلّ بلاده⁽⁸⁾.

وفي هذه الرحلة التقى بشيخ الأزهر آنذاك الشيخ سليم البشري ودارت بينهما حوارات ومناقشات ومراسلات حول الشيعة والسنة كان من نتائجها كتاب المراجعات الشهير الذي جمع مائة واثنتي عشرة مراجعة حول شتّى المسائل الخلافية بين المذهبين⁽⁹⁾.

هذا الكتاب طبع أكثر من خمسين طبعة منها طبعتان بمصر واحدة في فترة السبعينات والأخرى في أواخر الثمانينات. وكانت هناك مراسلات كثيرة حول هذا الكتاب بين السيد عبد الحسين شرف الدين وأقطاب الفكر في مصر منهم الشيخ محمد محمد المدني أحد كبار علماء الأزهر والدكتور محمد يوسف موسى الأستاذ بكلية

(8) أنظر مقدمة المراجعات. والشيخ سليم البشري توفّي 1916م، ويذكر أنّ هناك مراجعات دارت بين الشيخ محمد علي كاشف الغطاء وبين شيخ الأزهر الشيخ المراغي حول تفسير سورة الحجرات، نشر في مجلة الأزهر عام 1359 هـ. وأبدى عليه الشيخ كاشف الغطاء بعض الملاحظات ودارت المراسلات بينهما حول هذه السورة.

(9) قدم الدكتور حامد حنفي داود للطبعة المصرية وقد وضع مؤخرًا كتاب المراجعات على قوائم الكتب المنوعة من التداول والطباعة.

الحقوق جامعة القاهرة والأستاذ حسين عبد الغفار بالأمانة العامة لمجلس الأمة والأستاذ محمد فكري أبو النصر والدكتور حفني داود رئيس قسم اللغة العربية كليّة الألسن جامعة القاهرة وعين شمس. وظل الحال على ما هو عليه حتى جاء سماحة الشيخ محمد القمي عام 1937م، وأسّس دار التقريب بالتعاون مع شيخ الأزهر الشريف في 1947م، وهنا بدأ الحديث عن الشيعة، بيد أنّ الحديث كان حديثاً علمياً وفقهياً ولم يكن هناك أيّ مجال للاستقطاب الفكري أو السياسي، وحتى دار التقريب ذاتها لم تكن ذات أثر شعبيّ لا من قريب ولا من بعيد. ولكنّ الفارق في العلاقة السنية الشيعية هي علاقة الشيعة بجماعة الإخوان المسلمين، ومن الثابت تاريخياً أنّ علماء الشيعة كانوا ينزلون ضيوفاً على الإخوان في المركز العام في القاهرة، وقد ذكر المرشد الأسبق الأستاذ عمر التلمساني في أكثر من كتاب مثل (ذكريات لا مذكرات) وغيره أنّ «البناء» كان على علاقة محبة وصدقة مع آية الله كاشاني. ويؤكد نقابيّ إخوانيّ سابق أنّ آية الله الخميني التقى الشيخ حسن البناء في مقر الإخوان القديم بالدرب الأحمر عام 1945م وكان الخميني ساعتها يمثل أحد رجال الدين الشباب في إيران.⁽¹⁰⁾ وقبل قيام (الثورة الإسلامية في إيران عام 1979م) وبينما كانت إرهاباتها قد بدأت من خلال المعارضة الشديدة من كوادرها لثاه إيران، بدأت الجماعة الإسلامية في الجامعات المصرية (وكان أغلب أعضائها من الإخوان) في الخروج في مظاهرات لمهاجمة الشاه وتأييد الثوار الإسلاميين. وقبيل مغادرة زعيم الثورة الإيرانية «آية الله الخميني»،

(10) زياد مجاهد، «ائتلاف الصوفية»: الإخوان «مُتَشيعون» سياسياً ويرحبون به الملة الشيعي، البوابة نيوز <http://www.albawabhnews.com/News/45134>

مقرّ إقامته بباريس بعد نجاح الثورة الإسلامية وطرد الشاه عام 1979م، التقى به محمد مهدي عاكف المرشد السابق لجماعة الإخوان وكان ساعتها مسؤولاً عن النواة الأولى للتنظيم الدولي للإخوان وقد عبر عاكف خلال لقائه بالخميني عن دعم الإخوان ومباركتهم للثورة الوليدة، وفي المقابل طلب الخميني دعماً إعلامياً من الإخوان لإيران الإسلامية في الدول العربية التي يوجد فيها الإخوان بكثافة مثل مصر والجزائر والمغرب ودول الخليج وهو الطلب نفسه الذي كرره الخميني أيضاً خلال لقائه بأول وفد إخواني حضر إلى طهران لتنهئته بنجاح الثورة. ولهذا قال من قال: «إنّ حسن البنا كان أوّل من أدخل الشيعة إلى مصر»⁽¹¹⁾.

كما تأتي رحلة الشيخ كاشف الغطاء وهو من مراجع النجف الكبار وقد تمّ دعوته رسمياً للمؤتمر الثاني لمجمع البحوث الإسلامية في القاهرة الذي انعقد بتاريخ 13/5/1965م. وقد وصل الشيخ كاشف الغطاء إلى القاهرة على رأس وفد من علماء النجف الأشرف في 11/5/1965م، وكان في استقباله والوفد المرافق ممثل شيخ الأزهر الشيخ حسن المأمون وبعض رجال الأزهر، وقامت الإذاعة بإجراء حوار مع سماحته أذيع وقتها من البرنامج العالم، وكان الحوار يتركز حول القضية الفلسطينية وموقف الوفد العراقي من مؤتمرات البحوث الإسلامية⁽¹²⁾.

(11) عثمان عبد السلام نوح، «الطريق إلى الجماعة الأمّ» ص 123.

(12) الأهرام: عدد 17/5/1965م، وعدد 5/18/5، ذكرت الجريدة كلمة الشيخ كاشف الغطاء حول إباحة التأمين واعتباره من قبيل الشركة وأرباحه من نوع الصلح المباح.

ومما قاله في هذه الحوار: كم من حضارة كانت أثراً لجماعة وكم مدنية كانت صنيعاً لمؤتمر وأمامكم بيعة الرضوان وهو أول مؤتمر إسلامي نال به العالم الإنساني الحظ الأوفى والحضارة السامية، وإنه من الضروريّ جمع شمل المسلمين واتفاق كلمتهم على صعيد واحد حيث إنّ في وحدتهم قوة يندحر بها الأعداء وتتلاشى بها الخطط العدوانية، ومن الطريف أنه صادف وقت وجود سماحته والوفد المرافق في القاهرة ذكرى عاشوراء واستشهاد الإمام الحسين في كربلاء وقد وجّه سماحته كلمة من خلال الإذاعة المصرية بمناسبة هذه الذكرى أذيعت من صوت العرب في مساء يوم العاشر من محرم، والطريف أنه صادف وقت وجود سماحته والوفد المرافق في القاهرة ذكرى عاشوراء واستشهاد الإمام الحسين في كربلاء وقد وجه كلمة من خلال الإذاعة المصرية بمناسبة هذه الذكرى أذيعت من صوت العرب في مساء يوم العاشر من محرم، وتعتبر هذه الكلمة لمرجع شيعي كبير من خلال الإذاعة المصرية عن ذكرى عاشوراء - حدثاً إعلامياً كبيراً وسابقة دعائية للشيعية في مصر لم تتلها منذ عهد الأيوبيين.

وقام سماحته والوفد المرافق بزيارة مرقد رأس الحسين وقد لفت نظرهم ما شاهدوه من ظواهر الولاء لآل البيت بأوسع معانيها. كما زار مرقد السيدة زينب والسيدة نفيسة، وزار بورسعيد وقرأ الفاتحة على أرواح شهداء معركة بور سعيد وتقديراً لموقف شيعة العراق المشرف إلى جانب مصر أثناء العدوان الثلاثي قدم محافظ بورسعيد ميدالية ذهبية لسماحته، وقد نشرت جريدة الأهرام خبر هذه الرحلة في عددها الصادر بتاريخ 29 / 5 / 1965م.

وبعد انتهاء المؤتمر قام الشيخ والوفد بتلبية الدعوات والمقابلات الصحفية والقيام بجولات تفقدية في أنحاء الجمهورية ومن بين الدعوات التي وجهت للوفد الدعوة المقدمة من شيخ الأزهر الشيخ حسن المأمون لتناول طعام العشاء في فندق سميراميس، والدعوة المقدمة من الشيخ أحمد حسن الباقوري مدير جامعة الأزهر آنذاك لتناول العشاء في مبنى جامعة الأزهر، والدعوة المقدمة من جمعية الشبان المسلمين بتناول طعام العشاء في مقر الجمعية، ومن المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ومن نقابة المهن التعليمية، وبالإضافة إلى هذا وجه الرئيس عبد السلام عارف دعوة للشيخ كاشف الغطاء ومرافقيه لتناول العشاء معه في قصر عابدين.

وكان الرئيس جمال عبد الناصر ومعه الرئيس عبد السلام عارف قد استقبلا الشيخ كاشف الغطاء والوفد المرافق له.

كما تأتي زيارة سماحة الشيخ محمد جواد مغنية وهو أحد أعلام الشيعة في لبنان ورأس المحكمة الجعفرية العليا فيها وله الكثير من الكتب والمصنفات الإسلامية التي أصبح بعضها مراجع للإسلاميين في كل مكان⁽¹³⁾.

قدم الشيخ مغنية إلى مصر لأول مرة عام 1963م، وكانت أول زيارة يقوم بها هي زيارة مرقد رأس الحسين ثم زار مرقد السيدة زينب والمسجد الأزهر وهناك دار حوار طريف بينه وبين إمام المسجد.

(13) كتاب تجارب مغنية، ط2، بيروت.

عندما طلب منه الشيخ أن يعطيه صورة عن الأزهر، قال الإمام: الكعبة واحدة، الأزهر واحد. فقال الشيخ: والله واحد. فأصبح لدينا أقانيم ثلاثة: الله والكعبة والأزهر. كما يقول النصارى.. ثم قال له: أتعرف شيئاً عن الشيعة؟

قال الإمام: هم زائغون.

قال الشيخ ومن أين عرفت أنهم زائغون؟

قال: هكذا يقال.

فقال الشيخ: وأنا أقول: إنك زائغ. فهل تأخذ بقولي؟ ففتح كفيه وقال: اقرأ الفاتحة. فقرأتها معه. ومضى لسبيله.

وقد زار الشيخ جامعة الأزهر والقاهرة وعين شمس ودار الكتب ثم اجتمع بشيخ الأزهر آنذاك الشيخ محمود شلتوت ودار بينهما حوار حول الوحدة الإسلامية وفتوى الشيخ شلتوت بجواز التعبد بمذهب الشيعة الإمامية.

وكان الشيخ مغنية قد التقى من قبل بالشيخ محمد أبو زهرة في دمشق عام 1960م. كما التقى به الدكتور مصطفى محمود في بيروت عام 1970م.

والجدير بالذكر هنا أنّ الشيخ مغنية هو أوّل من ردّ على محب الدين الخطيب في كتابه الذي أسماها الخطوط العريضة ونشره بمصر

محمود جابر

وكان من أوائل الكتب التي نشرت فيها ضدّ الشيعة. وقد وصلته الكثير من رسالات التهديد بسبب رده هذا.

قام السيد مرتضى الرضوي برحلتين إلى مصر: الأولى في فترة الخمسينات ما بين عام 1957م وعام 1958م، والثانية في منتصف السبعينات⁽¹⁴⁾.

وفي كلا الرحلتين قام بدور ملحوظ في ميدان الفكر الإسلامي والوحدة الإسلامية ونشر الكثير من الكتب التي تدافع عن الشيعة. كما التقى بكثير من الرموز الإسلامية والثقافية وأجرى حوارات معها ثم دوّن هذه اللقاءات، والحوارات في كتاب كبير طبع بمصر في منتصف السبعينات باسم: مع رجال الفكر في القاهرة.. ومن بين الرموز الإسلامية والثقافية التي التقى بها في مصر الأستاذ أمين الخولي والشيخ أحمد حسن الباقوري والأستاذ أبو الوفا المراغي والأستاذ خالد محمد خالد. والدكتور شوقي ضيف. والدكتور طه حسين.

والدكتورة عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ والأستاذ عبد الكريم الخطيب. والأستاذ محمد زكي إبراهيم والأستاذ محمد قطب. والشيخ محمود أبو رية. والشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد. والأستاذ محمود محمد شاكر. والشيخ محمد عبد المنعم خفاجي. والشيخ محمد محمود حجازي. والدكتور سليمان دنيا. والدكتور حامد حفني داود. والشيخ محمود شلتوت. والدكتور زكي نجيب محمود.

(14) تجارب مغنية، ط. بيروت.

والأستاذ عبد الحميد جودة السحار والشيخ محمد الغزالي.

يقول الرضوي: هؤلاء مجموعة من رجال الفكر المرموقين دارت معهم موضوعات شيقة تترجم آراءهم في قضايا الفكر الإسلامي. كما تدل على نظرتهم إلى هذه القضايا الأساسية في وحدة الكلمة وتراصّ الصفوف.

ومن بين الكتب التي قام بنشرها السيد الرضوي بمصر تفسيره ويقع في مجلد واحد وكتاب علي ومناوئوه. وكتاب عبد الله بن سبأ وأساطير أخرى. وكتاب المتعة وأثرها في الإصلاح الاجتماعي وكتاب وسائل الشيعة ومستدركاتنا وهو موسوعة فقهية كبيرة. وكتاب أصل الشيعة وأصولها. وكتاب الوضوء في الكتب والسنة والسجود على التربة الحسينية.. وقد حرص السيد الرضوي على استقطاب الرموز الإسلامية والثقافية في مصر. فكان لا يطبع كتابا في مصر إلا أن يكون قد كتب مقدمته واحدا من هذه الرموز.

ولم يكن نشاط السيد الرضوي ينحصر في محيط الرموز الإسلامية والثقافية. وإنما تجاوز هذا الحدّ وأجرى اتصالات مع بعض المسؤولين في محيط الثقافية وبعض الصحفيين.. وكان قد التقى مدير دار الكتب في عام 1965م، وقد إليه طلبا بأن تقوم الدار بإفراء جناح خاص للكتب والمصنفات الشيعية.

وسوف تقوم الهيئة العلمية في النجف الأشرف بالعراق بإهداء الدار جميع هذه الكتب وتمّ تفويض السيد الرضوي لتنفيذ هذا الأمر..

ويذكر أنه قد نشر في جريدة «المساء» في تلك الفترة خبراً تحت عنوان:
قسم بدار الكتب يضم كتب الشيعة⁽¹⁵⁾

وفى بداية السبعينات جاء إلى مصر سماحة السيد طالب الرفاعي والذي درس على يد كبار العلماء في الحوزة العلمية واشترك في كثير من الفعاليات الحركية فكان أحد مؤسسي حزب الدعوة الإسلامية، إذاً كان لسماحة السيد الرفاعي عقلية سياسية تفوق أقرانه فضلاً عن مستواه العلمي الذي أقرّ به بعض العلماء من الطليعة المتقدمة في الحوزة العلمية.

ولم يكن إرساله إلى مصر من قبل المرجعية محض صدفة بل كان إدراكاً منها أنه الرجل الأكفأ والمناسب ذو العقلية المنفتحة والعلمية الفذة فسافر إلى مصر الكنانة حيث العلم والعلماء والشعر والشعراء والأدب الجمّ والثقافة الواسعة فالتقى بعلمائها وأدبائها ومتقفيها فكانت له بصمته هناك وشهد له المصريون بصولاته وجولاته الثقافية⁽¹⁶⁾.

وخلال إقامته في مصر التقى الزعيم الراحل جمال عبدالناصر وهو من أمّ الصلاة في جنازة شاه إيران وكانت له علاقة بجمعية «آل البيت» السيد طالب الرفاعي كان المعمم الوحيد تقريباً بمصر في تلك

(15) نشر الخبر في عدد تاريخ 8 / 9 / 1965م، ونصّ على ما يلي: رؤى إنشاء قسم خاص في دار الكتب المصرية العربية بالقاهرة للكتب الدينية للمذهب الإمامي الشيعي باعتباره أحد المذاهب الإسلامية والمقدر عدد أتباعه بأكثر من مائة مليون مسلم.

(16) موقع الرفاعي: «السيرة الذاتية للسيد طالب الرفاعي»: رشيد الخيون، كتاب أمالي السيد طالب الرفاعي، دار مدارك للنشر.

الفترة وقد أقام بها وتزوج منها وحدث صدام بينه وبين المصريين القائمين على الجمعيّة. والجدير بالذكر أنه هو الشخصية الشيعية التي صلّت على الشاه حين أقيمت له مراسم الدفن في مصر في 1980م.

جمعيّة آل البيت

ظهرت جمعيّة آل البيت في عام 1973م، وكان المناخ الإسلامي في تلك الفترة هادئاً فلم تكن التيارات الإسلامية قد برزت بعد، ولم تكن قضية التشيع من القضايا التي تثير حساسية النظام السياسي والأمني على اعتبار أنّ فكرة التشيع لم تكن ذات بعد سياسي. ولما كانت المسألة الشيعية غير مطروحة في ذلك الوقت وكانت العلاقات المصرية الإيرانية في أعلى درجاتها فقد كانت الجمعيّة تمارس نشاطها في هدوء ودون أيّ معوقات، وقد أقامت الجمعيّة عدّة صلات بالهيآت الإسلامية المختلفة في مصر وفي مقدمتها جماعة الإخوان المسلمين، ومن هنا كان المراقب لنشاط هذه الجمعيّة يمكنه الحكم بأنها جمعيّة تقريبية تعتبر امتداداً لجماعة التقريب خاصة أنها تضم بين عناصرها من ينتمي إلى السنة ومن ينتمي إلى الشيعة، وكان من أبرز العناصر التي ارتبطت بالجمعيّة في تلك الفترة السيد طالب الرفاعي وهو من علماء الشيعة العراقيين وكان له نشاط بارز في دائرتها⁽¹⁷⁾.

وكانت الجمعيّة قد قامت بإصدار بعض الكتب الشيعية مثل كتاب «المراجعات» وكتاب «علي لا سواه» وكتاب «التشيع ظاهرة طبيعية

(17) تقرير مركز ابن خلدون لسنة 1999، ص 184.

في إطار الدعوة الإسلامية».

ولا يستطيع أحد أن يرصد سلوكا معاديا من السلطة السياسية تجاه هذه الإصدارات الشيعية، بيد أنه مع قيام الثورة الإسلامية في إيران ومعاداة النظام المصري لها إلى تعقيد الأمور، من هنا صدر قرار الحكومة بوقف الجمعية في عام 1979م، أي إنّ الجمعية لم تمكث على الساحة سوى ستة أعوام بدأت في 22 / 8 / 1973م، وانتهت في 2 / 12 / 1979م، وجاء في قرار الوقف أنّ الجمعية تمثل خطورة على عقائد الناس ووحدة صفوفهم ببت أفكار غريبة تخالف الدين الإسلامي وتؤيد الفكر الشيعي⁽¹⁸⁾.

وعلى هذا الأساس أصدر القضاء حكمه بوقف قرار حلّ جمعية آل البيت لعدم وجود أسباب قانونية كافية وذلك بتاريخ 29 / 12 / 1981م.

من هنا نستطيع أن نرصد موقفا جديدا للسلطة الحاكمة في مصر من قضية الشيعة. الشيعة في مصر 1980/2009م

كان الارتباط المصري بالولايات المتحدة الأمريكية والكيان الصهيوني من جانب آخر في الوقت الذي بدأت علاقة الثورة الإسلامية بالعداء لهذا المحور وخاصة الكيان الصهيوني، ونكاية بالرئيس السادات الذي وقّع اتفاقية «كامب ديفيد»، وتمّ تخليد قاتل السادات بتسمية أكبر شارع في العاصمة الإيرانية باسمه، واتسمت

(18) انظر: تفاصيل التنظيم الشيعي المصري، والحملات الحكومية ضدّ المشيعين: مجلة الوطن العربي 1/11/1996م، تقرير ابن خلدون لسنة 1999م، ص 184. صحيفة الشرق الأوسط 17/11/2002م و29/11/2002م.

علاقة الحكومة المصرية بالمتشيعين بحذر شديد خوفاً من أن يمثل هؤلاء امتداداً فكرياً لمبادئ هذه الثورة أو أن يكونوا على حدّ وصف بعضهم «خلايا للتبشير بالمدّ الثوريّ الإيرانيّ والتشيع» على حدّ سواء، وتمّ اعتماد تهمة التبشير الشيعي والتنظيم الشيعي من قبل أجهزة الأمن تعبيراً عن هذه الأزمة، ومن هذه الأسباب كانت علاقة السلطة بالشيعة يشوبها كثير من التوتر أرجعتها أبواق النظام المصري إلى الآتي:

أولاً- أنّ الشيعة يعملون ضمن تنظيم سرّي ويرتبطون بأحزاب وجهات خارجية تعمل على تمويل أنشطتهم وتدريب بعض أنصارهم.

ثانياً- علاقات الريبة والتوتر التي تميز علاقات مصر بإيران عموماً، حيث تنظر الحكومة إلى هؤلاء المتشيعين على أنّهم أتباع لإيران.

ثالثاً- اصطدام أفكار الشيعة ومطالباتهم بعقائد الأغلبية السنية في المجتمع المصري، خاصة مع الجهر بها كالمطالبة بتحويل الأزهر إلى جامعة شيعية.

وقد وجّهت السلطات المصرية إلى الشيعة في مصر ضربات عديدة:

بعد قيام الثورة الإيرانية سنة 1979م، في زمن الرئيس السادات الذي أخذ منها موقفاً عدائياً، حيث تمّ حل جمعية أهل البيت ومصادرة

ممتلكاتها، وإصدار شيخ الأزهر عبد الرحمن بيبصار فتوى تبطل الفتوى التي أصدرها شيخ الأزهر الأسبق محمود شلتوت بجواز التعبد بالمذهب الجعفري⁽¹⁹⁾.

أعوام 1987، 1988، 1989م

قامت مباحث أمن الدولة بإلقاء القبض على مجموعة من الشيعة ووجهت لهم تهماً متعددة منها: محاولات لاختراق أسر وعائلات كاملة في وسط الدلتا، وبصفة خاصة محافظة الشرقية، وادعى التقرير الأمني أنّ الشيعة، وخاصة الحركيين منهم كانوا على علاقة بالمؤسسة الدينية في طهران وقم، وحصلوا على تمويل لإدارة نشاطاتهم في مصر، وقال التقرير إنهم عثروا على ما يفيد حصول أعضاء التنظيم على مائة ألف جنيه.

وفي سنة 1988م، تمّ القبض على أربعة عراقيين من المقيمين في مصر واثنين من الكويتيين، وثلاثة طلاب من البحرين، ولبنانيين، وفلسطيني، وباكستاني، وتم إغلاق دار النشر المصرية الشيعة «البداية»، ووجهت إليها تهمة تمويل من إيران، وكذلك دار النشر الشيعة اللبنانية «البلاغة».

(19) مثل: I- استضافة مصر لمؤتمر التجديد في الفكر الإسلامي من 31/5 إلى 3/6/2001م، وكان من بين المشاركين عبد الأمير قبلان ومحمد علي تسخيري وعبد المجيد الخوئي. -2- زيارة رئيس جامعة الأزهر -آنذاك- أحمد عمر هاشم إلى مؤسسة الخوئي في لندن في شهر يوليو (تموز) من العام نفسه على هامش زيارته إلى لندن لتوقيع اتفاقية تعليمية مع الكلية الإسلامية. -3- عقد مؤتمر (حقيقة الإسلام في عالم متغير) برعاية الرئيس مبارك في مايو (أيار) 2002م، وقد شارك فيه أيضاً الخوئي وقبلان. -4- زيارة السفير المصري في بريطانيا عادل الجزار لمؤسسة الخوئي الشيعة في لندن لحضور حفل تكريم أقامته المؤسسة في شهر أغسطس (آب) 2003م لرئيس بعثة الأزهر في بريطانيا والمستشار في السفارة المصرية بمناسبة انتهاء عملهما في بريطانيا.
انظر: مجلة النور التي تصدرها مؤسسة الخوئي، الأعداد 122، 123، 133، 148.

وفي العام نفسه تمّ ترحيل القائم بالأعمال الإيراني «محمود مهدي» بتهمة التجسس والاتصال بشخصيات شيوعية مصرية والترويج للفكر الشيعي.

وفي سنة 1989م، قبض على تنظيم من 52 فرداً، بينهم أربعة خليجيين وإيراني.

الثالثة: سنة 1996م، وتزامنت مع تردي العلاقات المصرية الإيرانية، أعلنت السلطات أنها ألقت القبض على تنظيم يضمّ 55 عضواً في خمسة محافظات، وضمّ أغلب المتهمين في القضايا السابقة، إضافة إلى حسن شحاتة.

وقال المعلومات الواردة بخصوص هذا التنظيم إنّ المؤسسات الدينية الإيرانية التي يقف وراءها المرشد الإيراني علي خامنئي هي التي رسمت خطة لاختراق مصر من خلال الحسينيات الشيعية، وإنّ محمد تقي المدرسي، الموجود في قم، هو الذي أشرف على تطبيق هذه الخطة من خلال الاتصال ببعض المصريين المتشيعين.

وقال التقرير الأمني في حينها أنّ عمليات تجنيد المتشيعين، خارج مصر، كإيران والبحرين والكويت وأوربا.. وإنّه يتمّ التجنيد عادة أثناء زيارات يقوم بها بعضهم إلى إيران، أو خلال الندوات والمؤتمرات الدينية التي يحرص شيعة إيران على حضورها واصطياد المصريين الذين لديهم استعدادات فكرية أو نفسية للارتباط بالمذهب الشيعي وإيران، وإنّ أحد هؤلاء وهو صالح الورداني كان أحد المتطرفين

محمود جابر

في تنظيم الجهاد (السنّي) قبل أن يسافر إلى الكويت، ويقضي فيها خمسة أعوام، عاد بعدها ليروّج للفكر الشيعي عبر سلسلة كتب، صادرتها السلطات الأمنية.

وفي ما يتعلق بأعضاء هذا التنظيم الـ 55، فقد سعوا إلى مدّ نشاطهم في خمس محافظات مصرية، وسعوا إلى تكوين خلايا شيعية سرّية تحت اسم «الحسينيات» جمعها مستوى قيادي باسم «المجلس الشيعي الأعلى لقيادة الحركة الشيعية في مصر»، وقد تبين أنّ التنظيم برمته موالٍ لإيران، وثبت أنّ ثمانية من الأعضاء النشيطين، زاروا إيران في الفترة التي سبقت حملة 1996م، كما أنّ عدداً آخر تردد على بعض الدول العربية من بينها البحرين، والتقوا هناك مع قيادات شيعية إيرانية وعربية باعتبارها تمثل المرجعية المذهبية الشيعية.

وقد نجحت الجهات الأمنية في مصر في اختراق التنظيم والحصول على معلومات من داخله حول البناء التنظيمي، وأساليب التجنيد، والتمويل ومخططات التحرك، وحين ألقى القبض على عناصره، تمّ العثور على مبالغ مالية كبيرة ومطبوعات وأشرطة كاسيت وديسكات كمبيوتر مبرمج عليها خططهم، وأوراقاً تثبت تورطهم في علاقة ما بإيران.

وقد تبين أنّ حسن شحاتة إمام مسجد الرحمن، على علاقة بالتنظيم.

في نوفمبر سنة 2002م

حيث تمّ القبض على تنظيم بزعامة محمد يوسف إبراهيم، وهو يعمل مدرساً في محافظة الشرقية، ويحيى يوسف، إضافة إلى صاحب مطبعة، اتهموا بالترويج لتنظيم شيعي يسعى لقلب نظام الحكم وكان ذلك بقرية «المنى صافور» التابعة لمركز ديرب نجم وقد تمّ الإفراج عنهم بعد أقل من أسبوعين من اعتقالهم⁽²⁰⁾.

لكن هذا الوضع المتأزم ليس هو السمة المطلقة لمرحلة ما قبل الثورة، إذ إنّ هذه الفترة المتوتّرة في مجملها كانت تشهد الكثير من فترات التقارب والتساهل، ومن ذلك الانفتاح المصري على الهيئات الشيعية مثل مؤسسة الخوئي في لندن والمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية في إيران، واستضافة مؤتمرات للتقريب بين السنة والشيعية⁽²¹⁾، والتعاون الأزهرى الإيراني في تحقيق المخطوطات ودعم المكتبات الموجودة في البلدين⁽²²⁾، والتوسّع في تدريس اللغة الفارسيّة في الجامعات المصرية، والعودة إلى فتوى الشيخ شلتوت⁽²³⁾.

وقد تجسّد هذا التساهل أيضاً في التعاون الوثيق بين مؤسسة

(20) الشرق الأوسط 21/8/2000م.

(21) تقول فتوى شيخ الأزهر السابق محمود شلتوت (إنّ مذهب الجعفرية المعروف بمذهب الإثنى عشرية، مذهب يجوز التعبد به شرعاً كسائر مذاهب أهل السنة، فينبغي للمسلمين أن يعرفوا ذلك، وأن يتخلصوا من العصبية بغير حق لمذاهب معينة).

(22) تطوير العلاقات المصرية الإيرانية، ص7-9، تحرير د. محمد السعيد إدريس - والكتاب عبارة عن أعمال الندوة الثانية التي عقدت في القاهرة.

(23) افتتاحية مختارات إيرانية، العدد 30 يناير (كانون الثاني) سنة 2003م ص4-5.

الأهرام ومركزها للدراسات السياسية والإستراتيجية وبين معهد الدراسات السياسية والدولية التابع لوزارة الخارجية الإيرانية، إذ أثمر هذا التعاون:

1- إصدار مركز الأهرام مجلة مختارات إيرانية، وهي مجلة شهرية تصدر باللغة العربية بدءاً من شهر آب (أغسطس) 2000م، وهي تركّز على المواد العلمية والصحفية المنشورة أساساً باللغة الفارسية.

2- فتح حوار بين مركز الأهرام ومركز الدراسات السياسية التابع للخارجية الإيرانية، وقد نتج عن هذا الحوار عقد ندوة سنوية بين المركزين تعقد دورياً بين طهران والقاهرة للنهوض بالعلاقات المصرية الإيرانية كخطوة أولى، ثمّ توسيع الحوار في اتجاهين:

الأول: اتجاه توسيع الحوار إلى حوار عربي إيراني، والآخر خلق محور خاص لحوار: مصري، إيراني، تركي.

وقد عقدت الندوة الأولى في طهران يومي 10 و11 يوليو/ تموز سنة 2000م، وعقدت الندوة المصرية الإيرانية الثانية في القاهرة (21-22 يوليو سنة 2001م)⁽²⁴⁾.

وشهدت العاصمة الإيرانية أعمال الندوة الثالثة في الفترة 10-11 ديسمبر/ كانون الأول 2002م، وبالرغم من الدور الذي تلعبه هذه

(24) سيمون هيرش، «فضائح أمريكا في المنطقة»، المصري اليوم 2007/2/28.

التشيع الممنوع وإستراتيجية المنطقة

الندوات لإعادة الأجواء والعلاقات بين البلدين، فقد استنقز هذا إحدى الحاضرات وهي جميلة كاديفار التي شنت هجوماً على مصر واتهمتها بالتقاعس عن إقامة العلاقات مع إيران⁽²⁵⁾.

وبحسب تقرير «حرية الاعتقاد وقضايا الشيعة في مصر» الصادر عن منظمة المبادرة المصرية للحقوق الشخصية (وهي منظمة لحقوق الإنسان مستقلة أنشئت عام 2002م) قالت إنَّ الشيعة يتعرّضون منذ العام 1988م لضغوطات أمنية وانتهاكات متكررة لحقوقهم. فبحسب تقرير «حرية الاعتقاد وقضايا الشيعة في مصر»، الصادر عن منظمة المبادرة المصرية للحقوق الشخصية (وهي منظمة لحقوق الإنسان مستقلة أنشئت عام 2002م) تعرض 124 شيعياً على الأقل للاعتقال، وذلك في حملات أمنية وقعت في الأعوام 1988، 1989، 1996، و2002 ونهاية 2003 وأوائل 2004م.

فعلى سبيل المثال، اعتقلت أجهزة الأمن المصرية في ديسمبر/ كانون الأوّل 2003م عدداً من الشيعة، بعد أن دهمت منازلهم في مدينة رأس غارب، على ساحل البحر الأحمر في الجنوب الشرقيّ من البلاد، وحققت معهم بتهم تتعلق بتلقي «أموال من الخارج وتهديد السلم والأمن الاجتماعيين، والسعي إلى قلب نظام الحكم في البلاد». وقد أفرجت عنهم السلطات المصرية في ما بعد لعدم ثبوت الأدلة ضدّهم.

وتشير المنظمة الحقوقية في تقريرها، إلى أنه في كلّ تلك

(25) اليوم السابع: «لا أوافق على تأسيس حزب شيعي بمصر» 12 فبراير 2012م.

الحملة الأمنية ضدّ الشيعة «كانت أسباب سياسية تساق لتبرير هذه الاعتقالات»، مثل تشكيل تنظيم محظور، أو الاتصال بدول أجنبيّة، أو تلقي أموال من الخارج، أو محاولة قلب نظام الحكم، إلّا أنّ «الأسباب الدينية لهذه الاعتقالات سرعان ما تظهر لقلة الأدلة المادية الموجهة في الاتهامات».

ورغم حرمان الشيعة من حرية التعبير عن معتقداتهم في مصر، ومنعهم من تشكيل المؤسّسات الدينية أو الاجتماعية الخاصة بهم، واعتقالهم أحياناً، فإنّ المنظمة نفسها تؤكد أنّ «الوقائع لا تثبت وجود سياسة لاضطهادهم».

ويذهب بعض المحللين إلى القول إنّ علاقة الحكومة المصرية بالشيعة تتأثر سلباً وإيجاباً بعلاقاتها بإيران. فحينما تتوتر العلاقات بين البلدين يتمّ التضييق عليهم، وحينما تنفرج يتمّ تخفيف الحصار عنهم، خصوصاً أنّ العلاقات الدبلوماسية الكاملة بين طهران والقاهرة لم تستعدّ بعد.

كانت المراوحة والشدّ والجذب من أهمّ سمات هذه المرحلة، مع الإبقاء على الوجه الأمني والقضاء القبض على مجموعات من الشيعة بين الحين والآخر، وتوجيه الاتهام لهم بالتهمة المعروفة التي اعتادت أجهزة الأمن توجيهها للشيعة، واستمرّ هذا الحال طول عقد الثمانينات والتسعينات من القرن المنصرم ومع بداية الألفية الثانية وغزو العراق، ثمّ حرب تموز 2006م، بدأت الإدارة الأمريكية في اعتماد سياسة جديدة حيال منطقة الشرق الأوسط وهو ما كشفه الصحافيّ الأمريكي

التشيع الممنوع وإستراتيجية المنطقة

«سيمون هيرش» بعنوان «تبديل المسار»، فقد كشف «هيرش» عن دعم الولايات المتحدة الأمريكية للجماعات السنية الراديكالية من خلال محور «الاعتدال» للدفع بهم لمواجهة قوى «التمرد» الذي يضمّ إيران وسورية وحزب الله والشيعية بوجه عام، وهذه الإستراتيجية تستهدف إذكاء وقود الصراع «السني-الشيوعي، عن طريق دعم الحركات السنية المتشددة بواسطة المزيد من العمليات السرية التي يتم الإشراف على إدارتها بواسطة ديك تشيني نائب الرئيس الأمريكي، ووكالة المخابرات المركزية، ودعم السعودية المالي، ومساندة مصر والأردن الاستخباريّة، إضافة إلى تعاون حكومة السنيورة وقوى 14 آذار والمعارضة السورية والإيرانية وبعض الأطراف العراقية.

وكشف (هيرش) عن نيّة الإدارة إطلاق سراح الكثير من الأصوليين الجهاديين السنة المعتقلين حالياً في غوانتانامو وإعادة تصديرهم إلى لبنان، وبقية أنحاء الشرق الأوسط عن طريق القنوات الاستخباريّة المتحالفة معها، وذلك بما يفسح المجال لهم للقيام بممارسة العنف ضدّ الشيعة.

وخلص (هيرش) إلى أنّ دعم الخلاف الديني وطرحه على أنّه خلاف سياسي هو مقدمة لحرب عربية (سنية- شيعية) سوف تكون في الأساس لصالح أمريكا وإسرائيل، وسوف تلقى تبعات هذه الحرب الباردة على (مصر والسعودية والأردن)⁽²⁶⁾، وهكذا فقد بدأت فصول جديدة من هذا الصراع، إذ نجد العاهل الأردني يتحدث عن خطر

(26) الصباح: «قوائم الاغتيالات السياسية في مصر»، 25 نوفمبر 2012م.

محمود جابر

الهلال الشيعي، والرئيس المصري السابق (مبارك) يتّهم الشيعة العرب بالولاء لإيران بدلا من الولاء لدولهم. ولعل حديث مبارك كان ترجمة جيّدة لهذه المرحلة.

المستقبل والشيعة في مصر

لما كان الشيعة الإمامية يشكلون أقلية دون أيّ حقوق في مصر، فهم محرومون من التعبير عن معتقداتهم الدينية، وممنوعون من إقامة مؤسسات دينية أو اجتماعية خاصة بهم، فضلا عن منعهم من إقامة أحزاب ومنظمات سياسية أو حتى اجتماعية، كما أنهم يتعرضون للتضييق الأمني والاعتقال باستمرار ثمّ يطلق سراحهم بحجة عدم ثبوت الأدلة أو ضعفها.

والنظام في مصر برئاسة حسني مبارك ينظر إليهم في الغالب، نظرة اتهام في ولائهم، وقد ظهرت هذه الاتهامات إلى العلن أكثر من مرّة كان آخرها تصريحات مبارك بشأن ولاء الشيعة العرب عموما إلى إيران وليس إلى أوطانهم رغم أنهم مواطنون عرب منصهرون في المجتمع العربي منذ بدايات الإسلام.

وعليه ففي أوائل العام 2004م، تقدم بعض الشيعة، وعلى رأسهم الدكتور أحمد راسم النفيس، بطلب إلى وزير الداخلية للاعتراف بالشيعة باعتبارها طائفة دينية رسمية بموجب القانون، إلا أنّ الوزارة لم تقم بالرد على الطلب حتى الآن.

وكان الدافع وراء طلب الاعتراف المقدم للدخلية هو وقف نزيف التضييق والاعتقال في حق الشيعة، وفقا لقانون الأقليات رقم 15 لسنة 1927م. وفي حالة تجاهل أي جماعة دينية لعملية التسجيل الرسمية على هذا النحو، فإن أعضاءها يكونون عرضة للاعتقال، وقد يواجهون حكماً بالسجن، وفقاً للمادة 98 (و) من قانون العقوبات.

أما شعبياً، فتلعب التصورات السائدة عن معتقدات الشيعة، تلك التي تقف وراءها جماعات الوهابية المصرية بكل قوة من خلال منابر المساجد وبعض الدوريات وكذلك من خلال القنوات الإعلامية، التي استطاعت أن تثبت لدى رجل الشارع المصري أن الشيعة، على اختلاف منابهم الفكرية والاجتماعية، يتعبدون إلى الله بسبب أبي بكر وعمر بن الخطاب، ويكفرون كل الصحابة ويؤمنون بتحريف القرآن ويتهمون أم المؤمنين عائشة بالزنا - حاشا لله - ويؤمنون بعصمة أئمتهم، وبالتقية، ويقومون ببعض الطقوس في يوم عاشوراء.

الوضع الديمغرافي/ الديني

ليس من السهل معرفة العدد الدقيق للشيعة في مصر، إلا أن تقرير (الحرية الدينية في العالم)، الصادر عن وزارة الخارجية الأمريكية عام 2006 م، يذكر أن المسلمين الشيعة أقل من 1% من جملة عدد السكان الذي يقارب 74 مليون نسمة وقتها، وأن عدد الشيعة في مصر يبلغ مليون ونصف مليون، أما المصادر غير الرسمية فلا تزيد عددهم عن عدة آلاف.

محمود جابر

وإذا ما أضفنا إلى هذا الرقم التقريبي تعداد الأشراف في مصر الذي يبلغ نحو ستة ملايين، وجدنا أربعة ملايين منهم يقطنون الصعيد، وهم يمثلون احتياطيًا إستراتيجيًا للتشيع في مصر.

وهناك عدد من المدن المصرية ينتشر فيها الشيعة المصريون بشكل واضح، منها على وجه التمييز القاهرة والجيزة في العديد من أحياء القاهرة والجيزة، كما يوجد وجود ظاهر للشيعة في الإسكندرية، وبعض مراكز كفر الشيخ، وبالبحيرة تجد العديد من الشيعة في كوم حمادة، وكذلك النوبارية ودمنهور نفسها، وفي مركز أبو حمص، وجمعية «الأنوار الربانيّة»، التي نشرت بعض المطبوعات منها: مختصر العقيدة الإمامية، المأتم الحسيني مشروعيته وأسراره.

وفي الغربية، نجد وجودا كبيرا للشيعة في طنطا، وفي قرية الراجدية، التي تبعد خمسة كيلومترات عن طنطا، يوجد مسجد السيد البدوي، كما يوجد العديد من الشيعة في المحلة وبعض القرى التابعة لها.

أما الدقهلية التي تأخذ أهمية خاصة نظرا إلى أنها مسقط رأس واحد من أهم مفكري الشيعة على الإطلاق في مصر والعالم أجمع وهو الأستاذ الدكتور أحمد راسم النفيس الذي أصبح محورًا للمعارك الشيعية مع السلطة السياسية قبل ثورة 25 يناير وبعدها ونظرا للعديد من أطروحاته الفكرية والعقائدية وإطلاقاته الإعلامية المتعددة التي عادة ما تُحدث ضجيجا إعلاميا كبيرا. ويمكن أن نرصد في هذا الخصوص جهود النفيس في تأسيس كيان سياسي رأت السلطة فيه

إطارا سياسيا شيعيا فأعلنت الحرب عليه من اللحظة الأولى.

و انتشر التشيع في عدّة مناطق منها قرية العصافرة وطناح التي توجد بها سبعة أضرحة، ظهر التشيع في التسعينيات على يد شيخ الطريقة الدندراوية أبو الفضل الدندراوي الذي قدم من قنا، فيما انتشر المذهب ببطاء في قرية ميت زنقر، وفي قرية دنديط، بمركز ميت غمر وظهروا في قرية الأمير عبد الله بن سلام، مركز تمي الأمديد.

وفي الشرقية، مسقط كاتب هذه السطور الذي شهدت إطلالاته الإعلامية دويًا إعلاميا وفكريا كبيرا وأشهر هذه المعارك مناظراته مع عدنان العرعور عبر قناة صفا الفضائية، وباعتبار الكاتب أحد مؤسسي حزب التحرير والأمين العام للحزب تحت التأسيس. ثم إن مدينة الزقازيق شهدت أوائل المجموعات الشيعية في مصر وكذلك أبو حماد وبلبيس وديرب نجم و أبو كبير وفاقوس.

وبالإسماعيلية التي خرج منها مؤسس جماعة الإخوان نجد انتشار التشيع في العديد من مراكز الإسماعيلية وقراها.

وفي الصعيد، يعتمد الشيعة المصريون على السرية التامة تنفيذًا لمبدأ التقية، واستغلال التركيبة القبلية، التي تنتمي إلى الأشراف وآل البيت، مثل الجعافرة الموجودين في قنا وإسنا، والأقصر الموجود بها قبر الأمير حمد لجد الأكبر لهم، والعبادة الموجودين في قفط، وقوص، والقبائل الهاشمية الأخرى مثل جهينة، وفزارة، وهوارة وعبس المطاعنة والحجازية، وعن طريق الساحات التي تعقد فيها الحضرة

محمود جابر

يروج للتشيع مثل ساحة النبيّ الأعظم في قرية الكالوج بأسوان، أو ساحات الدندراوية.

وظهرت العصبية الهاشمية في قرية كلح المفالسة بأسوان، وإقامة اثني عشر احتفالاً بمولد النبيّ، بقرية «الكاجوج» للاحتفال بالاثني عشر إماماً لدى الشيعة، كما توجد طريقة «الأحفاد النورانية» بإدفو، التي تتشابه عقائدها مع الشيعة الإثني عشرية.

وعلى الرغم من وجود - بحسب تقرير وزارة الخارجية الأمريكية المذكور سابقاً - نحو 74500 مسجد قائم بذاته، و18000 مسجد ملحق بمبان خاصة، وكلها مساجد سنية. ممّا يؤكد الكبت الديني الذي يحيط بالشيعة في مصر.

وتوجد في مصر عدّة مقامات وأضرحة ومشاهد لآل البيت، تشرف عليها الدولة وتديرها، وهي لئن كانت مقدسة لدى الشيعة، فإنها تُعدّ مزارات للمصريين أجمعهم، مثل ضريح الحسين بن علي قرب الجامع الأزهر، وضريح السيدة زينب بنت علي (وهي نفسها التي يوجد لها مقام جنوب العاصمة السورية، دمشق)، وضريح السيدة سكينه بنت الحسين، وضريح السيدة نفيسة بنت الحسن، ومقام الإمام علي زين العابدين بن الحسين، وغيرها من المقامات.

ويذكر تقرير «الملل والنحل والأعراق»، الصادر عن مركز ابن خلدون للدراسات الإنمائية بالقاهرة عام 2005م، أنه مع تحسن العلاقات المصرية - الإيرانية في التسعينيات، طرحت بقوة على بساط

البحث فكرة استجلاب السيّاح الإيرانيين والشيعة للقيام برحلات سياحية في مصر، وزيارة أضرحة آل البيت.

وبدأت وزارة السياحة المصرية بحث الأمر، بيد أنّ مخاوف أمنية أجهضت الفكرة، وهو الأمر الذي ما يزال يتكرر حتى الآن بعد قيام الثورة المصرية مع ما حدث من تغيير في السلطة السياسية.

حزب التحرير وملامح الأزمة

يعتبر حزب التحرير «حركة تحرير مصر»، تحت التأسيس، الذي أعلن عنه الدكتور أحمد راسم النفيس ومحمود جابر والظاهر الهاشمي وعدد من القيادات الشيعية في مصر، هو ما يوضح ملامح الأزمة في مصر وفي المنطقة، فمنذ الإعلان عن تأسيس الحزب ولم تتوقف حملات التشهير والتشويه للحزب ولا للقائمين على تأسيسه⁽²⁷⁾، تجلّى هذا الموقف في تعامل لجنة شؤون الأحزاب مع الحزب، وكانت الحالة الأولى من نوعها بعد الثورة التي رفض فيها حزبا سياسيا، من اللجنة السالفة الذكر، ومن محكمة مجلس الدولة، أضف إلى ذلك وجود «النفيس» و«جابر» على رأس قوائم الاغتيالات التي نشرتها الصحف المصرية، وذيل اسم «جابر» بوصفه أمين عام حزب التحرير الشيعي، ولعل ما يوضح موقف السلطة في التعامل مع الملف الشيعي، هو ما نشرته بعض الصحف المصرية وغيرها من أنّ تطور العلاقات المصرية الإيرانية أصبح مرهونا بعد دعم إيران للشيعة المصريين وهو

(27) العروة الوثقى نقلا عن الموقع الرسمي لحزب التحرير «تفاصيل لقاء أحمد نجاد مع قيادات الجهاد في مصر، 2013/2/9».

ما تمّ تسريبه في بعض اللقاءات التي عقدها الرئيس الإيراني أحمد نجاد أثناء حضوره قمة مؤتمر مجلس التعاون الإسلامي في مصر.

وختاماً

الحالة المصرية بشكلها الحالي هي التي تصدر الإخوان المسلمين للمشهد السياسي الحاكم وتحالفهم مع أغلبية الجماعات الإسلامية والأحزاب الإسلامية، ووقوع مجموعة من الأحداث الطائفية والعنف الطائفي في مواجهة المسيحيين المصريين، والشيعية والمتصوفة، وحالة الاستقطاب السلفي الشيعي للمجتمع المصري، كل هذا يجعل المشهد المصري أكثر تغيراً من قبل، وقد أرجع العديد من المتابعين تناقص أعداد المسيحيين، ورغبتهم في الهجرة خارج مصر إلى تلك الحالة، هذا في الوقت الذي تزداد فيه الحوارات السنوية الشيعية مما يجعل المشهد الصوفي والعديد من الأشراف يلحقون بانتمائهم التاريخي، وبالتالي سوف تزداد نسب المتشيعين في الفترة القادمة ويمكننا أن نرصد ذلك من خلال مشهد العقود الأربعة الماضية فقد ازداد عدد المتشيعين أضعافاً كثيرة وأصبح وجود الشيعة يغطي أغلب محافظات مصر، وهذا ما يجعل الشيعة المصريين يشكلون الأغلبية الأولى في السنوات القليلة الماضية وهذا يطرح استحقاقات كثيرة على مستوى العمل السياسي والاجتماعي والثقافي المصري بشكل يصعب معه التنبؤ بشكل هذا القادم الجديد.

حوار: جدليّة الولاء بين المذهب والمواطنة.. مع

محمد الدريني (*)

أجراه د.محمد حلمي (**)

يعد الأستاذ محمد الدريني، رئيس المجلس الأعلى لرعاية آل البيت، حالة فريدة في سياق الحالة المذهبية. فالرجل مصري حتّى النخاع، لا تكاد تجد لديه قناعات راسخة من وحي إملاءات خارجة عن وطنيّته. والرجل دفع ثمن قناعاته هذه غالياً، هكذا كان الحال قبل ثورة الخامس والعشرين من يناير/كانون الثاني. وإنّ هذا الحال، على ما يبدو، لم يتغيّر كثيراً بالنسبة إليه ولواقعه!

(*) مؤسس المجلس الأعلى لآل البيت في مصر وهو أكبر أقطاب الشيعة في مصر.
(**) باحث وأكاديمي وكاتب مصري، ومحاضر بجامعة القاهرة بمصر.

حوار: جدلية الولاء بين المذهب والمواطنة.. مع محمد الدريني

وفي ما يلي نصّ الحوار الذي أجراه الدكتور محمد حلمي عبد الوهاب معه:

• بوصفكم رمزا من رموز الحركة الشيعية وقياداتها في مصر، هل لك أن تحدثنا باختصار عن طبيعة الوجود الشيعي وتطوره في مصر؟!

بداية أسجل تحفظي تجاه مسمّى الشيعة وأؤكد أنّ حالتنا تنتمي وترتبط بـ«آل البيت» ذاتهم، وليس الشيعة وهو تأكيد نحرص عليه منذ نشأتنا ربّما كان ذلك نتيجة لفهم ترسّخ لدينا حول المسمّيات وطرق اللعب بها واستخدامها في كثير من الأوقات لسلب الآخرين وطنيتهم وتحميلها صورة سلبية تؤشر إلى ارتباط الشيعة عضوياً بالجمهورية الإسلامية الإيرانية ونموذج ولاية الفقيه وما يستتبع ذلك من اتهامنا بسبّ الصحابة وما إلى ذلك من باقي منظومة التفهيمات التي يحاول الكثيرون إلصاقها بنا.

أعود إلى سؤالكم فأؤكد أن وجود أتباع آل البيت في مصر المحروسة بدأ منذ زمن بعيد كما يرصده عالم الاجتماع الراحل الدكتور سيد عويس الذي أكد أنّ شعب مصر اختزن مأساة الإمام الحسين في ضميره لما وقع عليه من ظلم وما وقع على السيدة زينب كذلك ومن ثمّ فإنّ عهد الإمام عليّ، عليه السلام، لعامله في مصر مالك الأشتر جعل شعب مصر يلتفّ حول آل البيت لاسيّما بعد أن ارتكبت جريمة قتل محمد بن أبي بكر الصديق على يد عمرو بن العاص والتمثيل بجثته، ورد فعل ذلك لدى السيدة عائشة التي كابدت مرارة المأساة.

وبكل تأكيد لعب ذلك كله دورا كبيرا في تأصيل وجود قوي في مصر لآل البيت وأتباعهم تجسّدَ في الاستقبال الهائل من شعب مصر للسيدة زينب بمدينة الإسماعيلية قبل أن تصل إلى القاهرة.

ولعلي أذكر هذه الإشارة من وحي أننا لا نستطيع أن نقدم قراءة أمينة للتاريخ والواقع في الوقت ذاته الذي نقوم فيه بتجاهل ذلك. وبحسب ما يذكر الدكتور أحمد صبحي منصور في كتابه السيد البدوي بين الحقيقة والخيال، فإنه عندما انهارت الدولة الفاطمية في مصر عمل كل من السيد عبد العزيز الدريني والسيد إبراهيم الدسوقي على تأمين التشيع لآل البيت في مصر من خلال اتخاذ التصوف ستارا له ولا ويعتبر هذا المرجع مهما جدا لدى مؤسّسات الأمن التي تعاني ارتباكا شديدا في كل ما يدور حولها والمتعلق بالحالة الشيعية في مصر.

ومنذ خمسينات القرن الماضي، وأثناء فترة العمل على التقريب بين المذاهب وصدور فتوى الشيخ شلتوت التي أجاز فيها التعبّد بالمذهب الجعفري، كانت هناك حركة فكرية قائمة على الحوارات المجردة الهادفة إلى الوصول إلى الحقيقة فحسب ونتيجة لذلك، تمثّل الفكر الجعفري في شخوص، وبمرور الوقت كانت هناك جمعيات للتقريب وللتعريف أيضا بهذا المذهب باعتباره واحداً من المذاهب الإسلامية. ومن ثمّ تعكس الحالة القائمة حالياً تطورا طبيعيا لم يفسده سوى استخدام ورقة المذهب في خضمّ صراعات سياسية.

حوار: جدلية الولاء بين المذهب والمواطنة.. مع محمد الدريني

• ضمن هذا الإطار والرصد السريع الذي ألمحت إليه،
كيف تأسست مؤسسة آل البيت وكيف تنتزل ضمن هذا
التطور التاريخي للوجود الشيعي؟!

تأسس المجلس الأعلى لرعاية آل البيت نهاية التسعينيات كإطار
لمواجهة مجمل انحرافات نقابة السادة الأشراف وكانت له صحيفة
(صوت آل البيت). ولأن كثير من دعاة الحركة ينتمون إلى المذهب
الجعفري فقد وصف مجلسنا لاحقاً بمجلس الشيعة!! وحاولنا نفي
ذلك مرارا وتكرارا إلا أن الكثيرين كانوا لا يرون في دفاعنا عما يُنسب
إلى آل البيت إلا مجرد عمالة لنظام الملالي في إيران كما لو أن إيران
أصبحت الدولة القومية لآل البيت العرب الهاشميين!! وهو منطوق معيب
يسيء إلى أهله وقائليه قبل أن يسيء إلينا نحن.

وقد لعب الحزب الوطني المنحل دورا في ذلك ظاهره صالح
أحمد عز ونسيبه نقيب الأشراف المتهمين من قبلنا حينها، أما باطنه
فكان خدمة لنظريّة التفريع التي تبناها مبارك وابتز بها دول الخليج.

ضمن هذا السياق قدمت حركتنا، وقبل أن تصبح واحدة من
أبرز أطر تجمع آل البيت الوطني التحرري المعروف باختصارا بـ البتول،
الكثير من التضحيات وسكن كثير منا معتقلات وأمضيت أنا أكثر من
فترة اعتقال كان أبرزها تلك التي تدخلت بشأنها الأمم المتحدة،
وأصدر فريق الاعتقال التعسفي قراره رقم 5 لعام 2005 الشهير، وذلك

محمد حلمي

قبل اعتقالني ثانية على خلفية ما عرف بقضية فِرْقُ الموت المُتهم فيها عراقيون وإيرانيون وأنا من مصر، وكذلك كتاب عاصمة جهنم الذي صدر قبل خلع مبارك بخمس سنوات واتهمته فيه بمسؤوليته عن (القتل والتعذيب) ومخالفة القانون.

الآن اختلف الأمر تماما ولم نعد في الصدارة كما كنا إبان مواجهة المخلوع من قبل، بل لم نعد نسمع بأحد من الموجودين الآن والذين وُجدوا بقوة بُعيد ثورة الخامس والعشرين من يناير/كانون الثاني تساعدهم الإمكانيات الماليّة الهائلة وخطط التسويق ومحاربة وجود الطرف القوي الأصيل في الحالة الشيعية ألا وهي نحن الذين نللمم ما تبقى منا ومن مُقدراتنا في ضوء الحصار القائم حتّى اليوم من حكومات ما بعد الثورة، أو إن شئنا الدقة الجهات المتنفذة في ملفنا الأمني التي تصرّ على ربطنا حتّى النهاية عضويًا بإيران لتحقيق مكاسب خاصة، وإن باتت مكشوفة لنا الآن وبات عجزها في مواجهة اختراقات الحالة وتعدد الجهات اللاعبة فيها، حتّى أنّ الجميع بات يُذكرنا بما كنا نطرحه من أفكار في محاولة لحثنا على عملاقة وجودنا في مواجهة حالات وضعت حول نفسها العشرات من علامات الاستفهام بينما هي معلومة لدينا تماما!!

وبكل تأكيد أستطيع القول: إنّ الجميع ممن حاربونا ندموا على إضعافنا بعدما تأكد لهم أن الطرف الإيراني أصبح ينافسهم في إيذائنا!!

حوار: جدلية الولاء بين المذهب والمواطنة.. مع محمد الدريني

• لكن لدينا الآن العديد من الشخصيات والمؤسسات التي تتحدث باسم الشيعة في مصر، هل هذه بوادر خلاقات وانشاقات في الصف، أم مجرد توزيع أدوار؟

الحالة الشيعية في مصر لا ترقى إلى أن تُعدَّ كيانا كبيرا يمتلك مقدرات متنوعة تمكنه من توزيع أدوار بغية الوصول إلى هدف ما، لكن الذي يحدث يعكس وجود أهداف شتى للجهات الداعمة التي أوجدت شخوصها أو تجمعاتها استنادا إلى الأرضية التي نجحنا في إيجادها لكي يقف فوقها أحفاد آل البيت وأتباعهم بثبات. ونقولها صراحة: إننا لم نخلق هذه الأرضية لممثلين عن جهات أو شخوص غير مصرية يتأتى حضورها ضمن إطار وجود الآخر القوي لتصبح ساحتنا ميدانا لحرب لا علاقة لنا بها كمصريين أولا، وكأحفاد وأتباع آل البيت ثانيا. بمعنى آخر لسنا أتباع المرجع هذا أو ذلك أو خلافه من أجهزة معادية للأمة بات لها تمثيل في الواقع أيضا. ومن ثم فإننا نعيد تأكيدنا بأن مصر منبر المهدي المنتظر، ومن حقنا أن نقول أيضا: إنه لا كلمة لأحد سوى لأهل بلاد المنبر، وإننا لا نتلقى تعليمات من أحد إلا من أهل المنبر!

• ألا ترى معي أن الشيعة في مصر لديهم أزمة في ما

يتعلق بالمرجعية الدينية والسياسية؟

بكل تأكيد وهذا في منتهى الخطورة، ولذلك دعونا مرارا وتكرارا إلى أن يكون الأزهر مرجعية لأبناء المذهب الجعفري! وكنا، وما زلنا، نعي ما نقول وندرك أهمية ذلك للأمن القومي! لكن ثمة من يحرص على أن تشهد البلاد حالة من النشاط السري الغامض لكي يتمكن

هو من توظيف الحالة ضمن عمليّات الابتزاز القائمة لدول خليجية تربط بين انتشار المذهب الشيعي من جهة وبين إيران من جهة أخرى، ولم تكلف نفسها مرّة واحدة عناء التصرف بحكمة بدلا من شنّ حرب شعواء ضدنا ما زالت توابعها قائمة!! وربما أدرك بعضهم الآن حتميّة تغيير أسلوب التعامل الأمني، وعدم اعتبارنا امتدادا لقوى خارجية توظف هي بدورها تلك التهم ضدنا في مفاوضاتها الإقليمية والعالمية.

على أن التعامل الأمني السياسي المفرط كان وراء توظيف الأطراف المحسوبة علينا ظلما لحالتنا، ومن ثمّ فإنّ العودة سريعا إلى الحقّ وتبني الأجندة الوطنيّة سيُجنّب مصر والدول التي تخشى من تحوّلها الصادم! ولن يتأتى ذلك بالحرب ضدنا وترويعنا وإضعافنا، فكل ضربة توجّه لنا بمنزلة تقوية للطرف الآخر!!

• إلى أيّ مدى تطورت بموازاة ذلك العلاقة بين الطوائف الشيعية في مصر والجمهورية الإسلامية الإيرانية بعد نجاح الثورة الإيرانية؟

الثورة الخمينيّة في إيران جذبت سنة وشيعة على حدّ سواء، وكانت طبيعة الخميني الثائرة وحقيبته وزخمها الجماهيريّ والانفعالي وراء أن تصبح طهران قبلة للثائرين من ذوى الميول الدينية. وبكل تأكيد لعبت الثورة الإيرانية بشكل أو بآخر دورا في تفعيل وجود الشيعة في كثير من البلدان العربية. لكن مصر، ولأسباب سياسية وأخرى تتعلق بالتحالفات القائمة في المنطقة، كلّ ذلك حال دون تفعيل حقيقيّ

حوار: جدلية الولاء بين المذهب والمواطنة.. مع محمد الدريني
للحالة الشيعية في مصر.

وقد ظل الأمر كذلك حتى صعود شيعة العراق لتصبح مصر عاصمة مكافحة الشيعة في المنطقة، ولتلعب، إلى حد كبير، دورا في التمويه عن الوجود الشيعي المرتبط بأجندة غير مصرية! وهذا هو الأهم في الموضوع فلم يستطع أحد منع الناس من اختيار ما يشعرون أنه يتوافق مع ضمائرهم وقلوبهم ولن يستطيع ذلك. ولهذا فإن ثمة تحدّ أو عداء للآخر وهذا العداء يتفاقم عندما تتكرني حقي الاعتقادي ثم تسوقني على أنني عميل وامتداد لهذا أو ذاك وتسهّل بذلك اتهامي، فالذئب لا يأكل من الغنم إلا الشاردة، وما دمت قد حرصت على تشريد الناس فمن الطبيعي أن يبحثوا لهم عن مأوى هنا وهناك، فلم نلوم إيران أو إسرائيل!

وإنّ النظرة إلى كل شيعي باعتباره من ثمار الثورة الإيرانية، في تقديري، يمثل خطرا شديدا، كما يجب النظر إلى مقترحاتنا التي لم تعالج مشكلة استلاب الوطنيّة لدينا فحسب، وإنما تتعلق أيضا برغبتنا، باعتبارنا مصريين، في أن يكون الأزهر لأتباع آل البيت العرب جميعا، لا مرجعية لنا فحسب! وربما يفضب بعضهم من أن نصرّح بذلك لكننا نواجه واقعا مؤلما، وتفرض علينا ضمائرنا أن نتحدث بصراحة فيما نقع ما بين المطرقة والسندان لقوى سياسية تمتلك عصا أمنية لا تدرك عواقب استخدامها، بينما الطرف الآخر يسعده أيّ ضربة توجه لنا ليسوقها وينتظر من ورائها مزيدا من المشردين!

• لكن أغلب الرموز الشيعية في مصر موالية لنظام

الملاي في طهران؟!

أغلب الرموز نعم، لكنها الرموز التي تعرفونها ويعرفها الإعلام والتي جرى تسويقها بشكل كبير. لكنهم على كثرتهم لا يعكسون رقما في بلد يقال: إن بها مليون شيعي وهي من التقديرات المقبولة بعيدا عن الأرقام الفلكية أو أرقام العشرة أنفار التي صدعنا بها المنافقون ثم عدلوا عن ذلك وقالوا: ملايين! عندما اكتشفوا أن مضاعفة الرقم ستضاعف مخصصاتهم لزوم المواجهة!!

ومع ذلك، فإنني أعتقد أن الفترة القادمة سوف تشهد أعدادا أكثر وبلورة وجود مُعلن لتلك القوى وغيرها تحت رعاية إيرانية وعراقية، مثلما بات لإسرائيل وجود مماثل لا تعلن عنه!!

• ألا تتفق معي أن الموالية لطهران يمكن أن تجسد

مشكلة كبرى للأمن القومي المصري؟ سأقدم لك مثلا يتعلق بالموقف من الثورة السورية؛ الشيعة المواليون لطهران يدعمون الموقف الإيراني المساند لنظام بشار الأسد على طول الخط، لك أن تتخيل أثر هذه الاتباعية في قضية تتعلق بالداخل المصري؟!

يؤلني عندما نتحدث عن شيعة مصر أن تقفز أسماء دول أخرى كإيران وسوريا والعراق ولبنان والبحرين... إننا ندرك ذلك تماما ومازلنا نحذر منه في الوقت ذاته، فالسؤال في حد ذاته ينطوي

حوار: جدلية الولاء بين المذهب والمواطنة.. مع محمد الدريني

على إلحاق لشيعة مصر بإيران، ومن ثمّة فهي جزء من الفواتير، وهي معنيّة بالردّ على كلّ ما يدور كما هي معنيّة بالأمر، لكن ليس لها في الفنائم! نحن أوّل من نبه لخطورة عدم استقلال أيّ مكّون وطنيّ بمذهبه أيّاً كان، دينيا أو سياسيا، ولكن هناك من يعمل على أن يخرج المشهد عن ذلك الإطار ليكون مُبرّراً في طلب مخصصات تمكنهم من مواجهته، وهو ما تفهمه إيران أيضا، تلك التي بات لها باع طويل في وقت وجيز مُوظّفة الظلم الفادح والعدوان الواقع على عباد الله!!

• لكن يظل هناك لبس فيما يتعلق بتحول موقفك تحديدا تجاه طهران، وتحول الآخرين إلى درجة ارتمائهم في أحضان النظام الإيراني، كيف تفسّر لنا هذا التحوّل؟!

هناك حقيقة صادمة معلومة لدى الأجهزة الأمنية ولدى كلّ من يتابعنا ألا وهي أنّ إيران لم تكن يوما ما صديقة لنا نحن بالذات، بل استهدفتنا وبشكل غير عادي قبل الثورة المصرية وبعدها. فبعد الثورة أصيب بعضهم بحالة سعار وراحوا يعملون بكل قوة لضربنا وتفريغ أطرنا وإفسادنا. لكننا اليوم، وعلى الرغم من وضعنا الحالي وإغلاق صحفنا ومكاتبنا، لا نزال متماسكين لأننا الورثة الشرعيون للساحة التي أعطينا فيها الفكر والإخلاص والدموع والحرية، ودفعنا فيها فواتير غالية مكنت جذورنا من أن تمتد إلى أعماق الأرض والزمن على نحو يصعب اقتلاعه! كما أننا نؤمن أيضا بأنّ كافة أطرنا سوف تفعلُ يوماً ما، لأننا لم نسع يوماً لتحقيق مغنم وإنما ظل مسعانا ابتغاء مرضاة الله تعالى، وسنظل رافعين راية آل البيت لتعانق الشمس في

كبد السماء المصرية التي كانت، ومازالت، حضانة أمينة لأحفاد آل البيت إبان رحلة الرماح والجراح.

أما بالنسبة إلى موقفنا، فلم يحدث تحول كما سبق أن أكدت، إذ ينسجم موقفنا هذا وصحة ما رأينا! ثم إن غالبية من يترددون على إيران كانت لهم خطوط قبل الثورة، فهم يذهبون ويعودون بينما هذا لم يحدث معنا قط! وأخصكم بمكاشفة وهي عبارة عن لقاء مهمّ جمعني بأية الله التسخيري قبل أكثر من عشر سنوات بناء على دعوة كريمة منه لي بمفردي رافضا لقاء الجميع أثناء وجوده في مصر، وأبلغني فيها أنهم في إيران يعتقدون أننا مجاهدون! لكن بمرور الوقت يبدو أنّ إيران باتت تنظر إلى حالتنا ربما بقلق وربما بشيء من الاهتمام البالغ، وهذا يفسّر ما لقيناه ونلقاه منهم!!

**• لكنك كنت أحد الداعمين بقوة لمشروع تحويل
أضرحة آل البيت لعتبات مقدسة وما يستتبع ذلك من
وفود ملايين السياح من إيران إلى القاهرة؟**

هذا أمر لا تستطيع أن تُصنفي بموجبه، ولعلك تابعت ردّ فعلي حين أعطت إيران المشروع للإخوان المسلمين. إنني أراهن على مصر وليس على إيران، وها هم الإخوان وبعد توقيعهم الاتفاقية وعلمهم بأننا أصحاب المشروع وهم ذاتهم من كانوا يتهموننا بالكفر بسبب هذا المشروع، ها هم يقسمون الغنائم لا يحركهم أيّ ظلم واقع، ولا يدعوهم إيمانهم لرفع الظلم الفادح علي منذ ما قبل الثورة، بعدما كانت تجمعنا بعصام العريان أو خيرت الشاطر لحظات يرى بعضنا

حوار: جدلية الولاء بين المذهب والمواطنة.. مع محمد الدريني

الآخر ونحن في الأسر وكلّ منا بيده قيدٌ!

نحن حجة على أناس تشدقوا بالله كثيرا ويمتطون الدين لتحقيق مكاسب سياسية، والأمر نفسه بالنسبة إلى الإيرانيين أيضا! ولك أن تسأل شركة مصر للسياحة المملوكة للدولة التي أرسلت لنا منذ سبع سنوات عن اتفاقها مع الإيرانيين وفق خططنا، وكذلك وزارة السياحة، فلم الغدر بنا من قبل الإخوان والإمام علي يُحذر: إياك والغدر حتّى مع الأعداء!

أنا فكرت في بلادي مثل باقي الأفكار الأخرى التي عُرفت بها ولاقت قبولا وترحيبا من دوائر مهمة أعتقد أنه لولا وجود مخلصين بها لكنت في خبر كان كما يقولون! لأنني موجود بالساحة منذ نعومة أظفاري وتعلمت على يد عميد الفدائيين، وأسستُ جبهة معنيّة باستعادة أرض مصرية محتلة قبل أن يستبدل مبارك صفتي تلك بصفة زعيم شيعة مصر! وفكرة مشروعني التي تفضلت بالإشارة إليها ليست سوى فكرة من عشرات الأفكار وينتظر جانب كبير منها الإعلان قريبا جدّا، وحينها سيعلم بعضهم أنني ماليّا لست في حاجة إلى أحد لكي يفرض شروطا على أرض المنبر!

• بعضهم ينظر إليك بوصفك قوميا عربيا لا يحقّ

لك التحدث باسم الشيعة المصريين، كيف تردّ على ذلك؟

أولا لم نر أيّا منهم إبان الحرب مع مبارك التي كانت حامية الوطيس قبل الثورة بسنوات، لكن بعضهم الذي يراني منافسا له

ومزاحما على جيفةٍ يرغب فيها، يرون ذلك موظفين الأرضية التي صنعناها لنقف عليها وهؤلاء هم أنفسهم الذين يقولون: إذا انتهت الحرب فلا حاجة إلى الفرسان!! وهذا قمة الخطورة لأنّ الحرب لم تبدأ بعد وهم يعيشون نشوة اللحظة!

أما القول: إنّي عروبيّ لا أصلح لقيادة أتباع آل البيت فهو قول كاذب مغالط منافق جاهل لسبب بسيط أنّ جدّي ونبيّي عربيّ وقرآنيّ عربيّ ونحن عرب، ولست في حاجة إلى أن أتقن لغة غير العربية لأشرح قضيتي. هذا يقال عندما أقرر منافسة أحد في طهران أو أصفهان، أما وإنني فوق تراب بلدي وأمّتي فلا أملك إلا أن أكون عربيا.

وأعتقد أنّ تصريحه الشهير الذي أكدت فيه الدعوة إلى تأسيس كيان لأتباع آل البيت العرب، وأنّ الرياض أقرب إلينا من طهران وراء تلك الحملة. ولذلك صدرت فرمانات العقاب ضدّي متناسين أنّني عوقبت من قبل الأجهزة الأمنية ولم تفلح معي.

• في المخيال الشعبي يبدو اللبس واضحا لدى عموم الناس في ما يتعلق بقضايا سب الصحابة والسيدة عائشة ونزول الوحي على النبيّ بدلا من الإمام عليّ، كيف تواجهون هذه القضايا المعقدة؟

هذه القضايا من بقايا منظومة التلفيق التي نجحنا في فضحها ومن ثمّ تراجع تلك الاتهامات وبقية الحديث منحصر في جواز المتعة والتقية. التيارات السلفية فقط هي التي مازالت تردّد إكليشية سبّ

حوار: جدلية الولاء بين المذهب والمواطنة.. مع محمد الدريني

السيدة عائشة والصحابة وهذا أيضا في قمة الخطورة لعدّة أسباب في مقدمتها: أنّ الهدف من وراء ذلك هو القول إنّ الشيعة العرب جزء من منظومة فارسيّة تردّد ما يقولون، وهذه جريمة إذ إن مصر (عبريّة الزمان والمكان) تختلف تماما عن أيّ مكان آخر، كما أنّ أتباع آل البيت وأحفادهم في مصر لديهم مدارسهم المصرية المنسجمة مع الخلفية التاريخية والحضارية والدينية لشعب مصر العظيم.

شعب مصر كغيره من الشعوب، وعلى مستوانا أسسنا إطارا يحمل اسم ائتلاف آل البيت لمناهضة سبّ الصحابة، وعلى مستوي الشخصي يؤلني - كلما تذكرت السيدة عائشة- ذلك المشهد الرهيب عندما جاؤوا لها بشاة محروقة وقالوا لها لقد تمّ شواء محمد بن أبي بكر كهذا!!! فأمضت ما تبقى من عمرها حزينة مكلومة. وهي قضية يراها كاتب وسينارست مثلي بمنظوره الإنساني البحت، ثمّ هناك مكانتها عند النبيّ - صلى الله عليه وآله وسلم- وأخيرا أوكد أمراً مهماً جدّاً ألا وهو أنّ طبيعة أهل مصر ليست السبّ، وأنّ السبّ من بقايا حقب غابرة حين كان يتمّ سبّ آل البيت واستدعاء هذا النموذج والدفع بمن يسب فهذا أمر مدروس ومعلوم من يقف وراءه من قوى دولية.

• إن كان ذلك صحيحا، فأين يكمن الخلاف بين أهل

السنة والشيعة إذن؟

من دون أدنى شكّ توجد قضايا بين كافة المذاهب، وهذه القضايا الخلافية تمّ حصرها بين ما سُمّي بمذهب السنة وما سُمّي

بمذهب الشيعة. لكن المشكلة الحقيقية تكمن في الصراعات السياسية الإقليمية منها والعالمية، تلك التي تجعل كل طرف يسفّه الآخر، وإلا مَنْ المسؤول أصلاً عن محاسبة الناس على معتقداتهم وإن عبدوا بقرة؟! ومَنْ ذا الذي ينصّب نفسه وكيلاً عن الله في الأرض؟ ومَنْ ذا الذي أوكل إليه استدعاء نماذج الفرقة والتمزق من حقب التاريخ الغابرة؟ وماذا يُراد من وراء ذلك؟ وهل يقرّ إسلامنا بما هو قائم ويُستضعف الإسلام وأهله؟ ولماذا تُقام الدنيا ولا تقعد من أجل سني تشيع أو شيوعي تسنن ولا تقوم إذا ما تنصّر مسلم أو تهوّد أو ترك الأديان كلها؟!

إننا جميعاً يجب أن ننتبه إلى خطورة المشروع الأمريكي القائم الذي يهدف إلى الخلاص من كل الأديان أصلاً وهو ما يُعرف بـمشروع الجنّ الفضائي المتعلق بشخص كيسنجر ومجموعة اللوبي الصهيوني في الإدارة الأمريكية!! لذا يجب أن نفيق، فالأديان الإبراهيمية مُستهدفة من أساسها، وعلى الفروع أن تتعاقد كي لا تُقتلع الجذور، ويجب أن نعرف جيّداً أنّ السبّ وملحقاته جزء من أدوات الصهيونية لتمزيق المُمزق!!

• على الرغم من معارضة بعض رموز التيار الشيعي لحكم الإخوان المسلمين، فإنّ كليهما يسعى لبناء دولة دينية، وأنكم في مقابلة أخونة الطرف الأوّل للدولة تسعون بكل جهد إلى سيطرة المدّ الشيعي في المجتمع، فما ردكم؟

الإخوان يسعون لأخونة الدولة نعم، أمّا الشيعة كيف؟! الحالة الشيعية ذكرناها بتفاصيلها وبالتالي لا مستقبل للحكم عقب الإخوان

حوار: جدلية الولاء بين المذهب والمواطنة.. مع محمد الدريني

أو حتى بعد ذلك بمائة عام وحال صعودهم سنكتشف!! المؤكد في الأمر أننا كحالة يشرفني التحدث باسمها فإننا نؤمن بالحكم المدني بعيدا عن إقحام الآيات والأحاديث واستخدامها للحكم باسم الرب والأمر ليس كذلك. نحن أدرى بشؤون دنيانا، ودولة المواطنة العصرية بكل ما تحمله من مثل تتفق وصحيح ديننا.

الدين والتدين ليس عيبا أو مشكلة، وثمة حكومات غريبة ورموز تحكم العالم لها منطقاتها الدينية لكنها وفق أطر ومفهوم تقدّمي وتوعوي وتوظيفي مخالف تماما لحالة المسلمين في الشرق الذين يعيشون الآن نموذج الفتنة نفسه حتى يصل إلى ذروته!

من ناحية أخرى، يجب أن يعلم الجميع أنّ نبوءات الأنبياء وحتى العرافين التي تعتبر أجدات متابعات قصوى لدى أجهزة أمن العالم!! هذه النبوءات التي سيطرت على النخب حاليا تقول إنه سيعقب مرسي حكم آخر تماما وربما يفسر هذا سرّاً إشارة نيتينياهو بأنّ مرسي ورد في التوراة!! وربما يقف أيضا وراء اعتقاد بعض المرشحين الإسلاميين للرئاسة بأنه صاحب مصر الذي سيحكم بعد أخنسها الذي سيخلف لمصر العار والاحتلال!! وهذا ما دعا رموزا إعلامية للتحذير من ذلك حيث يتم التعبئة باسمه ضدّ الجيش المرابط أصلا بقرار إلهي!

• إذا كان ذلك صحيحا، فكيف تنظرون إلى محمد

مرسي أبوصفه رئيسا ووليا للأمر أم مفتقدا للشرعية؟

أكدت بعد نجاح مرسي أنني لم أنتخبه ولم أنتخب أحمد شفيق أيضا، وأرى مرسي ظلما سيُعاقب على ظلمه بداية من حالتي

التي تعتبر حجة عليهم جميعا حيث لا تزال تستخدم سياسة الأرض المحروقة ضدّي، أو بالنسبة إلى باقي قضايا شعبنا وحالة الكذب الغريبة والالتواء وسوء الخبرة والعنجهية والتنطع.

منذ أن تولى مرسي وكل يوم يمرّ يحصدون فيه أثامهم، ومن يعرف التاريخ وسواكته ومحركاته جيّداً يدرك تماما أنّ مرسي وجماعته وحلفاءهم لن يكون لهم وجود في دولا ب عمل الدولة المصرية بعد هذه الحقبة التي تعرف عليهم خلالها الشعب المصري. ولو طلب مني مرسي نصيحة فسأقول له ابعد عن جماعتك وأصدر بيان اعتذار للشعب عسى أن يشفع ذلك لك حين يحتدم الصراع القادم!!

• وكيف تنظرون إلى الدستور الجديد الذي نجح - الإسلاميون في تمريره رغم تصاعد موجات المعارضة ضده؟

منذ بدأ الحديث عن الدستور وتفصيله لم أعرّ متابعته أيّ اهتمام، ولم أكلّف نفسي مع غيري عناء ما ورد فيه لأنّي أوّمن يقينا بأنه سيلحق بغيره من الدساتير المرفوضة لصدوره في حقبة استثنائية على يد جماعة ترى نفسها وحدها مصر التي منّ الله عليها بحكمها، وأنّ أهلها عبيد لهم! وربما لاحقا إذا كان مقدرا لهم الحكم لسنوات أخرى فإنهم سيعتبرون شعب مصر ملكا للأهل والعشيرة التي يرأسها مرسي.

• أخيرا ما موقفكم من قضية تطبيق الشريعة، وهل تتخوفون من النفوذ السلفي وكيف تواجهونه؟!

تطبيق الشريعة الإسلامية حق يراد به باطل، وكما أشرت فكل

حوار: جدلية الولاء بين المذهب والمواطنة.. مع محمد الدريني
منا يتطلع إلى أعمال شرع الله عز وجل لكي يختفي الظلم ويحلّ العدل،
وتقوى الأمة بدلا من الضعف، ويحيا الإنسان بدلا من الموت البطيء
لكن كيف تطبق ومن يطبقها؟!

أما السلفية فستعود أدراجها إلى سابق نقاشاتها المعهودة (هذه
المرّة في ما بينهم) وطروحاتهم الغريبة مثل (القول البتة في عقد
الكرفّة)، (والقول الوفا في حلق القفا) (ورضاة الكبير ويول الرسول)
وما إلى ذلك لسبب بسيط، فهم لا يفهمون أنهم جاؤوا باتفاقية وأنهم
غير مؤهلين تماما لحكم قري، فما بالك من ملك عظيم يشاركون في
حكمه؟! وأعتقد أنها كانت فرصة طيبة ليعلم الشعب قدرات أبنائه
وصدقهم خاصة بعدما أتحدثنا السلفية بعدة أكاذيب ووقائع فاضحة
وعنجهية وتطاول وترويع للجميع عقب ثورة يناير التي ناوأها العداء
الشديد وتوعّدوا الثوار بالتفريق بينهم وبين زوجاتهم وراح شيوخهم
يدافعون عن أمير المؤمنين حسني مبارك الذي حرّموا الخروج عليه،
وإذا بهم يخرجون على معتقدتهم وينافسون ثوار يوليو في الحرام الذي
وصفوه به، ثمّ حصّدوا مواقع الثوار في البرلمان!

السلفية سوف تعود أدراجها وسيتلاشى وجودها، وما أداؤها
وانقلابها على مرسى وجماعته إلاّ بموجب بنود الاتفاق المشار إليه
سابقا! لكنهم سوف يعودون أدراجهم من دون تدمير ودون أن يكون
لهم ردّ فعل كما يتوقع الكثيرون لأسباب عديدة!! لأنهم محمّلون بما
يُمكن الطرف القوي اللاعب من وقف عبثهم، وأما صوتهم العالي وما
يقومون به فكلّ ذلك ممّا يفيد إسرائيل بالأساس.

إنّ المشهد في مصر، وإن كان تصعب قراءته من جانب بعضهم، فإنّه يبدو لي جلياً واضحاً بالنظر إلى حقيقة الأحداث وأسباب التحرك والسكون وخلفيات الأشياء. فمصر تشهد الآن أسوأ استغلال باسم الدين سواء للحصول على مكاسب أو شراء ذمم الناس أو الضرب في الأرض بغير هُدى! وتظن السلفية أنّ حال مصر والفوضى القائمة ستستمرّ وبالتالي تكون لهم الكلمة العليا وإن كانت منفردة!

السلفية ارتكبت الكثير من الأخطاء ممّا سيجعل رموزها في موقف سيئ قريباً، وسوف ينعكس ذلك بالضرورة على جمهورها وسيصبحون ذكرى مؤلمة للشعب المصري.

المشاركون في الكتاب

أحمد عبدالرحيم

باحث وكاتب مصري، عمل مديراً لإدارة النهضة بمنتدى النهضة والتواصل الحضاري، ومستشار الأمين العام للمنتدى وعضو الأمانة التنفيذية العليا، حصل على الليسانس من كلية أصول الدين بجامعة الأزهر، وله العديد من الدراسات والبحوث، حول حرب المصطلحات، والإرهاب والإسلام، والصحافة السودانية وغيرها.

بلال مؤمن

باحث مصري يعد أطروحة في التصوف الإسلامي، عن ابن عربي ويعمل بشركة نيوميديا للإنتاج الإعلامي، نشر مقالات صحافية في الصحف المصرية، عمل بمؤسسة إسلام أون لاين، له عدد من الدراسات والبحوث نشرت في مركز المسبار للدراسات والبحوث.

خالد محمد عبده

كاتب صحافي مصري، وباحث في مركز دال للإنتاج الإعلامي، وهو باحث متخصص في التصوف الإسلامي، خريج كلية دار العلوم بمصر، ويعد الآن أطروحةً للدكتوراة في التصوف الإسلامي، له عدد

المشاركون في الكتاب

من المقالات المنشورة والسجلات، مع الدكتور محمد عمارة، وغيره،
ينشر في الصحف المصرية.

سالم الصباغ

حاصل على بكالوريوس تجارة من جامعة الإسكندرية، من
قيادات الشيعة في مصر، اعتقل مرتين، حضر مؤتمر (الأعلام
الرقمي) في طهران عام 2011 وقام بعمل بعض اللقاءات مع التلفزيون
الإيراني، ودُعي لإيران عام 2012 لحضور مؤتمر العقيدة المهدوية،
وألقيت محاضرة عن (العقيدة المهدوية والصحة الإسلامية في
مصر) تم نشرها في بعض الصحف الإيرانية، له كتاب تحت الطبع
بعنوان إمامة أهل البيت في القرآن.

فاطمة حافظ

باحثة دكتوراه في التاريخ بجامعة القاهرة، مدير تحرير موقع
مسلم أون لاين، عضو الهيئة التحريرية لدورية المسلم المعاصر، وعضو
الفريق البحثي لمشروع إعادة إصدار كتب عصر النهضة بمكتبة
الإسكندرية، لها عدد من البحوث والدراسات المنشورة أبرزها قراءة
في خطاب فاطمة المرينسي، والتأسيس للمعرفة النسوية، وحضور المرأة
في مراجعات الجماعة الإسلامية، وغيرها.

ماهر فرغلي

كاتب وصحافي بصحيفة الوطن بالقاهرة، ومختص في شؤون

المشاركون في الكتاب

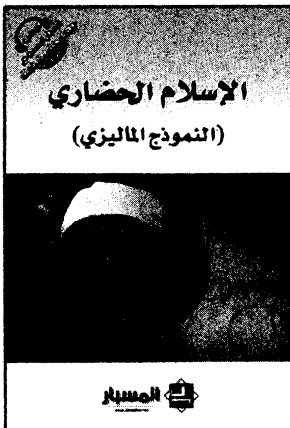
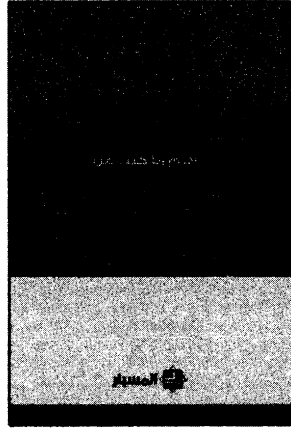
الإسلام السياسي عمل في صحيفة اليوم السابع المصرية، وإسلام أون لاين، وصحيفة صوت الأمة من مؤلفاته رواية الشيخ عبادة عن دار ميريت بالقاهرة، وتحولات الجماعة الإسلامية وغيرها عن دار الانتشار العربي ببيروت، كما شارك في كتاب السلفيون في مصر بعد الثورة عن دار الانتشار العربي، ببيروت، وكتاب الأقباط في مصر عن مركز المسبار للدراسات والبحوث.

محمد حلمي عبدالوهاب

باحث في المعهد الألماني للأبحاث الشرقية ببيروت، حاصل على الدكتوراه في مجال الفلسفة الإسلامية ومتخصص في التصوف الإسلامي، صدر له عدد من الكتب مثل ولاة وأولياء السلطة والمتصوفة الإسلام في العصر الوسيط، والقيم الروحية في الإسلام، له العديد من الدراسات والبحوث المنشورة بمركز المسبار للدراسات والبحوث، وغيرها.

محمود جابر

كاتب صحافي، مختص في العلاقات الإيرانية المصرية، له عدد من الدراسات والبحوث المختصة بالحالة الشيعية، نائب لرئيس حزب التحرير الشيعي تحت التأسيس، وهو من القيادات الشيعية المعدودة. بصفة قيادية في مصر.





الإخوان المسلمون
والسلفيون في الخليج



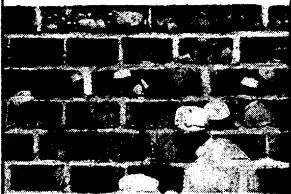
المسبار

حراسة الإيمان
المؤسسات الدينية



المسبار

صناعة المفتي
التعليم الديني



المسبار

من قبضة بن علي
إلى ثورة الياسمين

الإسلام السياسي في تونس



المسبار

الإخوان المسلمون
في
سوريا

ممانعة الطائفة
وعنف الحركة



المسبار

عودة العثمانيين
الإسلامية التركية



المسبار

عقيد الخيون

100 عام من

الإسلام
السياسي
بالعراق

2 الشيعة

المسبار

رشد الخيون

100 عام من

الإسلام
السياسي
بالعراق

1 الشيعة

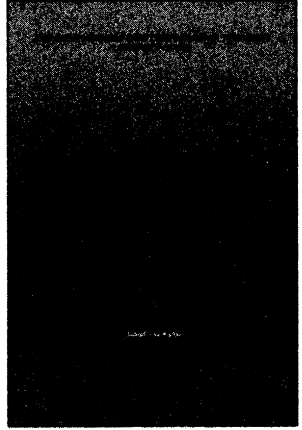
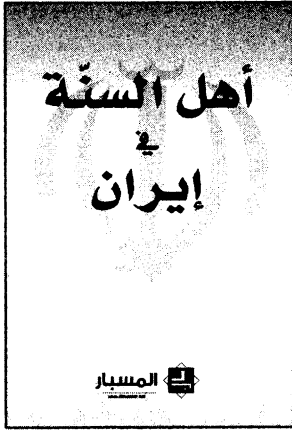
المسبار

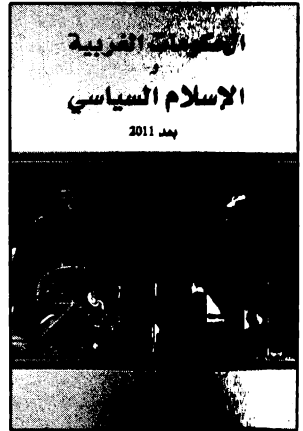
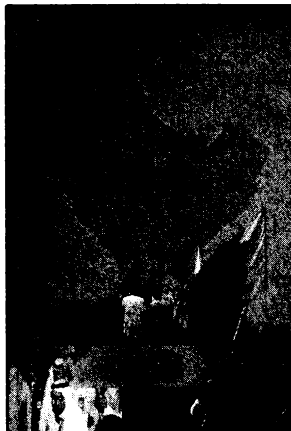
قصة وفكر المحتلين
للمسجد الحرام

أحمد هذلان - ناصر الحزيمي
مفسر اللهبان



المسبار







مركز المسبار للدراسات والبحوث

Al Mesbar Studies & Research Centre

www.almesbar.net

المراسلات البريدية:

ص.ب. 333577

دبي، الإمارات العربية المتحدة

للاشتراك:

هاتف: +971 4 380 4774

فاكس: +971 4 380 5977

info@almesbar.net

جميع الحقوق محفوظة للناشر

لايسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال دون إذن خطي من الناشر